جذور الشر

الحسد ... السحر ... ابليس
من منظور اسلامي

تأليف
ابراهيم محمد الجمل

الناشر
دار الكتاب العربي

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

دار الكتاب العربي

الرملة البيضاء ـ ملكارت سنتر ـ الطابق الرابع تلفون: ٨٠٠٨٣٢/٨٠٠٨١١/٨٠٥٤٧٨
تلكس: ٤٠١٣٩ L.E. كتاب برقيا: الكتاب ص.ب: ٥٧٦٩ ـ ١١ بيروت ـ لبنان

جُذُورُ الشَّرِّ

إهداء

إلى سيدي رسول الله صلّى الله عليه وسلم .
هادي الأمة .. ومرشدها .. ومعلمها ..
ومربي الفضيلة .
أهدي هذا الكتاب .

المؤلف

مقدّمة

الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته إلا الراجون، ولا يحذَرَ سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون، وابتلاهم بالغضب وكلّفهم كظم الغيظ فيما يغضبون، ثم حفّهم بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون، وحذّرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون.

وأصلي وأسلم على سيد الخلق محمد الذي يسير تحت لوائه النبيون، وعلى آله وصحبه وأصحابه الأئمة المهديين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

فإن النفس الانسانية تعج بوساوس الشر، وتضطرب فيها أساليب الفكر، وتغيرها مشكلات العصر، خاصة إن عضها الزمان، وآلمتها الأحزان.. فتنغلق لتبحث عن وسيلة إلى الرفاهية أو سبيل إلى المجد، فتجتهد في تخطيط، وتعيش في أحلام دائمة.

بيد أن النفس لا تستمر طويلاً على حالتها فتصطدم بواقع مر مذاقه، رديء حاله، فتفيق إلى رشدها ويتمزق الحجاب من أمامها لتعلم عجزها عن تحقيق هدفها وفشل تخطيطها، وذهاب أحلامها.

فلا تجد هذه النفس إلا الحقد أو الغضب اللذين يؤديان إلى الحسد.

ولا شك أن الحسد من آفات النفوس التي حيرت جهابذة العلماء، وأتعبت علماء النفس والفلاسفة .

ونحن المسلمين نعلم أن الإسلام ليس عملاً صامتاً بالجوارح، وإنما هو عمل مقترن بالإرادة الصادقة، والنية الصالحة، والعلم بما يفسد الأعمال من نزعات الهوى، وآفات القلوب والنفوس.

ولماذا نبتعد ورسول الله محمد ﷺ يقول: «دب إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد والبغضاء. والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين، والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك: أفشوا السلام بينكم»[1].

فالحسد يأكل الحسنات ويذهب الأعمال. . لـذا كانت له مكانة في علم الأخلاق.

ولذلك فقد راعني أمره، فأردت أن أرسلها صيحة فكر وضمير، لا مقالة كاتب يزجي لوناً من ألوان «الترف العقلي» يقدمه على مائدة الكماليات في عالم الفكر، يتناقله المترفون المشتهون إلى كل جديد من الآراء والحديث المثمر ، أو وعظ وإرشاداً أريد به وضعاً بين كتب المصنفين أو اسماً بين أسمائهم.

فقسمت القسم الاول إلى خمسة ابواب الباب الأول منه : دراسة سلوك الإنسان ، وكيف أن الشيطان يستعمل من الوسائل ما يصل بها إلى قلبه .

والباب الثاني في الغضب والحقد والثالث في الحسد ودوافعه النفسية ، إذ أن الغضب والحقد يؤديان ـ كما ذكرنا ـ إلى الحسد ، فوقفت في هذين البابين على كتاب « الاحياء » للشيخ الغزالي ، فاستخلصتها منه ، وأوردت الأثر القوي ، والحكم البليغة ، والقصص النافعة ، وأعرضت عن غير ذلك .

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث مولى الزبير وهو صحيح وله شواهد.

والباب الرابع : معالجة الاسلام للحسد ، وكيف أنه فرض الزكاة كنوع من التكافل الاجتماعي والمساواة، وتقربه بين طوائف الأمة، وتربية للنفس المسلمة، وارتقاء بها إلى مراتب المؤمنين الصادقين، وكيف أنه أجاد في الوعظ والإرشاد والتنبيه والتحذير، فذم الهوى بأنواعه.

البـاب الخامس: في بيان كيف نتقي الحسد ونصل بأنفسنا إلى مراتب الصدق واليقين.

واما القسم الثاني فعالجت فيه موضوع السحر الذي هو عقد مبرم بين الشيطان والانسان على أن يقوم الثاني بعبادته والكفر بالخالق ـ جل في علاه ـ وسب الأديان وتنفيذ كل ما يأمره به. . مقابل أن يحقق الطرف الأول مآربه وبغيته في الإضرار بالناس.

لذا كان السحر من أكبر الكبائر يوضحها حديث رسول الله ﷺ المتفق عليه: اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: السحر. . . إلخ». ثم عد بقية السبع.

وإذا كان الساحر لا يستطيع أن يغير حقيقة الأشياء إذ لا يمكنه أن يحول المدر ذهباً. . ولكنه يخيل للمسحور أنه ذهب إلا أنه حقيقة واقعية ملموسة لا بد من دراستها ودراسة طرق إبطالها.

ولما كان السحر حقيقة ظن بعض الناس صحة ما يقوم به المشعوذون والنصابون والأفاكون الذين اتخذوا السحر ستاراً باطلاً للنصب على الناس وابتزاز أموالهم.

والذي نطمئن به القارىء أن السحر الحققي والسحرة الحقيقيين أو الأصليين ، قد اختفوا من وسطنا منذ ما يقارب القرن ولا يوجد منهم الآن في الشرق أو الغرب إلا النزر القليل جداً لا تزيد نسبتهم على واحد في كل عشرة ملايين نسمة .

والسحر ذكرته الكتب السماوية وخلفه البابليون والهنود والصينيون وغيرهم في كتاباتهم ونقوشهم وتماثيلهم وآثارهم. . وحوته سجلات وملفات المحاكم في

انجلترا وفرنسا وإيطاليا وبولندة وروسيا واسبانيا والبرتغال وغيرها. . وورد في اعترافات السحرة والساحرات عند محاكمتهم وما خلفوه وراءهم من مواد وأدوات وعقود ومواثيق أبرموها مع الشيطان وما زالت محفوظة في المكتبات العامة أو المتاحف .

ولما كان هذا العلم ممقوتاً عند جميع الأديان، مكروهاً من البشر لما فيه من الضرر البالغ ولما يشترطه من توجه الساحر لنجاح عمله إلى غير الله، فقد قلّت الكتابة فيه قديماً خصوصاً بعد نزول الكتب السماوية وانتشار الأديان وتعاليمها وفرائضها. .وخصوصاًبعد نزول الإسلام بطرق إبطالها لكونه منهجاً عاماً يحكم حياة البشر فلا يضلون ولا يضللون.

وأيضاً لما كان ينتظر الساحر والساحرة من جزاء صارم يصل إلى حد الشنق عند افتضاح أمره لـذلك كانت السحرة تزاوله في الخفاء.

ولأهمية قضية «السحر» الذي شغل الأذهان وسيشغلها. . أردنا أن نفهم حقيقته وأسبابه ونصل إلى معرفته وجلاء أسراره ليهدأ بالنا وتزول حيرتنا. . ولندفع الشك باليقين.

فجعلت الباب الأول من القسم الثاني في «نزعة الشر عند الانسان»، لأن الساحر لا يصل إلى درجة السحر إلا إذا وصل إلى قمة الشر. والباب الثاني في «دافع السحر». والباب الثالث في حقيقته وعمل السحر والساحر ومـــا يـلقـاه من الامتهان والتعذيب ليصبح ساحراً. والباب الرابع في أحكام السحر. . . وحكم الساحر في الإسلام. وحكم إتيان الطرف والكاهن. والباب الخامس في معرفة كيف نبطل عمل الساحر. . فلا يصيبنا سوء. . وبذلك تتضح قضية السحر.

والقسم الثالث تفحصت فيه موقع ابليس اللعين ووسوسته للناس وخصوصاً الجهلة منهم ، فدعوتهم إلى الايمان بالله عز وجل لأن الايمان به دليل صفاء النفس ، وبرهان متانة العقل ، وصفاء الذهن ، ومعرفة الإنسان صدق الحياة والممات .

والعقلاء يلمسون بفطرتهم الذكية. . ونفوسهم الطيبة النقية. . حلاوة الإيمان. . ومرارة الكفر والعصيان. .

والنبلاء يدركون بما لاح لهم من فكر ناضج، ونظر ثاقب.. علاقة البشر بالخير والشر.. واستطاعة البشرية على تحريك جذور الشر أو إضعافها..

ولكن غلب على الناس الجهالة.. فساروا تبعاً لهواهم، ولم يحكموا المنطق السديد، أو العقل المستنير، والفكر القويم، أو التجارب التي قامت على حقائق ثابته، وبراهين قاطعة لتثبيت الوضع الأمثل بل الوحيد الذي يجب أن يكون عليه بنو البشر تجاه خالقهم ورازقهم.. فتناسوا كل النعم، وتجاهلوا كل الاحسان.. فعاثوا في الأرض فساداً، ونثروا فوقها رماداً.. ليعموا أعين الناس.. ولكن شاءت إرادة الحق أن تكون الكلمة العليا للحق وحده.. وإن يزهق الباطل كله.. وأن تنتهي الدنيا بلا إله إلا الله:. محمد رسول الله ﷺ..

إنه إبليس الذي قادهم إلى الهلاك والضلال والاضلال، فقلبوا الحقائق، وزيفوا الأحداث، ونكسوا الموازين..

ذلك أنه وقف وقفته المشهورة أمام ملك الملوك ومقسم الأرزاق ليقول:

﴿ وبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾

الحجر: ٤٠.

وللشيطان جنود وأتباع، بل دولة بأسرها لاضلال بني البشر.. يوضحها حديث رسول الله ﷺ:

«إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول: ما صنعت شيئاً، ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، فيدنيه، أو قال فيلتزمه، ويقول نعم أنت» أ. هـ.

والحق أن الحقبة الأخيرة من الزمان شهد فيها العالم محاكمات السحرة والتي أظهرت بعض الحقائق من خلال اعترافات السحرة عن الشياطين وتعليمهم السحر لهم ووصف مملكتهم.. فجمعنا هذه الاعترافات فوجدناها مطابقة لما في كتاب الله وسنة رسول الله، وأقوال السلف الصالح..

فوضعنا هذا القسم الذي يهدف إلى:

١ ـ التحذير من إبليس وأعوانه.
٢ ـ وصف طرق إغوائه في العصر الحديث..
٣ ـ معرفة ودراسة طرق مصايد الشيطان وإبطالها، والابتعاد عن وساوسه ومكايده..

فجعلت الباب الأول من القسم الثالث في وصف حياة الناس في هذا الزمن، والثاني في عصيان إبليس، والثالث في وصف مملكته ووزوائه وجنوده.. وعمل كل منهم..، والرابع في وصف إبليس كما جاء في القرآن والسنة وأقوال الأئمة الفضلاء..

أسأل الله رب العالمين أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يمدنا بمدد من عنده حتى نحارب هذا الابليس بؤرة الفساد، ومركز الاضلال، وأن يقربنا من الخير وأهله.. وأن يبعدنا عن الشر وأهله.. انه سميع قريب الدعاء.. مولانا رب العالمين..

ابراهيم محمد الجمل

القسم الأول

الحسد

وكيف نتقيه

الباب الأول

ضرورة دراسة سلوك الإنسان

يجب على الانسان أن ينظر إلى سلوكه من حين لآخر، فالحياة تغير منها الكثير، والتقدم الحضاري يباين الفعال والسلوك الفردي والجماعي.. فيعرف الإنسان خطواته وهو يجتاز الحاضر مستفيداً من التجارب والمعارف.

نعم... يجب أن تتحطم جدران السجون التي يعيش فيها كثير من الناس، فلا يرون إلا ما هم فيه، وتخفيفاً لضراوة الخلاف ـ وهو التفاوت الشائع بين منازع الخلق وغاياتهم ـ وتيسيراً على النفوس الموقرة بحواديثها المتناقضة يجب أن تتاح فرص كثيرة للدراسات النظرية التي تجعل «الإنسان» موضوعها الفذ.

إن هذه الدراسات وخصوصاً القائمة على المنطق التجريبي والاستدلال العقلي، ينبغي أن نعيرها اهتماماً زائداً، وأن نتوصل بها إلى إثبات الإيمان الحق.

وهناك علماء كبار أولوا هذا الموضوع ما يستحق من عناية، وألفوا فيه كتباً قيمة... وكتاب « الإنسان » ذلك المجهول لـ « الكسيس كاريل » من أعظم الجهود البشرية في ذلك المجال.

إنه وقفة من الإنسان المعاصر، ليتأمل في نفسه على ضوء التقدم العلمي الساحر الذي بلغه، وليضبط خطواته، وهو يجتاز الحاضر إلى المستقبل، مستفيداً من التجارب الحصينة والمعارف الخصبة التي أتيحت له، وليقوم الأخطاء التي

تسربت إلى مسيره على امتداد الحياة من حيث يدري ولا يدري.

والإنسان كائن عظيم حقاً، ولكنه في غاية التعقيد - كما يقول «الكسيس كاريل»: «وليس من اليسير الحصول على عرض بسيط له، وليست هناك طريقة لفهمه في مجموعه، أو في أجزائه في وقت واحد، كما لا توجد طريقة لفهم علاقاته بالعالم الخارجي».

إن اشتات العلوم والفنون التي يستعان بها على فهم الإنسان قد تلم بجوانب منه، بيد أنها لم تبلغ غوره، وسوف تبقى - بعد مباحثها الكثيرة - فضيلة عظيمة صلبة لا يمكن تجاهلها، وقد تكون هذه الفضيلة الأخيرة متصلة بأعماق الروح، وأبعاد العقل.

إن الإنسان - كما هو معروف للاخصائيين - أبعد من أن يكون ذلك الشبح الجامد! وربما تلاقت جهود شتى على إبراز ملامحه النفسية والفكرية.. فهل استطاعت تلك الجهود أن تستكنه طبيعة الإنسان؟

كلا! لقد عرفنا شيئاً لا بأس به عن كياننا المادي.

إنه عبارة عن المواد الكيميائية التي تؤلف الأنسجة وأخلاط الأجسام.

إنه تلك الجمهرة المذهلة من الخلايا والعصارات المغذية التي درس الفسيولوجيون - علماء وظائف والأعضاء - قوانينها العضوية.

إنه ذلك المركب من العضلات والشعور الذي يحاول علماء الصحة والمعلمون أن يقودوه إلى الدرجات العليا في أثناء نموه مع الزمن.

ثم يتحدث «الكسيس كاريل» عن الإنسان عندما يعلو ويهبط فيقول: «إنه ذلك الكائن الحي العالمي الذي يجب أن يستهلك، من غير انقطاع، السلع التي تنتجها المصانع، حتى يمكن أن تظل الآلات التي جعل لها عبداً دائرة بلا توقف.. ولكنه قد يكون أيضاً شاعراً أو بطلاً أو قديساً، إنه ليس فقط ذلك المخلوق الشديد التعقيد الذي تحلله فنوننا العلمية، ولكنه أيضاً: تلك الميول والتكهنات، وكل ما تنشده الإنسانية من طموح.

وروعة الكيان الإنساني لفتت مفكرينا منذ القديم وجعلتهم ـ على طريقتهم النظرية ـ ينوهون بها، ويومئون إلى أسرارها إيماء المبهور بما وراءها.

وإنك بعد أن تعي كلمات «الكسيس كاريل» عن الإنسان، تقرأ هذه الأبيات «للعز بن عبد السلام» الصوفي، فنجد أن النظرة واحدة والتقدير مساو، وإن اختلف التصور على اختلاف العصور.

يقول العز:

إذا كنت تقرأ علم الحروف فشخصك لوح به أسطر
وتمثال ذلك أنموذج لكل الوجود لمن يبصر
حروف معانيك لا تنجلي لذي الجهل، كلا، ولا تظهر
ومن يك غراً بأسرارها فمعروفها عنده منكر
إذا كان جسمك جسماً صغيراً ففيك انطوى العالم الأكبر
فلا ذرة منك إلا غدت بها يوزن الكون بل أكثر
ولا قطرة منك إلا وفي ينابيع أسرارها أبحر
وكل الوجود إذا قسته إليك فذاك هو الأصغر
وما فيه من عرض حاضر يزول وأنت به جوهر
فأنت الوجود وكل الوجود وما في وجودك لا يحصر[1]

حقاً أن أمر الانسان عجيب فهو يطلق الصاروخ ، ويسخر أعماق البحار والهواء ، ويكسر تعنت الوحوش ، ويقسم الذرة ، وهو ضئيل لا يستطيع التحكم ـ أحياناً ـ في نفسه فيذل ويضل ، بالاضافة إلى أنه لن يستطيع التوصل إلى حقيقة روح نملة . ومهما كانت قدرته ومكانته فقد تقلقه برقة ، وتنته عرقة ، وتميته شرقة .

وهو يعلم قوته وإدراكه وسعة أفقه، ويعلم ضعفه وذلته أمام مشكلات الحياة ومعضلات الزمان.

---

(١) ركائز الايمان للشيخ/محمد الغزالي.

وبالرغم من أنّه يدرك تلك الحقائق ويدرك أن الخالق هو الله وحده ، وأن مآل الانسان إلى التراب ، والوجود للمحاسبة أمام رب الأرباب ، لكنه يتناسى ذلك ويقوم بمعصية رب العباد فلماذا ؟ . هل الأصل منه أن تافه القيمة ؟ كلا . . ولنا أن نتساءل .

فإن كان الإنسان تافه القيمة، ووضعه في الحياة على حالته الفاسدة هذه، هو من طبيعة نظام هذا العالم، ولا يمكن تغيير فساده، بل يكون شره بهذه النسبة الحالية ضربة لا زب، ولا يمكن تخفيفه، فعندئذ يجوز لنا أن نتشاءم، وأن نضمر الشر لنعيش في محيط الشر، ونتخبط فيه خبط عشواء مع أهل الأرض جميعها حتى نفارق الحياة.

ولكني أرى ويرى كل متأمل منصف، أن الإنسانية كأي حقل نباتي أو حيواني خاضع للتحسين والتصفية والاستصلاح والتعهد والإخراج الصالح، وخصوصاً في هذه المرحلة الزمنية التي كشف فيها العلم عن وسائل التربية النفسية والجسمية وإبادة آفاتها بسرعة فائقة.

وليس الإنسان جزءاً من هذه الطبيعة المادية الجامدة التي لا يمكن تغييرها وتبديلها، وإنما هو جزء مرن خاضع للتبديل والتغيير باختلاف التربية والتعهد.

لقد تحقق في التاريخ ما ننشده الآن : فبعض الدول الإسلامية الأولى قد عاشت فيما بينها كدولة ، وفيما بينها وبين غيرها من الدول على صور سامية من الاعتراف بالحقوق والتعاطف وترك الشرور إلى حد ما .

فرضي الله عنها ورضيت هي عنه وعن الحياة، وبعض الأمم الأوروبية الشمالية قبيل الحرب العالمية الثانية، قد عاشت فيما بينها كدولة على صورة سامية رحيمة كريمة، ولكنها قد تعود إلى الأسلوب الوحشي المنحط مع غيرها من الأجناس، والأقوام فليس لها ذلك الإيمان العميق بالإنسانية جميعها.

إذن: لا بأس من الإنسان، ولا يأس مع الحياة تبعاً له وتأثراً من جرائمه، ومن نوازع الشر الحالية فيه، ما دام الدليل التاريخي قد أثبت له صوراً عظيمة من

السمو، وما دمنا نستطيع أن نغير حياته المرنة إلى الصلاح بتغيير أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية.

لقد قال العلم والدين إن الإنسان خرج إلى هذه الدنيا كاملاً جميلاً قوياً «في أحسن تقويم» ثم تطرقت إليه عوامل العطب والعجز والمرض والفساد والتنازع، لضيق فكره وعجز يده عن وسائل التغلب على محيطه حقباً من الدهر، فأورثته الفساد والاختلال، حتى وصل إلى زمنه هذا فاستطاع أن يعثر على مفاتيح راحته باهتدائه إلى سنن التكوين والتخريب، واخضاع الكثير منها لخدمته وانتفاعه.

إذن: لا مبرر لتشاؤمه وتنازعه وسخطه بعد أن رأى من كنوز رحمة ربه ما رأى وإنما الواجب أن يسعى إلى أفق الفجر بعد أن بزغ، ولا يستدبره ويستقبل أفق الليل والظلام.

فإذا أمكن - رفضه من أسفل سافلين، وإرجاعه إلى هيئته التي خلق عليها في أحسن تقويم.. يكون التواني والاهمال والتشاؤم في هذا السبيل قصوراً معيباً وجريمة كبرى.

وإني أرى - ولعلي واهم - ! أن الإنسانية ينتفض جسمها العملاق ليعمل ويسترد مكانه في عليين أو قد صار لأفرادها الآن من الحقوق التي تتصل بالعدالة، ومن مزايا التمتع والراحة وثبات الأرض تحت أقدامها، ومن أحاديث الحريات والكرامات في مؤتمراتها الدولية العامة والخاصة، وصار لها من القدرة على تسخير كثير من قوى الطبيعة، ومن المقام المرموق بين الكائنات.. ما يبعث في صدرها الثقة والإيمان باختيارها والأمل في مستقبلها والصبر على احتمال حاضرها)[١].

وبعد.. فإن الأصل في الإنسان الجمال والطيبة، ولكن يجتهد اعداؤه لطمس وجهته فعليه إذن محاربة هؤلاء الأعداء: ولقد أحسن من قال:

إني ابتليت بأربع ما سلطوا ... إلا لشدة شقوتي وبلائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف الخلاص وكلهم أعدائي

---

(١) أومن بالانسان: للأستاذ عبد المنعم خلاف طـ المجلس الأعلى (٢٩).

فحاول أخي أن تجتهد في إلزام نفسك منهج الله، وأن تسلكها سلوك المؤمنين العارفين..

وها نحن الآن بصدد ذكر طرق الشيطان للوسوسة من ابن آدم علنا نستطيع اتقاءها فنطهر أنفسنا من الآفات، ونفوز برضوان الله رب العباد.

طهارة القلب من أدرانه وأنجاسه:

قال تعالى: «يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر»(١).

وقال تعالى: «أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم. لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم»(٢)

قال العلامة ابن القيم: وجمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم على أن المراد بالثياب ها هنا القلب، والمراد بالطهارة إصلاح الأعمال والأخلاق.

قال الواحدي: اختلف المفسرون في معناه، فروى عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «يغني من الاثم، ومما كانت الجاهلية تجيزه» وهذا قول قتادة ومجاهد، قالا: «نفسك فطهرها من الذنب» ونحوه قول الشعبي وإبراهيم والضحاك والزهري وعلى هذا القول: «الثياب» عبارة عن النفس، والعرب تكني بالثياب عن النفس ومنه قول السماخ:

رموها بأثواب خفاف، فلا ترى
لها شبهاً إلا النعام المنفرا

رموها يعني الركاب بأبدانهم، وقال عنترة:

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على الفتى بمحرم

يعني نفسه.

---

(١) المدثر: ١ - ٤.
(٢) المائدة: ٤١.

وقال في رواية الكلبي: يعني لا تغدر، فتكون غادراً ونسى الثياب، وقال سعيد بن جبير: «كان الرجل إذا كان غادراً قيل: دنس الثياب، وخبيث الثياب» وقال عكرمة: «لا تلبس ثوبك على معصية، ولا على فجره» وروي ذلك عن ابن عباس، واحتج بقول الشاعر:

وأني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من خزيه اتقنع

وهذا المعنى أراده من قال «وعملك فأصلح» وهو قول أبي رزين ورواية منصور ومجاهد وأبي روق، وقال السدى: يقال للرجل إذا كان صالحاً: إنه لطاهر الثياب وإذا كان فاجراً: إنه لخبيث الثياب. قال الشاعر:

لا هم إن عامر بن جهم أو ذم حجا في ثياب دسم[1]

يعني أنه متدنس بالخطايا، وكما وصفوا الغادر الفاجر بدنس الثوب وصفوا الصالح بطهارة الثوب، قال امرؤ القيس:

ثياب بني عوف طهارة نقية).

يريد أنهم لا يغدرون، بل يفون، وقال الحسن «خلقك فحسنه» وهذا قول القرطبي، وعلى هذا: الثياب عبارة عن الخلق، لأن خلق الانسان يشتمل على أحواله اشتمال ثيابه على نفسه.

وروى العوفي عن ابن عباس في هذه الآية «لا تكن ثيابك التي تلبسن من مكسب غير طيب» والمعنى طهرها من أن تكون مغضوبة أو من وجه لا يحل اتخاذها منه، وروى عن سعيد ابن جبير. «وقلبك ونيتك فطهر» وقال أبو العباس: الثياب اللباس ويقال: القلب، وعلى هذا ينشد:

(فسلي[2] ثيابي من ثيابك تنسل)

(١) أو ذم الحج: فرضه على نفسه، والدسم: جمع دسم أي الدنس، والمعنى أنه أحرم بالحج وهو محل بالذنوب والأوزار» أ. هـ. محقق نسخة الحلبي.

(٢) صدر بيت من معلقة أمرىء القيس وتمامه.

وإن تك قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

ونسل الريش ينسل: سقط. أ: هـ. محقق نسخة الحلبي.

وذهب بعضهم في تفسير هذه الآية إلى ظاهرها، وقال: إنه أمر بتطهير ثيابه من النجاسات التي لا تجوز معها الصلاة، وهو قول ابن سيرين وابن زيد، وذكر أبو اسحاق: «وثيابك فقصر» قال: لأن تقصير الثوب أبعد من النجاسة، فإنه إذا انجر على الأرض لم يؤمن أن يصيبه ما ينجسه، وهذا قول طاوس، وقال ابن عرفه «معناه: نساءك طهرهن» وقد يكنى عن النساء بالثياب، قال تعالى:

﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾[1].

ويكنى عنهن بالإزار ومنه قول الشاعر:

ألا أبلغ أبا حفص رسولاً فدى لك من أخي ثقة إزاري

أي أهلي، ومنه قول البراء بن معرور للنبي ﷺ ليلة العقبة «لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا» أي نساءنا.

قلت: الأية تعم هذا كله، وتدل عليه بطريق التنبيه واللزوم إن لم يتناول ذلك لفظاً فإن المأمور به إن كان طهارة القلب، فطهارة الثوب وطيب مكسبه تكميل لذلك، فإن خبث الملبس يكسب القلب هيئة خبيثة، كما أن خبث المطعم يكسبه ذلك، ولذلك حرم لبس جلود النمور والسباع بنهي النبي ﷺ عن ذلك في عدة أحاديث صحاح لا معارض لها، لما تكسب القلب من الهيئة المشابهة لتلك الحيوانات، فإن الملابسة الظاهرة تسري إلى الباطن، ولذلك حرم لبس الحرير والذهب على الذكور لما يكتسب القلب من الهيئة التي تكون لمن لبسه من النساء وأهل الفخر والخيلاء .

والمقصود: أن طهارة الثوب وكونه من مكسب طيب هو تمام طهارة القلب وكمالها، فإن كان المأمور به ذلك فهو وسيلة مقصودة لغيرها، فالمقصود لنفسه أولى

---

(١) ١٨٧ : البقرة.

أن يكون مأموراً به وإن كان المأمور به طهارة القلب وتزكية النفس، فلا يتم إلا بذلك فتبين دلالة القرآن على ذلك .

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبنا لما شبعنا من كلام الله».

فالقلب الطاهر، لكمال حياته ونوره وتخلصه من الأدران والخبائث، لا يشبع من القرآن، ولا يتغذي إلا بحقائقه، ولا يتداوى إلا بأدويته بخلاف القلب الذي لم يطهره الله تعالى، فإنه يتغذى من الأغذية التي تناسبه، بحسب ما فيه من النجاسة، فإن القلب النجس كالبدن العليل المريض، لا تلائمه الأغذية التي تلائم الصحيح.

ودلت الآية على أن طهارة القلب موقوفة على إرادة الله تعالى «وأنه سبحانه لما لم يرد أن يطهر قلوب القائلين بالباطل، المحرفين للحق لم يحصل لها الطهارة.

ولا يصح أن تفسر الإرادة ها هنا بالإرادة الدينية، وهي الأمر والمحبة، فإنه سبحانه قد أراد ذلك لهم أمراً ومحبة، ولم يرده فيهم كوناً فأراد الطهارة لهم، وأمرهم بها، ولم يرد وقوعها منهم، لما له في ذلك من الحكمة التي فواتها أكره إليه من فوات الطهارة منهم.

ودلت الآية على أن من لم يطهر الله قلبه فلا بد أن يناله الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، بحسب نجاسة قلبه وخبثه، ولهذا حرم الله سبحانه الجنة على من في قلبه نجاسة وخبث، ولا يدخلها إلا بعد طيبه وطهره، فإنها دار الطيبين، ولهذا يقال لهم (طبتم فادخلوها خالدين)[1] أي أدخلوها بسبب طيبكم: والبشارة عند الموت لهؤلاء دون غيرهم؟ كما قال تعالى: «الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون: سلام عليكم ادخلوا الجنة ما كنتم تعلمون﴾[2].

---

(١) ٧٣: الزمر

(٢) ٣٢: النحل.

فالجنة لا يدخلها خبيث، ولا من فيه شيء من الخبث، فمن تطهر في الدنيا ولقي الله طاهراً من نجاساته دخلها بغير معوق، وإن لم يتطهر في الدنيا فإن كانت نجاسته عينية، كالكافر لم يدخلها بحال، وإن كانت نجاسته كسبية عارضة دخلها بعد ما يتطهر في النار من تلك النجاسة، ثم لا يخرج منها، حتى أن أهل الايمان إذا جاوزا الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيهذبون وينقون من بقايا بقيت عليهم، قصرت بهم عن الجنة، ولم توجب لهم دخول النار، حتى إذا هذبوا ونقوا إذن لهم في دخول الجنة. . والله سبحانه بحكمته جعل الدخول عليه موقوفاً على الطهارة، فلا يدخل المصلى عليه حتى يتطهر. وكذلك الدخول إلى جنته موقوف على الطيب والطهارة، فلا يدخلها إلا طيب طاهر: فهما طهارتان: طهارة البدن، وطهارة القلب، ولهذا شرع للمتوضىء أن يقول عقيب وضوئه:

« أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم أجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين».

فطهارة القلب بالتوبة، وطهارة البدن بالماء، فلما اجتمع له الطهران صلح للدخول على الله تعالى والوقوف بين يديه ومناجاته[1].

علاج مرض القلب:

القرآن أرشد إلى دفع عداوة النفس والشيطان بأسهل الطرق بالاستعاذة والإعراض عن الجاهلين ودفع إساءتهم بالإحسان. وأخبر عن عظم حظ من لقاه ذلك فإنه ينال بذلك كف شر عدوه وانقلابه صديقاً، ومحبة الناس له، وثناؤهم عليه، وقهر هواه، وسلامة قلبه من الغل. هذا غير ما يناله من كرامة الله وحسن ثوابه ورضاه عنه، وهذا غاية الحظ عاجلاً وآجلاً، ولما كان ذلك لا ينال إلا بالصبر قال « وما يلقاها إلا الذين صبروا »[2] فإن النزق الطائش لا يصبر على المقابلة.

---

(١) أغاثة اللهفان ط الحلبي (٦٩) بتصرف.

(٢) سورة فصلت: ٣٥

ولما كان الغضب مركب الشيطان ، فتتعاون النفس الغضبية والشيطان على النفس المطمئنة التي تأمر بدفع الإساءة بالاحسان ـ لكن النفس المطمئنة تستعيذ بالله فتقوى على مقاومة جيش النفس الغضبية ، ويأتي مدد البصر الذي يكون النصر معه وجاء مدد الايمان ، والتوكل فأبطل سلطان الشيطان .

﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنو وعلى ربهم يتوكلون ﴾[1].

قال مجاهد وعكرمة والمفسرون: ليس له حجة.

والصواب: أن يقال: ليس له طريق يتسلط بها عليهم: لا من جهة الحجة، ولا من جهة القدرة، والقدرة داخلة في مسمى السلطان، وإنما سميت الحجة سلطاناً لأن صاحبها يتسلط بها على الآخرين ، وقد أخبر سبحانه أنه لا سلطان لعدوه على عباده المخلصين المتوكلين فقال في سورة الحجر :

﴿ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين، إلا عِبادك منهم المخلصين، قال هذا صراط عليَّ مستقيم. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾[2].

قوله «إنما سلطانه عِلى الذين يتولونه»[3].

فهو تسلط عليهم بالأغواء والأضلال، فتمكن منهم: بحيث يؤزهم إلى الكفر والشرك ويزعجهم إليه، ولا يدعهم يتركونه كما قال تعالى:

﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤُزُّهُم أزّاً ﴾[4]

قال ابن عباس «تغريهم إغراء» وفي رواية تشيلهم إشلاء[5] وفي لفظ

---

(١) النحل: ٩٩

(٢) الحجر: ٣٩ ـ ٤٢

(٣) ١٠٠ النحل ١٠٠.

(٤) ٨٣: مريم.

(٥) أشلى الناقة: دعاها ليحلبها.

«تحرضهم تحريضاً» وفي آخر «تزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً، وفي آخره «توقدهم» أي تحركهم كما يحرك الماء بالإيقاد تحته، قال الأخفش «توهجهم».

وحقيقة ذلك: أن «ألاز» هو التحريك والتهييج، ومنه يقال لغليان القِدْر: الأزيز، لأن المياه يتحرك عند الغليان، ومنه الحديث «لجوفه أزير كازير المرجل من البكاء»:

قال أبو عبيدة «الأزير» الالتهاب والحركة، كالتهاب النار في الحطب يقال: إز قدرك أي ألهب تحتها بالنار، وأيزت القدر إذا اشتد غليانها، فقد حصل للأز معنيان: أحدهما: التحريك، والثاني: الإيقاد والإلهاب، وهما متقاربان فإنه تحريك خاص بإزعاج وإلهاب.

فهذا من السلطان الذي له على أوليآئه وأهل الشرك، ولكن ليس له على ذلك سلطان وحجه وبرهان، وإنما استجابوا له بمجرد دعوته إياهم، لما وافقت أهواءهم وأغراضهم، فهم الذين أعانوا على أنفسهم ومكنوا عدوهم من سلطانه عليهم، بموافقته ومتابعته فلما أعطوا بأيديهم واستأسروا له سلط عليهم عقوبة لهم، وبهذا يظهر معنى قوله سبحانه ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾(١) .

فالآية على عمومها وظاهرها، وإنما المؤمنون يصدر منهم من المعصية والمخالفة التي تضاد الإيمان به وللكافرين عليهم سبيل بحسب تلك المخالفة فهم الذين تسببوا إلى جعل السبيل عليهم كما تسببوا إليه يوم أحد بمعصية الرسول ومخالفته ، ولله على العبد سلطاناً حتى يجعل له العبد سبيلاً إليه بطاعته والشرك به ، فجعل الله حينئذ له تسلطاً وقهراً ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

فالتوحيد والتوكل والاخلاص يمنع سلطانه، والشرك وفروعه يوجب سلطانه والجميع بقضاء من أزمة الأمور بيده ومردها إليه، وله الحجة البالغة، فلو شاء

---

(١) النساء: ١٤١.

لجعل الناس أمة واحدة ولكن أبت حكمته وحده وملكه إلا ذلك ﴿ فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾[1].

فكن أخي من الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، وجاهد نفسك وهواك تكن من الفائزين.

(١) الجاثية: ٣٦، ٣٧.

الباب الثاني

بريد الحسد: الغضب والحقد

قال الشيخ أبو حامد الغزالي رحمه الله:

«فإن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، وإنها لمستكنة في طي الفؤاد، استكنان الجمر تحت الرماد، ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد، وقد انكشف للناظرين بنور اليقين أن الإنسان ينزع منه عرقٌ إلى الشيطان اللعين، فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال: ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾[1] فإن شأن الطين السكون والوقار، وشأن النار التلظي والاستعار، والحركة والاضطراب.

ومن نتائج الغضب الحقد والحسد، وبها هلك من هلك، وفسد من فسد، وفيهما مضغة إذا صلحت صلح معها سائر الجسد، وإذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد إلى مواطن العطب فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساوئه ليحذر ذلك ويتقيه، ويميطه عن القلب إن كان وينفيه، ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه فإن من لا يعرف الشر يقع فيه، ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه.

---

(١) سورة الأعراف: ١٢.

ذم الغضب:

قال الله تعالى: ﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ الآية[١]. ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة.

وروى أبو هريرة أن رجلاً قال: «يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال: لا تغضب»[٢].

وقال ابن عمر «قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولاً وأقلله لعلي أعقله فقال: لا تغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلي لا تغضب»[٣].

وعن ابن مسعود قال النبي ﷺ: «ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال: ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب»[٤].

قال الحسن: يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويوشك أن تثب فتقع في النار.

وعن ذي القرنين أنه لقي ملكاً من الملائكة فقال: علمني علماً ازداد به إيماناً ويقيناً قال: لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب، فرد الغضب بالكظم وسكته بالتؤدة، وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلاً ليناً للقريب والبعيد ولا تكن جباراً عنيداً.

وعن وهب بن منبه أن راهباً كان في صومعته فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه، فقال له افتح فلم يجبه، فقال: افتح فإني إن ذهبت ندمت فلم يلتفت إليه، فقال: إني أنا المسيح، قال الراهب: وإن كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره

---

(١) سورة التوبة: ٢٦.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه أبو يعلي باسناد جيد.
(٤) حديث ابن مسعود «ما تعدون الصرعة» رواه مسلم.

لم نقبله منك؟ فقال: إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم استطع فجئتك لتسألني عما شئت فأخبرك فقال: ما أريد أن أسألك عن شيء قال فولى مدبراً فقال فسمع الراهب: ألا تسمع قال بلى، قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم قال: الحدة، إن الرجل إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة. .

وقال خيثمة: الشيطان يقول: كيف يغلبنى ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه.

وقال جعفر بن محمد: الغضب مفتاح كل شر.

وقال بعض الأنصار: رأس الحمق الحدة، وقائده الغضب، ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم، والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحمق جوابه.

وقال مجاهد: قال ابليس ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث: إذا سكر أحدهم أخذنا بخرامته فقد تاه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا، وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونمنّيه بما لا يقدر عليه.

وقيل لحكيم: ما أملك فلاناً لنفسه قال: إذاً لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب.

وقال بعضهم: إياك والغضب فإنه يصيرك إلى ذلة الاعتذار، وقيل اتقوا الغضب فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل.

وقال عبد الله بن مسعود: انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه إذا لم يغضب، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك على رجل فاحبسه فإذا اسكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز خمسة عشر سوطاً.

وقال علي بن زيد: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق

عمر زماناً طويلاً ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً.

وقال بعضهم لابنه: يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير[1] المسجورة، فأقل الناس غضباً أعقلهم فإن كان للدنيا كان دهاء ومكراً، وإن كان للآخرة كان حلماً وعلماً فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل، وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب قال في خطبته «أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى، والغضب.

وقال بعضهم: من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار.

وقال الحسن: من علامات المسلم قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وعلم في حلم، وكيس في رفق، وإعطاء في حق وقصد في غنى، وتجمل في فاقة وإحسان في قدرة، وتحمل في رفاقة، وصبر في شدة لا يغلبه الغضب، ولا تجمع به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنة ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نيته فينصر المظلوم، ويرحم الضعيف، ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقترف، يغفر إذا ظلم، ويعفو عن الجاهل، نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء.

وقيل لعبد الله بن المبارك: أجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال: ترك الغضب.

وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه من يتكفل لي أن لا يغضب فيكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم: أنا، ثم أعاد عليه فقال الشاب: أنا أوفي به، فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لأنه تكفل بالغضب، ووفى به.

وقال وهب بن منبه: للكفر أربعة أركان: الغضب والشهوة، والخرق، والطمع.

---

(١) التنانير: الأفران.

حقيقة الغضب:

أعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضاً للفساد والموتان[1] بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجه عنه أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم سماه في كتابه. أما السبب الداخل فهو أنه ركبه من الحرارة والرطوبة، وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة لا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخاراً يتصاعد منها، فلو لم يتصل بالرطوبة عدد من الغذاء يجبر ما أنحل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان.

فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في خير ما انكسر وسد ما انثلم[2] ليكون ذلك حافظاً له من الهلاك بهذا السبب.

وأما الأسباب الخارجية التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر إلى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها في الانسان وعجنها بطينة فمهما صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثوراناً يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع إلى أعالي البدن كما يرتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر، فلذلك ينصب إلى الوجه الدم فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها، وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فإن صدر الغضب على من فوقه، وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً ولذلك يصفر اللون.

وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب.

---

(١) الموتان: الهلاك.

(٢) انثلم: تفرق.

وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها، ولا تسكن إلا به ثم إن الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط والإفراط والاعتدال.

أما التفريط فبفقده هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه إنه لا حمية له.

وأما الافراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر، وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب، لأن الغضب من النار، وإنما مردودة المزاج تطفئه وتكسر سورته.

وأما الأسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوماً يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم: أنا الذي لا أصبر على المكر والمحال، ولا أحتمل من أحد أمراً، ومعناه لا عقل فيَّ ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسَّخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة، فإذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضباً وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطفىء نور العقل وينعم في الحال بدخان الغضب فإن معدن الفكر (الرأس) ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان وظلم إلى (الرأس) يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى إلى معادن الحسن فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه، وتسود عليه الدنيا بأسرها ويمكن دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسود وجه، وحمي مستقره، وامتلأ الدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحى أو انطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا نرى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي أن يصبر إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب

بالقلب (والرأس) وربما تقوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظاً كلما توى النار في الكهف فينشقت وتنهد[1] أعاليه على أسفله وذلك لإبطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لأجزائه.

فهكذا حال القلب عند الغضب، وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالاً وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظاً إذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظرها ويسوها. وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذ أعماه الغضب وأصمه، ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الأحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته، واستحالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فإن الظاهر عنوان الباطن، وإنما قبحت صورة الباطن أولاً ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانياً فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالمثمرة فهذا أثره في الجسد.

أثر الغضب في اللسان والأعضاء:

وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحيي منه ذو العقل ويستحي منه قائله عند فتور الغضب، وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ. وما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فإن هرب منه المغضوب عليه أو فاته لسبب ما وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ولطم وجهه وقد يضرب بيده الأرض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير، وربما يسقط سريعاً لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية، وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب (القصعة) مثلاً على الأرض، وقد يكسر المائدة إذا

---

(١) تنهد: يفتر ويتشقق.

غضب عليها، ويتعاطى أفعال المجانين فيسم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول إلى متى منك هذا كأنه يخاطب عاملاً حتى ربما عامل حيواناً كأنه إنساناً.

أثر الغضب في القلب:

وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد وإضمار السوء والشماته بالمساآت والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح.

فهذه ثمرة الغضب المفرط، أما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يوقف منه من التعرض للحرم والزوجة واحتمال الذل من الإخساء وصغر النفس والقماءة وهو أيضاً مذموم إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة، قال ﷺ: «إن سعداً لغيور وأنا أغير من سعد وإن الله أغير مني»[1] أ. هـ.

الحكمة في خلق الغضب:

وإنما خلقت الغيرة لحفظ الانساب، ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب، ولذلك قيل: كل أمة وضعت الغيرة في رجالها، وضعت الصيانة في نسائها، ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات.

قال تعالى: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾[2] بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه إذ لا تتم الرياضة إلا يتسلط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة، ففقد الغضب مذموم وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفىء حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي أشار إليه الخبر «خير الأمور أوساطها» أ. هـ.

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة، والحديث متفق عليه من حديث المغيرة بنحوه.

(٢) سورة النور: ٢.

فمن مال غضبه إلى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوي غضبه، ومن مال غضبه إلى الافراط حتى جره إلى التهور واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب، ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم، وهو أرق من الشرعة وأحد من السيف، فإن عجز عنه فليطلب القرب منه، قال تعالى: ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾[1] فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله، ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على ما يشاء قدير»[2].

دوافع الغضب:

قد عرفت أن علاج كل علة حسب مادتها وإزالة أسبابها، فلا بدَّ من معرفة أسباب الغضب.

وقد قيل ليحيى ولعيسى عليهما السلام: أي شيء أشد؟ قال: غضب الله، قال فما تقرب من غضب الله، قال أن تغضب، قال فما يبدىء الغضب وما ينبته، قال عيسى: الكبر والفخر والتعزز والحمية.

ودوافع الغضب هي: الزهو والعجب والمزاح والهزل والتعيير والمماراة والمجانة والغدر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها، فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك.

وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب

---

(١) سورة النساء: ١٢٩.

(٢) الأحياء (١٦٥/٣) ط الحلبي بتصرف.

واحد، وإنما اختلفوا في الفضل أشتاتاً، فبنو آدم جنس واحد، وإنما الفخر بالفضائل، والفخر والعجب والكِبَرُ أكبر الرذائل، وهي أصلها ورأسها، فإذا لم تتخل عنها فلا فضل لك على غيرك، فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة، وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفْضل عنه إذا عرفت ذلك.

وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة، وأما الهزل فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك، وأما التعبير فالحذر عن القول القبيح صيانة للنفس عن مر الجواب.

وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلباً لعز الاستغناء وترفعاً عن ذل الحاجة.

وكل خلق من هذه الأخلاق، وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة، وحاصل رياضاتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها، وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس، فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل، وتخلصت أيضاً من الغضب الذي يتولد منها.

ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولة وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلاً حتى تميل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض المدح والشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب إلى القلب بسببه ونسمي هذا عزة نفس وشجاعة، جهلاً بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو الضعف النفسي ونقصانها وآية ذلك أنه لضعف النفس ترى المريض أسرع غضباً من الصحيح والمرأة أسرع غضباً من الرجل، والصبي أسرع غضباً من الرجل الكبير، والشيخ الضعيف أسرع غضباً من الكهل، وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضباً -من صاحب الفضائل، فالبذيء يغضب لشهوته إذا فاتته

اللذة ولبخله إذا فاتته اللقمة حتى إنه يغضب على أهله وولده وأصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال ﷺ[1] بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بل تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء، وضد ذلك منقول عن الأكراد والأتراك والجهلة والأغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم.

علاج الغضب:

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب، وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فإذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل، وأما العلم فهو ستة أمور:

الأول: يتفكر في الأخبار التي وردت في فضل كظيم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكاظم عن التشفي والانتقام وينطفىء عنه غيظه.

وقال مالك بن أوس بن الجدثان: غضب عمر على رجل وأمر بضربه، فقلت: يا أمير المؤمنين ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[2]، فكان عمر يقول: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» فكان يتأمل في الآية وقافاً[3] عند كتاب الله مهما تلى عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه، وخلى الرجال.

وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى: «والكاظمين الغيظ» فقال لغلامه: خل عنه.

الثاني: أن يخوف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول: قدرة الله عليَّ أعظم من

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٣) وقافاً: أي يقف متأملاً عندها كثيراً.

قدرتي على هذا الانسان، فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله غضبه عليَّ يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو، فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة: «يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق».

وقيل: ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها: ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة، فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه.

الثالث: أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب، وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه فإنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محظوره أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل، وما يعينه على الآخرة فيكون مثاباً عليه.

الرابع: أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي، ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب بالأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء، ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء في عاداتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان من قوم تقي معه مسكة من عقل.

الخامس: أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له: إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيراً في أعين الناس فيقول لنفسه: ما أعجبك تأنفين من الاحتمال الآن؟ ولا تأنفين من خزي يوم القيامة؟ والانتصاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منه، وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس، ولا تحذرين من أن تصغري عند الله والملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله، وذلك يعظمه عند الله فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من

ذله لو انتقم الآن. . أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة: «ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا»، فهذا أو أمثاله من معارف الايمان ينبغي أن يكرره على قلبه.

السادس: أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا وفق مراده فكيف يقول: مرادي أولى من مراد الله، ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه.

وأما العمل فإن تقول بلسان: أعوذ بالله من الشيطان، هكذا أمر رسول الله ﷺ أن يقال عند الغيظ[1] أ. هـ.

الحقد يثمر الحسد

الحقد يثمر الحسد، والحسد يؤدي إلى غضب المولى سبحانه، والحقد ثمرة الغضب إذ إن الغضب عادة ما يلزمه كظم من الإنسان ولكنه أحياناً يعجز عن الكظم فيرجع إلى نفسه ويشتد فى الأحتقان والنفرة فيصير حقداً.

والحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه، وأن يدوم ذلك.

والحقد يثمر ثمانية أمور:

أولها: الحسد، وهو أن يملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة إن أصابها، وتسر بمعصية إن نزلت به، وهذا من فعل المنافقين والعياذ بالله.

ثانيها: أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن فتشمت بما أصابه من البلاء.

ثالثها: أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه، وإن طلبك وأقبل عليك.

رابعها: وهو دونه أن تعرض عنه استصغاراً له.

خامسها: أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر، وهتك ستر وما إلى ذلك.

---

(١) الاحياء (٣/١٦٨، ١٦٩) ط الحلبي.

سادسها: أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه.

سابعها: إيذاؤه بالضرب وما يؤلم به.

ثامنها: أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة وكل ذلك حرام.

وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة، ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تعصى الله به ولكن طهر الباطن، ولا تنه قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق، والعناية والقيام بحاجاته، والمجالسة معه على ذكر الله تعالى، والمعاونة على المنفعة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته، فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين، ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل، وإن كان لا يعرضك لعقاب الله.

ولما حلف أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أن لا ينفق على مسطح وكان قد تركه لكونه تكلم في واقعة الإفك نزل قوله تعالى؛ ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم ﴾ إلى قوله: ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾[1]. فقال أبو بكر: نعم نحب ذلك وعاد إلى الانفاق عليه[2].

والأولى أن يبقى على ما كان عليه، فإن أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وإرغاماً للشيطان فذلك مقام الصديقين، وهو من فضائل أعمال المقربين، فللحاقد ثلاثة أحوال عند القدرة:

أحدها: أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل.

الثاني: أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل.

الثالث: أن يظلمه بما لا يستحقه، وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل، والثاني هو اختيار الصديقين والأول هو منتهى درجات الصالحين[3].

---

(١) سورة النور: ٢٢.

(٢) الحديث متفق عليه عن عائشة.

(٣) احياء علوم الدين (١٧٧/٣) ط الحلبي.

العفو والإحسان:

العفو والاحسان سبيل إلى الخروج من آفات النفوس، وطريق للقضاء على وساوس الشيطان، وبرهان على قتل الحسد والحقد في النفس البشرية.

يقول الشيخ أبو حامد الغزالي: «اعلم أن معنى العفو يستحق حقاً فيسقطه ويبرىء عنه من قصاص أو غرامة، وهو غير الحلم وكظم الغيظ. قال تعالى: ﴿ خذ العفو وأمر العرف، وأعرض عن الجاهلين ﴾[1]. وقال الله تعالى: ﴿ وأن تعفو اقرب للتقوى ﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حلافاً لحلفت عليهن: ما نقص مال من صدقة فتصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله إلا زاده الله بها يوم القيامة، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»[3] أ. هـ.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك ما لم يكن إثماً»[4] أ. هـ.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذي له على الله أجر؟ قال: العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألفاً فيدخلونها بغير حساب»[5] أ. هـ.

وقال ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لوالي أمر أن يؤ تي بحد إلا أقامه والله غفو يحب العفو ثم قرأ: (وليعفوا وليصفحوا)»[6].

---

(١) ١٩٩ : الأعراف.
(٢) ٢٣٧ : البقرة.
(٣) أخرجه الترمذي من حديث أبي كبشة الانماري، ولمسلم وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة.
(٤) أخرجه مسلم وهو عند الترمذي بلفظ آخر.
(٥) الحديث أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق وفيه الفضل بن يسار.
(٦) الحديث رواه الإمام أحمد والحاكم وصححه، والآية: من سورة النور.

وقال إبراهيم التيمي: «إن الرجل ليظلمني فأرحمه» أ. هـ. وهذا إحسان وراء العفو لأنه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم، وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب.

وقال بعضهم: إذا أراد الله أن يتحف عبداً قيض له من يظلمه، ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو إليه رجلاً ظلمه ويقع فيه. فقال له عمر: إنك إن تلق الله ومظلمتك كما هي خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها.

وقال يزيد بن ميسرة: إن ظللت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول: «إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته، فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك، وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسعكما عفوي».

وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه: كل الظالم إلى ظلمه، فإنه أسرع إليك من دعائك عليه إلا أن يتداركه بعمل، وقمن أن لا يفعل.

وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال: «بلغنا أن الله تعالى يأمر منادياً يوم القيامة فينادي: من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس.

وعن هشام بن محمد قال: أتى النعمان بن المنذر برجلين قد أذنب أحدهما ذنباً عظيماً فعفا عنه، والآخر أذنب ذنباً خفيفاً فعاقبه وقال:

تعفو الملوك عن العظيم ... من الذنوب بفضلها
ولقد تعاقب في اليسير ... وليس ذاك لجهلها
إلا ليعرف حلمها ... ويخاف شدة دحلها

فإياك أخي أن تكون من الظالمين، أو السائرين معهم، أو المحيطين بهم، ابتعد عنهم وجانبهم وكن مع الله.. ولقد صدق من قال:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم[1]

وعن مبارك بن فضاله قال: وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر قال: فكنت عنده إذ أتى برجل فأمر بقتله. فقلت: يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر؟ فقلت: يا أمير المؤمنين: ألا أحدثك حديثاً سمعته من الحسن؟ قال: وما هو؟ قلت: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذ منهم البصر، فيقوم مناد فينادي: من له عند الله يد فليقم، فلا يقوم إلا من عفا. فقال: والله لقد سمعته من الحسن فقلت: والله لسمعته منه. فقال: خلينا عنه.

وقال معاوية: عليكم بالحلم والاحتمال حتى تملكنكم الفرصة فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والافضال.

وروي أن راهباً دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب: أرأيت ذا القرنين أكان نبياً؟. فقال: لا، ولكنه إنما أعطى ما أعطى بأربع كن فيه: كان إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا حدث صدق، ولا يجعل شغل اليوم لغد.

وقال بعضهم: ليس الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر عفا. وقال زيادة القدرة: تذهب الحفيظة، يعني الحقد والغضب.

وأتى هشامَ برجل بلغه عنه أمر، فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته، فقال له هشام: وتتكلم أيضاً؟ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، قال الله عز وجل:

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١٨٠) ط الحلبي.

(٢) اعلم وفقك الله أن للظلم عاقبة سوء، لأنه المنتقم من الظالم هو الله، وإن الله ليرفع دعوة المظلوم فوق الغمام ويقول لها: وعزتي وجلالي لا نصرتك ولو بعد حين».

وليس الظلم ظلم الناس، بل من الظلم ظلمك لنفسك إذا تركتها تسير تبعاً لهواها ووراء شهواتها، فإنك تلقى بها إلى التهلكة فتكون قد ظلمتها.

«يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها». أفتجادل الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلاماً. قال هشام: بلى، ويحك تكلم.

وروي أن سارقاً دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له: اقطعه فإنه من أعدائنا. فقال: بل استر عليه لعـل الله يستر عليَّ يوم القيامة.

وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاماً فابتاع ثم طلب الدراهم، وكانت في عمامته، فوجدها قد حلت فقال: حلت وأنها لمعي فجعلوا يدعون علي من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها، اللهم افعل به كذا. فقال عبد الله: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه.

وقال الفضيل: ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس إلي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه، فجعل يبكي. فقلت: أعلى الدنانير؟ فقال: لا. ولكن مثول[1] وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف عقلي على إدحاض حجته فبكائي رحمة له.

وقال مالك بن دينار: أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلاً وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج[2]، فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته ومن بيعهم إياه، وطرحهم له في الجب. فقال: باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم، وذكر ما لقي من كيد النساء، ومن الحبس ثم قال: أيها الأمير. ماذا صنع الله به؟ أداله منهم[3]، ورفع ذكره، وأعلى كلمته، وجعله على خزائن الأرض فماذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أهله؟ قال: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر لكم وهو أرحم الراحمين»[4] يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه. قال الحكم فأنا أقول لا تثريب

---

(١) أي تذكرت كأني وهو بين يدي الله يفصل بيننا.

(٢) الفراريج: الدجاج.

(٣) أداله: أبعده عندهم وصرف كيدهم.

(٤) سورة يوسف: ٩٢.

عليكم اليوم، ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لو اريتكم تحته.

وكتب ابن المقفع[1] إلى صديق له يسأله العفو عن بعض إخوانه: فلان هارب من زلته إلى عفوك لائذ منك بك.

واعلم أنه لن يزداد الذنب عظماً إلا ازداد العفو فضلاً.

وأتى عبد الملك بن مروان بأساري بن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة: ما ترى؟ قال: إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر، فأعط الله ما يحب من العفو. فعفا عنهم.

وروي أن زياداً أخذ رجلاً من الخوارج فأفلت منه، فأخذ أخاً له فقال له: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك. فقال: أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيله؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى، ثم تلا: ﴿ أولم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفي أن لاتزر وازرة وزر أخرى ﴾[2]. فقال زياد: خلوا سبيل هذا الرجل، قد لقن حجته.

وقيل: مكتوب في الإنجيل: من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان.

فكان السلف علماء أتقياء يعفون ويصفحون متخلقين بأخلاق الاسلام، فأنار الله بصائرهم فعاشوا علماء بفضل الله عليهم لالتزامهم وتقبلهم ما أمر الله سبحانه به.

---

(١) ابن المقفع: أديب عالم قوي الأسلوب غزير المادة، له طباع متناقضة فاتصف بالبذاءة وكثرة السب، واتصف بالكرم والجود بل ودفع الضرر عن الناس على حساب نفسه.

(٢) سورة النجم: (٣٦)، (٣٧)، (٣٨).

الباب الثالث

الحسد ودوافعه النفسية

الحسد من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب، فهو فرع من فروعه، والغضب أصل أصله، والحسد دليل على ضعف النفس البشرية وعلة عللها، وضياع بهائها، فلو عقل انسان أمر الدنيا وما عليها ولو وصل إلى درجة من العلم يدرك عندها بعض الحقائق لانتفى الحسد منه، وكان أبعد شيء إليه.

ولقد وردت أخبار كثيرة في ذم الحسد ومنها:

قوله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» أ. هـ.[1].

وقوله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً» أ. هـ[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ: فقال: يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة، قال فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل، وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له: إني لأحيت

---

(١) رواه أبو داود من حديث أبي هريرة، وابن ماجه من حديث أنس.
(٢) الحديث متفق عليه.

أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تأويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت. فقال نعم، فبات عنده ثلاث ليال، فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى، ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر، قال غير أني ما سمعته يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملاً كثيراً، فما الذي بلغ بك ذلك؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشاً ولا حسداً على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله: فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا تطيق» أ. هـ.[١].

وقوله ﷺ: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر. ولكن حالقة الدين، والذي نفس محمد بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟ أفشوا السلام بينكم»[٢] أ. هـ.

وقوله ﷺ: «إنه سيصيب أمتي داء الأمم قالوا: وما داء الأمم؟ قال: الأشر والبطر والتكاثر، والتنافس في الدنيا، والتباعد، والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج» أ. هـ[٣].

وقوله ﷺ: «لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك»[٤] أ. هـ.

---

(١) رواه الامام أحمد باسناد صحيح على شرط الشيخين، ورواه البزار وسمى الرجل في رواية له سعداً، وفيها ابن لهيعة.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث مولى الزبير عن الزبير.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد، والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد جيد.

(٤) أخرجه الترمذي في الأوسط من حديث واثلة بن الأسقع، وقال: حسن غريب، وفي رواية ابن أبي الدنيا «فيرحمه الله».

وقوله ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون» أ. هـ.[1].

وقوله ﷺ: «إن لنعم الله أعداء، فقيل. ومن هم؟ فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» أ. هـ[2].

وروي أن موسى عليه السلام لما تعجل إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش رجلاً فغبطه بمكانه فقال: إن هذا لكريم على ربه فسأله ربه تعالى أن يخبره وكان لا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة.

وقال زكريا عليه السلام: قال الله تعالى: الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راضٍ بقسمتي التي قسمت بين عبادي.

الحسد يؤدي إلى المعصية:

قال بعض السلف: أول خطيئة كانت هي الحسد، حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية.

وحكي أن عوف بن عبد الله دخل على الفضل المهلب، وكان يومئذ على واسط فقال: إني أريد أن أعظك بشيء. فقال: ما هو؟. قال: إياك والكبر فإنه أول ذنب عصي الله به، ثم قرأ: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلى إبليس ﴾[3] الآية (٢٦)، وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها، فأكل منها، فأخرجه الله تعالى ثم قرأ: ﴿ اهبطوا منها ﴾[4] إلى آخر الآية، وإياك

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الحسد من حديث أبي عامر الأشعري، وفيه ثابت بن أبي ثابت جهله أبو حاتم، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد بلفظ آخر، ولأحمد والبزار من حديث عمر وفيه «لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة».

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس.

(٣) الآية ٣٠ سورة البقرة.

(٤) سورة البقرة: ٣٨.

والحسد فإنما قتل ابن آدم أخاه حين حسده، ثم قرأ: ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق» الآيات[1]، وإذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ فأمسك، وإذا ذكر القدر فأسكت[2]، وإذا ذكرت النجوم فأسكت.

وقال بكر بن عبد الله: كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء ستكفيكه إساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال: إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أنحر. فقال له الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعوه إليك فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر. فقال له انصرف حتى أنظر. فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه، فإن المسيء سيكفيكه إساءته. فقال له الملك: إدن مني، فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم. فقال الملك في نفسه: ما أرى فلاناً إلا قد صدق، قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة، فكتب له كتاباً إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه، واحش جلده تبناً، وابعث به إليَّ، فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: خط الملك لي بصلة. فقال: هبه لي. فقال: هو لك. فأخذه ومضى به إلى العامل، فقال العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك. قال: إن الكتاب ليس لي، فالله الله في أمري حتى تراجع الملك. فقال: ليس الكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً وبعث به. ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته، وقال مثل قوله فعجب الملك وقال: ما فعل الكتاب؟ فقال: لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له. قال له الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم

---

(١) سورة المائدة: ٢٧.

(٢) اعلم وفقك الله.. أن الله سبحانه وتعالى خلق العباد وقدر لهم أرزاقهم واعمالهم وعلى الانسان أن يسعى ويجد ويجتهد وسعيه هذا هو ما كتبه الله له، لأنه عليم بما سيعمله عبده.
وبهذا أخي تقطع كل وساوس الشيطان في مسألة القدر، وبذلك فقد صدق القائل: (وإذا ذكر القدر فاسكت).

أني أبخر. قال: ما قلت ذلك. قال: فلمَ وضعت يدك على فيك ؟ قال: لأنه أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمه. قال: صدقت، ارجع إلى مكانك فقد كفى المسيء اساءته.

وقال ابن سيرين رحمه الله: ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار.

وقال رجل للحسن: هل يحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب. . نعم ولكن غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يداً ولا لساناً.

وقال أبو الدرداء: ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده، وقال معاوية: كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها، ولذلك قيل:

كل العداوات قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء: الحسد جرح لا يبرأ، وحسب الحسود ما يلقى.

وقال اعرابي: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد أنه يرى النعمة عليك نقمة عليه.

وقال الحسن: يا ابن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله، وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره النار.

وقال بعضهم: الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذعة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاً، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً.

حقيقة الحسد وأقسامه ومراتبه:

قال الشيخ أبو حامد الغزالي رحمه الله: «اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة، فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان. إحداهما أن تكره تلك النعمة

وتحب زوالها، وهذه الحالة تسمى حسداً، فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه، الحالة الثانية: أن لا تحب زوالهاولا تكره وجودها ودوامها، ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة، وقد تسمى المنافسة حسداً، والحسد منافسة ويوضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني»[١].

وفي الخبر «إن المؤمن يغبط والمنافق يحسد»[٢].

الأول ـ الحسد وحكمه:

فأما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وإفساد ذات البين، وإيذاء الخلق فلا يضرك كراهتك منها، ومحبتك لزوالها، فإنك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد[٣] ولو أمنت فساده لم يغمك بنعمته، ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها، وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه، ولا رخصة وأي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة.. وإلى هذا أشار القرآن بقوله: ﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴾[٤]. وهذا الفرح شماته والحسد والشماتة يتلازمان، وقال تعالى: ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم»[٥]. فأخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة

---

(١) الاحياء (١٨٥/٣) طـ الحلبي.
(٢) يقال إنه من قول الفضل بن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد.
(٣) وربما تساءل متسائل: وهل يحسد المسلمون غيرهم من المتقدمين علمياً؟ كلا.. فإن العمل الجاد المنجز يجب أن يمكن دين الله في الأرض وعلينا أن نجتهد ونجد للوصول إلى مرتبة تعلوهم.
(٤) ١٢٠: آل عمران.
(٥) ١٠٩: البقرة.

الايمان حسد، وقال عز وجل : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾[1].

وذكر الله تعالى حسد إخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى: ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين، اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم ﴾[2]. فلما كرهوا حب أبيهم له وساءهم ذلك وأحبوا زواله غيبوه عنه، وقال تعالى: ﴿ ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ﴾[3] أي لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فأثنى عليهم بعدم الحسد، وقال تعالى: في معرض الإنكار ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ إلى قوله: ﴿ إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم ﴾[5]. قيل في التفسير حسداً، وقال تعالى: ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ﴾[6] فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتآلفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا إذا أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض.

قال ابن عباس: كانت اليهود قبل أن يبعث النبي ﷺ إذا قاتلوا قوماً قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذي تنزله إلا ما نصرتنا ﴾[7].

فكانوا ينصرون فلما جاء النبي ﷺ من ولد إسماعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه، فقال تعالى: ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين

---

(١) ٨٩: النساء.
(٢) ٩: يوسف.
(٣) ٩: الحشر.
(٤) ٥٤: النساء.
(٥) ١١٣: البقرة.
(٦) ١٩: آل عمران.
(٧) روى نحوه ابن إسحاق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كان يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ فذكره وهو منقطع.

كفروا فلما جاءهم ما عوفوا كفروا به ﴾ إلى قوله: ﴿ أن يكفروا بما أنزل الله بغياً ﴾[1]. أي حسداً.

وقالت صفية بنت حيي للنبي ﷺ: ﴿ جاء أبي وعمر عندك يوماً فقال أبي لعمر ما تقول فيه، قال إنه النبي الذي بشر به موسى، قال فما ترى؟ قال: أرى معاداته أيام الحياة ﴾[2] فهذا حكم الحسد في التحريم.

الثاني - المنافسة وحكمها:

وأما المناقشة فليست بحرام بل هي إما واجبة، أو مندوبة، وإما مباحة، وقد يستعمل الحسد بدل المنافسة، والمنافسة بدل الحسد.

عن المطلب بن ربيعة بن الحارث قال: اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس ابن عبد المطلب فقالا، والله بعثنا هذين الغلامين قال لي وللفضل بن عباس: ائتيا إلى رسول الله ﷺ فتسألاه أن يؤمرهما على الصدقة، قالا لعلي حين قال لهما: لا تذهبا إليه فإنه لا يأمر كما عليها فقالا له ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك»[3] أ. هـ.

أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إياك فاطمة.

والمنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل على إباحة المنافسة قوله تعالى: ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ﴾[5]، وإنما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو

---

(١) سورة البقرة: ٩٠.
(٢) رواه ابن اسحاق في السيرة وهو منقطع أيضاً.
(٣) أخرجه مسلم.
(٤) سورة المطففين: ٢٦.
(٥) سورة الحديد: ٢١.

بها فكيف وقد صرح رسول الله ﷺ بذلك فقال: «لا حسد إلا في اثنتين رجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس»[1] أ. هـ.

ثم فسر ذلك في حديث أبي كبشة الأغاري فقال: «مثل هذه الأمة مثل أربعة: رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول لو أن لي مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء» ـ وهذا منه حب لأن يكون له مثل ما له فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال: «ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه في معاصي الله، ورجل لم يؤته علماً ولم يؤته مالاً فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقه في مثل ما أنفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء»[2] أ. هـ.

فذمه رسول الله ﷺ من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ما له فإذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها ما دام لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له، نعم إن كانت تلك النعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضياً بالمعصية وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كانفاق الأموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها، وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة، وكان تحت هذه النعمة امران:

أحدهما: راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له، ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات، نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا، ويحجب عن المقامات الرفيعة، ولكنه لا يوجب العصيان.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه ابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح.

دقيقة غامضة:

وها هنا دقيقة غامضة: وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان، وإنما يزول نقصانه إما بأن ينال مثل ذلك، أو بأن تزول نعمة المحسود، فإذا أنسد أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشفى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره، وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ورد إلى اختياره لسعى في إزالته النعمة عنه فهو حسود حسداً مذموماً، وإن كان تدعوه التقوى عن إزالة ذلك فيعفي عما يجده في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارهاً لذلك من نفسه بعقله ودينه، ولعله المعنى بقوله ﷺ: «ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة» ثم قال: «وله منهن مخرج إذا حسدت فلا تبغ» أ. هـ. أي إن وجدت في قلبك شيئاً فلا تعمل به وبعيد أن يكون الانسان مزيداً للحاق بأخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجد لا محالة ترجيحاً له على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي أن يحتاط فيه فإنه موضع الخطر، وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوي الايمان رزين التقوى، ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك إلى الحسد المذموم، وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقي إلى مساواته بإدراك النعمة وذلك لا رخصة فيه أصلاً بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا، ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى، وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه.

مراتب الحسد:

وأما مراتبه فأربع:

الأولى: أن يحب زوال النعمة عن المحسود ، وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الخبث .

الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة، أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون تلك النعمة له .

الثالثة: أن لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهى مثلها، فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوات منها.

الرابعة: أن يشتهي مثلها فإن لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا والمندوب إليه إن كان في الدين.

والثالثة فيها مذموم وغير مذموم، والثانية أخف من الثالثة، والأولى مذموم محض، وتسميه الرتبة حسداً فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى: ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ﴾[1]، فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم، وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم.

أسباب الحسد والمنافسة:

أما المنافسة فسببها حب ما في المنافسة، فإن كان ذلك أمراً دينياً فسببه حب الله تعالى وحب طاعته، وإن كان دنيوياً فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها، وإنما نظرنا في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جداً، ولكن يحصر جملتها سبعة أبواب: العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فإنه مما يكره النعمة على غيره، إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالأمثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضاً له بسبب إساءته إليه أو إلى من يحبه، وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتكبر، وإما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب عظيماً فيتعجب من فوز

---

(١) سورة النساء: ٣٢.

مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب وإما أن يخاف من فوت مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه، وإما أن يكون يحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوي فيها، وإما أن يكون بسبب من هذه الأسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الأسباب:

العداوة والبغضاء:

السبب الأول: العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد، فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد، والحقد يقتضي التشفي والانتقام، فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه، وأنها لأجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضد مراده، وربما يخطر له أن لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنعم عليه.

وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما، وإنما غاية التقي أن لا يبقى وأن يكره ذلك من نفسه، فاما أن يبغض إنساناً ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن، وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به ـ أعني الحسد ـ بالعداوة! إذ قال الله تعالى: ﴿ وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور، إن تمسسكم حسنة تسؤهم ﴾ الآية[1].

وكذلك قال تعالى: ﴿ ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾[2].

(١) سورة آل عمران: ١١٩.
(٢) سورة آل عمران: ١١٨.

والحسد بسبب البغض يفضي إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية[1]، وهتك الستر وما يجرى مجراه:

التعزز:

السبب الثاني: التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره، فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علماً أو مالاً خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه[2] وتفاخره عليه، وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد رضى بمساواته مثلاً، ولكن لا يرضى بالترفع عليه.

الكبر:

السبب الثالث: الكبر، وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في أغراضه، فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته أو ربما يتشوف إلى مساواته أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبراً بعد أن كان متكبراً عليه.

التعجب:

والسبب الرابع: التعجب كما أخبر الله تعالى عن الأمم السابقة إذ قالوا: ﴿ ما أنتم إلا بشر مثلنا ﴾[3] فقالوا: ﴿ أنؤمن لبشر مثلنا ﴾ ﴿ ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون ﴾[4].

فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزعاً أن يفضل عليهم وهو مثلهم في الخلقه لا عن قصد تكبر وطلب رياسة، وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب،

---

(١) السعاية: السعي لالحاق الضرر.
(٢) صلفه: وهو أن يجاوز قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً فهو رجل (صلف) وقد (تصلف).
(٣) سورة إبراهيم: ١٠.
(٤) سورة المؤمنون: ٤٧.

وقالوا متعجبين: ﴿ أبعث الله بشراً رسولاً ﴾[1]، وقالوا ﴿ لولا أنزل علينا الملائكة ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ﴾[3] الآية.

الخوف:

السبب الخامس: الخوف من موت المقاصد، وذلك يختص بمزاحمين على مقصود واحد، فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الانفراد بمقصوده، ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الأخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال، وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ، وتحاسد ندماء[4] الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى المال والجاه، وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضها نيل المال بالقبول عندهم، وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له.

حب الرياسة وطلب الجاه للنفس:

السبب السادس: حب الرياسة، وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به إلى المقصود وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء، واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر، وفريد العصر في فنه، وأنه لا نظير له فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك، وأحب موته أو زاول النعمة عنه التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو ثروة أو غير ذلك مما ينفرد هو به ويفرح بسبب تفرده، وليس

---

(١) سورة الاسراء: ٩٤.
(٢) سورة الفرقان: ٢١.
(٣) سورة الاعراف: ٦٣.
(٤) ندماء: الذين يحيطون من حوله.

السبب في هذا عداوة ولا تعززاً ولا تكبراً على المحسود ولا خوف من فوات المقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد، وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة، وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله ﷺ ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم، واستتباعهم مهما نسخ عليهم.

خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله:

السبب السابع: خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى: فإنك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه، وإذا وصف له اضطرب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم، وتنغص عيشهم فرح به فهو أبداً يحب الادبار لغيره، ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته.

ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه، والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره، فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينهم عداوة ولا رابطة، وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة: لأن الحسد الثابت بسائر الاسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في إزالتها، وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته إذ يستحيل في العادة إزالته.

فهذه هي أسباب الحسد، وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك، ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل ينتهك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة بين الأمثال والأقران والأخوة وبني العم والأقارب.

لماذا يكثر الحسد بين الأقارب ويقل في غيرهم؟:

إعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها، وإنما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم، وتتظاهر إذا الشخص الواحد

يجوز أن يحسد لأنه قد يمتنع عن قبول التكبر، ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات، ويتواردون على الأغراض، فإذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من الأغراض ففر طبعه عنه، وأبغضه وثبت الحقد في قلبه معتد ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه وتترادف جملة من هذه الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة، وكذلك في محلين، نعم إذا تجاورا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردوا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية أسباب الحسد، ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد، والعابد يحسد العابد دون العالم، والتاجر يحسد التاجر، بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة، ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب.

والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته، لأن مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف، فلا يتزاحمون على المقاصد إذ مقصد البزاز[1] الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة العملاء، وإنما ينازعه فيه بزاز آخر إذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر.

وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم، لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة، ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض، وكذلك يحسد العالم العالم، ولا يحسد الشجاع، ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقيه والطبيب لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص.

أصل الحسد:

فأصل هذه المحاسدات العداوة، وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض

---

(١) البزاز: بائع الثياب، من (البز) من الثياب أمتعة والبزاز والبز بالكسر الهيئة (مختار الصحاح مادة (ب ز ز).

واحد، والغرض الواحد لا يجتمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهما، نعم من اشتد حرصه على الجاه، وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فإنه يحسد كل من هو في العالم، وإن بعد من يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها، ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين، أما الآخرة فلا ضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه، وملكوت سمواته وأرضه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضاً لأن المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به، ولا تنقص لذة واحدة بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس، وثمرة الاستفادة والافادة، فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة، لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه، وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق أيضاً فيما عند الله تعالى، لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم.

نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا، ولأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر، ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سبباً للمحاسدة، وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلىء قلب غيره بها، وأن يفرح بذلك.

والفرق بين العلم والمال: أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الأخرى، والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه، والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يتملكه غيره، والعلم لا نهاية له، ولا يتصور استيعابه، فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار بذلك الذ عنده من كل نعيم، ولم يكن ممنوعاً منه ولا مزاحماً فيه فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق، لأن غيره أيضاً لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة

من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فإن نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها. وهو أبداً يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه، وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية، فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبداً ترتع في جنة عالية، ورياض زاهرة، فإن فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال رب العالمين: ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين ﴾[1]، فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى.

هل في الجنة محاسدة؟:

فإذن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعاً بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين إلى مضيق سجين، ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء ولما دعي إلى السجود استكبر وأبى وتمرد، وعصى فقد عرفت أنه لا حسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا نرى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤ ية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض، وكل الأرض لا وزن لها بالاضافة إلى السماء ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار. فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلاً.

نصيحة:

فعليك إذا كنت بصيراً وعلى نفسك مشفعاً أن تطلب نعمة لا زحمة فيها، ولذة لا كدر لها، ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل صفاته وأفعاله، وعجائب ملكوت السموات والأرض، ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً، فإن كنت لا تشتاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنك رأيك

(١) سورة الحجر: ٤٧.

وضعفت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور إذ الصبى لا يشتاق إلى لذة الملك، فإن هذه الذات يختص بإدراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين، فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها الرجال: ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾[1] ولا يشتاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق، ومن لم يذق لم يعرف، ومن لم يعرف لم يشتق، ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين: ﴿ ومن يغشى عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ﴾[2] أ. هـ.[3].

رأي العلم الحديث في الحسد:

تقول سورة العلق: ﴿ قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلق، ومن شر غاسق إذا وقب. ومن شر النفاثات في العقد. ومن شر حاسد إذا حسد ﴾.

فالله سبحانه يوجه الرسول لتعليم الناس الاستعاذة به جل شأنه من كل شر.. وأي شر.. شر ما خلق، من الإنسان والحيوان، والنبات والهواء، فلكل كائن جانب من الشر، هذا الشر يتمثل فيما يصيب الانسان من الضرر.. أي ضرر..

والغاسق إذا وقب، هو الليل إذا توغل، وأخطر الشر ما جاء في سواد الليل، حتى إن الشر نفسه يعظم خطره ويشتد أمره بالليل أكثر من النهار، كالحريق والهدم والغرق.. يشتد أمره ويعظم خطبه إذا كان ليلاً، كما أن هناك أنواعاً من الشرور لا تصيب إلا في الليل غالباً كالقتل والسرقة، لذلك كان لا بد من الاستعاذة بالله من هذا الشر.

شر النفاثات في العقد، فسرت على أنها شرور السحر والسحرة، وأن النفاثات هن الساحرات اللآتي ينفخن نفخاً فيه رذاذ من الفم من عفد تعقد

---

(١) سورة النور: ٣٧.

(٢) سورة الزخرف : ٣٦.

(٣) الأحياء (١٩٢/٣) طـ الحلبي بتصرف.

لينعقد السحر. . ، لو علمنا أن ما ورد في القرآن الكريم من العقد يعني الرابطة القوية، فعقدة النكاح وردت في أكثر من آية بمعنى رابطة الزوج. . أفلا يكون شر النفاثات في العقد هو شر النمامات في رابطة الزواج وفي الصداقة أو الأخوة وفي كل عقدة تجمع اثنين؟

وما أخطر النميمة وشر النمامات. . فكم أفسدت زوجات. . وكم هدمت أسراً. . وصداقات. .

أما الحاسد فهو الذي يتمنى زوال نعمة المحسود. . فهل له شر من مجرد التمني؟ . . إن القرآن جاء في ذلك صريحاً. . فهو يقول: ﴿ استعيذوا بالله ﴾. . لا من الحاسد نفسه. . بل من شره. . وليس من شره فقط بل من شره إذا حسد. . فكأن الحاسد ليس منه ضرر. . إلا إذ عمد إلى الشر. . وكان في حسده إيجابياً. . ولم يظهر مدى عمق هذه الآية طبياً ونفسياً إلا بعد أن كشف العلم عن الحسد والحساد، وتأثير الحسد في نفس الحاسد. . ودور الشر الذي يلعبه. . فجاء العلم ليفسر الآية ويستقيم معها.

عالمان غربيان يتحدثان عن الحسد:

يقول العالم البشري والنفسي الدكتور (بيترشتا فيركرون) إن الحسد أشبه بساحرة لها ثلاثة رؤوس أحدها الحسد، أما الاثنان فهما الحقد والغيرة، وأينما وجدت واحداً من هذه الثلاثة فلا بد حتماً أن تجد شقيقيه. . فمتى وجد الحسد في نفس شخص فلا بد أن تتولد فوراً معه الحقد والغيره. . وأينما استشعرت في إنسان الحقد والغيرة فاعلم أن الحسد موجود فيه.

ويقول الدكتور (فيكتور بوشيه): إن الحسد والغيرة والحقد أقطاب ثلاثة لشيء واحد، وإنها لآفات تنتج سموماً تضر بالصحة وتقضي على جانب كبير من الطاقة والحيوية اللازمتين للتفكير والعمل.

فالحاقد. . يظل طول وقته لا يفكر إلا في النيل من الذي يحقد عليه. . فقد يكذب عنه. . وقد يتقول عنه ما لم يقله. . وقد يضر به ولا يهاب في سبيل ذلك ما يفعل. . والغيور. . وهو ذلك الذي تعمي الغيرة بصره وبصيرته لا يرى في لوحة

أفقه إلا من يغار منه.. وهو لا يهدأ حتى يسلبه ما يغار منه بسببه. أكان عملاً.. أم مالاً.. أم مركزاً.. والحاقد والغيور وهما الشخص الحاسد يعاني في سبيل ذلك من المحن والألم ما يجعله يفكر في التعجيل بالتنكيل بمن يحسده.. وإذا ما فقد هذا الحاسد جانباً من طاقته وحيويته.. اعتل في تفكيره.. وهذا الاعتلال في التفكير يكون مرحلة من مراحل الجنون التي لا يدري فيها الانسان ماذا يفعل.. ولذلك سمعنا كثيراً عن غيور قتل من يغار منه.. وعن حاقد أعماه الحقد، فلم يجد إلا الحياة ينزعها ممن يحقد عليه.

أما الوشاية التي يقوم بها الحاسد.. للإيقاع بالمحسود.. أما ترتيب الضرر الذي يمضي الحاسد حياته في تدعيم أركانه ضد المحسود، فهو أقل الشرور التي تقع من الحاسد إذا حسد.

وهكذا يتمثل شر الحاسد إذا حسد.

وهذا ما طلب الله سبحانه وتعالى أن نستعيذ به منه.. فلا شر للحاسد إلا إذا حسد.. وهذه هي جوانب شره التي تتساوى مع شرور الخلق.. وشرور ما يأتي به الليل إذا توغل.. والنميمة بين الأزواج والأهل.. وهكذا يضع التقدم العلمي في علم النفس تفسيراً علمياً لسورة الفلق ليثبت أن القرآن الكريم يسبق العلم في كافة اتجاهاته وسيظل كذلك إلا أن تقوم الساعة.. فهو تنزيل من رب العالمين.. ووحيه سبحانه إلى سيد المرسلين»[(1)]أ. هـ.

وبعد.. فلقد جاء الاسلام بالفضائل كلها لتستقر حياة البشر وسبق العلم الحديث بتشريعه وفصله في الأمور.. فإذا ما وصل العلم إلى حقيقة وجد على الأقل إشارة لها في تشريع الاسلام.. ولذلك فإن الناس قد تخبطت حياتهم حينما بعدوا عن الاسلام، وإن المسلمين أصبحوا كتلة هوت تحت ضربات الزمان.

لبعدهم عن روحه ومنهجه.. ولقد آلم المسلمين أمراض النفس المستعصية في زماننا في حين كان أسلافنا يتمتعون بكامل الاستقرار النفسي والهدوء العصبي..

---

(1) القرآن والعلم الحديث: للاستاذ عبد الرزاق نوفل - دار المعارف.

الباب الرابع

معالجة الإسلام للحسد

لقد حارب الاسلام الرذائل من أساسها والطرق المؤدية لوقوعها ، فلقد حجر على دوافع الحسد ومسبباته وضيق عليها الخناق ومن ذلك :

١ ـ الزكاة:

إن مرتكز نظام المال في الإسلام الزكاة، فهي بمثابة العمود الفقري فيه إذ أن نظام المال في الإسلام يقوم على أساس الاعتراف لله بأنه المالك الأصيل، وبالتالي الاعتراف بأن له حق تنظيم قضية التملك والحقوق فيه ومآله، والزكاة هى التعبير العملي لقضية التملك ، إذ أنها أهم الحقوق التي جعلها الله في الملك، وليست كلها كما يفهم بعض الناس. . فقد ورد في الحديث: «إن في المال حقاً سوى الزكاة» »إلا أن هذه الزكاة هي أهم الحقوق في المال، ولذلك كانت رمز الاستسلام لله في قضايا المال كلها يقول عليه السلام « الصدقة برهان » . . ومن دراستها يفهم المرء مواقف الاسلام من قضية رأس المال . .

من هذه المواقف:

أن كنز المال وتجميده ليس وضعاً صحيحاً للمال، بل تشغيله هو الوضع

الصحيح، والزكاة هي التنظيم العملي لهذا. . إذ أن صاحب المال عندما يعطله عن العمل مع دفعه زكاته يتنازل عن جزء منه سنوياً، مما يؤدي إلى تقلص رأس المال في النهاية.

فمثلاً لو كان إنساناً يملك الملايين ولا يشغلها فهو سيدفع منها سنوياً ٢,٥ للزكاة، ففي خلال سنوات ستزول هذه الملايين كلها ما عدا النصاب؟ وإذن فصاحب رأس المال مضطر لتشغيله وتنميته إذا أراد المحافظة على رأس ماله، حتى تكون الزكاة على حساب الربح لا على حساب رأس المال نفسه، وعلى هذا فنظام الزكاة يجعل رأس المال في حالة حركة دائمة بشكل عفوي ولكنه قسري، ومن هنا نفهم معنى الآية ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾[1] فلا كنز ما دام الانفاق في سبيل الله موجوداً وأقله الزكاة وفي الأثر (ما أديت زكاته فليس بكنز) إذ لا تجتمع الكنزية والزكاة. . ومن هنا نفهم كذلك خطأ الذين فهموا أن الإسلام يحرم على الانسان أن يدخر أمواله ولو أدى زكاتها.

إن المفهوم الصحيح هو الذي ذكرناه، وهو أن صاحب رأس المال ما دام يدفع زكاته فإنه مضطر لتشغيله لينمو، أو أنه سيزول تلقائياً. . وفي كلتا الحالتين تنعدم الكنزية في الأموال[2]. فحينما فرض الإسلام الزكاة أراد بها تسوية الطبقات بين أفراد الأمة، ونفى الحسد الناتج عن البخل والاقتار، كما أراد منها تكوين شخصية المسلم القوية التي تبتعد بكل جهد عن الآفات وتحذرها وتستعيذ منها وتدعو ربها أن يجنبها الشر وأهله ويقربها من الخير وأهله. . وبيان ذلك كالآتي:

فآداب الزكاة الباطنية هي:

أولاً: الميل العظيم لإخراج الزكاة وسرعة الامتثال، ويظهر أثر ذلك بالتعجيل عن وقت الأداء، والمبادرة إلى سرور الفقراء، والتخلص من عوائق الزمان، والتحرز من إثم التأخير الذي يخشى أن يكون مهلكاً للمرء.

---

(١) ٣٤: التوبة.

(٢) الاسلام للاستاذ: سعيد حوى (٩٥) طـ مكتبة وهبة.

ثانياً: الاخراج في أفضل الأوقات: لتنمو القربة ويتضاعف الأجر كأن يكون في المحرم، أو العشر الأواخر من رمضان أو الأوائل من ذي الحجة، أو أيام التشريق الثلاثة.

وثالثاً: الإسرار تحصناً من آفات الرياء والسمعة وابتعاداً عن هتك ستر الفقير واجتلاباً لرضا العليم القدير أو إيثاراً لما هو خير له وأولى. قال الله تعالى في الصدقات ﴿ وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾[1].

ورابعاً: صون السر عن الرياء عند الإبداء إن اقتضته الحال، واستدعته الضرورة. كأن يسأل فقير في ملأ من الناس، أو يكون فيه دعاء إلى الترغيب وحث على الاقتداء. قال تعالى: ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي ﴾[2].

وقال: تقدس ذكره: ﴿ وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ﴾[3].

وخامساً: ترك المن والأذى المبطلين للصدقة:

قال تعالى: ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾[4].

واعلم أن المن اظهار الصدقة لغير سبب صحيح والتحدث بها وطلب الشكر عليها وما أشبهه كالخدمة والتقديم في المجالس والمتابعة في الأمور، وداعية رؤية الجاهل أنه محسن للفقير ومنعم عليه ولو تبصر لعلم أن المنعم هو الفقير: لأنه السبب في قبول زكاة المتصدق ونجاته من النار بأخذ صدقته على أن المعطي إنما أعطى حق ربه والآخذ إنما أخذ رزقه.

والأذى والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وأشباه ذلك كضروب الاستخفاف وهتك السر بالإظهار، وسببه شح الأحمق وضيق خلقه بالإخراج واعتقاده أنه خير من الفقير، ولو علم أن القليل الذي يدفعه في مقابلة الكثير الذي

---

(١) سورة البقرة: ٢٧١.

(٢) السورة السابقة.

(٣) فاطر: ٢٩.

(٤) البقرة: ٢٦٤.

يرزقه لأيقن أنه غير محسن ولخلع رداء الشح وتمنى أن يكون فقيراً ولم يسلك للمن والأذى سبيلاً :

سادساً: عدم استعظام الصدقة: فإن الاستعظام يثير العجب المحبط للأعمال:

قال تعالى: ﴿ ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ﴾[1].

وكيف يستعظم المرء صدقته وهي من الله وإلى الله. فهو الذي منَّ عليه بالكثير من الأموال ووفقه لإعطاء القليل من ذاك الكثير، بل ينبغي له أن يستقلها ويستحي من هذا البذل وتعلوه الاستكانة ويدركه الخجل.

سابعاً: اختيار الأجود الأطيب، الأحب إليه للصدقة: لأن المبذول إذا لم يك من الأجود كان إخراجه لله من سوء الأدب وقصر النظر ـ لإمساك المرء الأجود لنفسه وقضاء وطره في الدنيا وبذل الاردأ لربه وسعادة حياته في الآخرة ـ وإذا لم يكن من الأطيب خسره ولم يقبله الله منه ـ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ـ ولذا قال تعالى: ﴿ انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾[2] وإن لم يكن من الأحب إليه لم يدرك الفوز ولم ينل البر:

قال تعالى: ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾[3].

وثانياً: تقديم من تزكو به الصدقة على غيره من اصنافها الثمانية بأن يكون تقياً فيتقوى بها على التقوى، أو عالماً ليستعين بها على العلم الذي هو أفضل العبادات، أذا رحم: كي تكون صلة لرحمة أو معيلاً لها كثير العيال (أو محصوراً عن الكسب بنحو مرض، أو مخفياً حاجته، أو من أهل المروءة الذين ذهبت نعمتهم وبقيت مروءتهم يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً).

---

(١) ٢٥ : التوبة.

(٢) البقرة: ٢٦٧.

(٣) ٩٢: آل عمران.

أسرار الزكاة:

أما أسرارها فأربعة أقسام، خاص بالمعطي، وخاص بالآخذ، ومشترك بينهما، وخاص بحكمة رب العالمين.

فأما الخاص بالمعطي فثلاثة عشر سراً:

الأول منها: تطهر المؤمن من رجس الشح المانع من النجاح وتدريبه على السماحة المؤدية للفلاح: فإن الشح يدعو إلى المطل وينهي عن البذل، والسماحة تصد عن العقوق وتحث على أداء الحقوق. قال تعالى: ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[1] فمن أدى زكاته بفرح نفس واستبشار طالباً رضا العزيز الغفار طهر من رجس البخل وتعود في الخيرات البذل فكان من أولي المبرات ومصادر الخير والبركات.

والثاني: تقريبه من سيده ومولاه ببعده عن الميل الشديد إلى المال وحبس نفسه عن انصرافها الكلي إليه، وإعلامه بأن سعادته بانفاقه في سبيل رازقه لا باشتغاله بطلبه: وتوضيح ذلك أن الكمال محبوب لذاته طبعاً، والقدرة صفة من صفاته، والمال أقوى أسباب تلك القدرة. فلزم أن يكون محبوباً بالطبع: لأن ما توقف عليه المحبوب محبوب، ولما كان الاستغراق في حبه يبعد المرء عن التقرب إلى ربه، ويذهل النفس عن التأهب للقائه أو جد الحكيم العليم علاجاً لهذا الداء وهو تكليف رب المال بإخراج طائفة من ماله المحبوب له حباً لربه: ولهذا السر قال عز وجل ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ .

والثالث: حمله على الوفاء بتوحيد ربه وصدقه في تشهده: لأن فراق المال المرموق للعيون المرموق للنفوس الذي هو شطر من زينة الحياة الدنيا وسبب لأنس العباد فهذا العالم وآله للتمتع في هذه الدار لأعظم دليل، وأقوى حجة على تصديق دعواه في توحيد محبوبه على النطق بكلمتي الشهادة: إذ الوفاء بالتوحيد يقضي على الموحد ألا يشرك مع الواحد أحداً: فإن المحبة تقتضي عدم التشريك.

---

(١) ٩: الحشر.

والرابع: حمله على شكر من صانه عن السؤال، وأنعم عليه بالأموال، ولم يجعله من مستحقي الصدقات وذوي الفقر والحاجات حتى استحق الحمد الأسمى والشكر الأوفى. . فمن أدى الزكاة شكراً على نعمة المال وطلباً للمزيد والاقبال نال من الله المزيد ومال عنه المقت المبيد، قال تعالى: ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾(1).

والخامس: صرف نفسه عن سبيل مظلم لا آخر له ولا هداية فيه إلى طريق واسع لا ينقطع يهدي إلى الله، ويوصل إلى رضاه، وذلك لأن زيادة المال توجب زيادة القدرة وهي توجد زيادة اللذة بها، وزيادة اللذة تحمل على الزيادة في طلب المال والاكثار منه فيسير الانسان بذلك في طريق مظلم دوري لا نهاية له يضل فيه ولا يصل به إلى غاية: فكان في إيجاب الانفاق قطع لهذا الطريق ونهاية له وتوجيه للسائر فيه إلى طلب مرضاة الله جلّ وعلا.

والسادس: تقليل طغيانه المؤدي إلى ضلاله وخسرانه: فإن المال المحبوب بالطبع الذي هو سبب للقدرة التي هي من صفات الكمال معشوق لذاته كما أسلفنا فإذا أدركه الانسان استغرق فيه ـ لأن العاشق إذا وصل إلى معشوقه تم فيه استغراقه ـ فإذا منعه مانع عن طلبه استعان عليه به وبقدرته، وذلك هو الطغيان وإليه الاشارة بقوله تعالى: ﴿ إن الإنسان ليطغى إن رآه استغنى ﴾(2).

فإيجاب الزكاة يقلل هذا الطغيان ويرد المرء إلى طلب رحمة المنان.

والسابع: تخلقه بخلق من أخلاق الله جل وعلا: فإن أفاضة الخير والرحمة من صفاته تعالى، فمن اتصف بهذه الصفة الجليلة قدر طاقته فقد تخلق بخلق من أخلاق ربه التي هي منتهى الكمالات الانسانية.

والثامن: صيانته من أن يكون شحه بانزال مراتب السعادة فوق شحه بما هو أرفع منها: وذلك لأن سعادة الانسان لها مراتب ثلاث: العليا السعادة الروحية،

---

(1) سورة إبراهيم: ٧.
(2) سورة العلق: ٦.

والوسطى السعادة البدنية، والدنيا السعادة الخارجية، وهي سعادة المال والجاه، وقد صارت روحه مبذولة بالتكليف بالايمان وجسمه مبذولاً بالتكليف بالزكاة، فمن بذل روحه وجسمه وشح بماله فلم يبذله في أوجه الخير وسِم بالحمق الزائد والجهل الفاضح.

والتاسع: نقل ذي النعمة من درجة أفضل إلى أخرى خير منها: وإيضاح ذلك أن الاستغناء بالشيء فضل، والاستغناء عنه أفضل منه، ولذا كان الأول نعت الخلق، والثاني نعت الخالق، ومن نعم الله عليه بنعمة وافرة مرزوق بنصيب وافر من الاستغناء عن الشيء.

والعاشر: تأمينه على شيء من نعمته من التفرق والضياع: وذلك لأن الذهب انما سمي ذهباً لذهابه، والفضة لم تسمَ فضة إلا لانفضاضها، والمال لم يدعَ بمال إلا لميل الناس إليه، فالكل كالمشرف على التفرق ما دام في يد صاحبه. فإذا أنفق منها شيئاً في وجوه البر بقي ببقاء الدنيا والآخرة إذ يكسبه في الأولى الحمد الدائم، وفي الآخرة النعيم المقيم.

والحادي عشر: تحصين أمواله وتنميتها: وذلك لأن النفوس ميالة إلى بغض صاحب الشر فإذا علم الفقراء أن الغني يصرف لهم شيئاً من ماله، وأن ذلك يزداد بازدياد المال المذكور أحبوه وتمنوا بقاء نعمته وزيادتها، وأمدوه بالدعاء وانصراف القلوب إليه.

وللقلوب آثار وللأرواح حرارة.. والعلي الأعلى رؤوف بعباده مجيب دعاء من دعاه، فيبقى الله بتلك الدعوات الصالحات والتوجهات القلبية نعمته عليه وينميها تنمية حسنة وإلى ذلك الاشارة بقوله تعالى: ﴿ وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾[1].

والثاني عشر: دفع الضرر عنه: لأن أخذ الفقير جانباً من ماله يرسم في صحيفة لبه الأمل والرجاء فيميل إلى الالفة به والعطف عليه والتوقي مما يشمئز

(١) سورة الرعد: ١٧.

منه: فإن الأمل الألوف والراجي حذر هياب أما إذا حرم من أمواله الكثيرة مع ما هو عليه من الفقر والفاقة وانصرم أمله منه وخاب رجاؤه فيه فإن الألفة تكون مبثورة والرجاء منصرماً، فضلاً عن أن عوامل الفاقة تدفعه إلى الحقد والحسد وتحمله على إيقاد نار العداوة والبغضاء له فتلتهم المال والنفس والولد، وحينئذ يفقد الأمن، ويوجد الخوف، ويسوء من الأمة مصيرها.

والثالث عشرقيامه بواجب مهنته: لأن ما بيده من الأموال لله تعالى وبإعانته جمعها فهو خازن سيده، والفقراء عيال مولاه.

قال تعالى: ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾[1] وعمل الخازن حفظ أموال سيده وصرف ما لا بد من صرفه للمستحقين من عبيده، ففي تكليف الغني بالزكاة تكميل لعمله، وتكليف بما هو جدير أن يكلف به.

وأما الخاص بالآخذ فهو حفظ الفقراء والمساكين من ذل الفقر، وشين المسكنة، وتثبيت المؤلفة قلوبهم على الايمان رحمة بهم وحثاً على دخول غيرهم في الإسلام الذي هو نعم الخير والفلاح ومساعدة المكاتبين على الحرية التي هي خير ما يتمتع به في الحياة الدنيا، ومؤازرة الغارمين لرفع الخلاف بين طائفتين الوفاق أحق بهما وأولى، ومعاضدة القائمين بالجهاد الذي به بث الأمن وتقوية الجامعة الانسانية، ودفع الحاجة عن العاملين على الزكاة التي علمت من أسرارها ما علمت، وتسهيل السبيل على ابنه ليطوي شقة سفره ويقدم على أهله خير مقدم، وليتمكن إن كان سائحاً من إتمام اكتشافه لما يريد اكتشافه مما هو فيه خير المدنية ورفع الانسانية. كل ذلك مع عدم الاضرار بالغني: لأن الشرع أبقى له أكثر ما في يده من الأموال فيتمكن بذلك من تجارة أو غيرها يكون في ربحها عوض عن الجزء اليسير الذي أخرجه في الزكاة، وسد لما حصل من النقص في تلك الأموال.

وأما المشترك بينهما فثلاثة:

أولها: حمل المؤمنين غنيهم وفقيرهم على استكمال شطري الايمان

---

(١) سورة هود: ٦.

والاتصاف به كاملاً. ذلك أن المال المحبوب بالطبع وجد أنه يوجب الشكر، وفقدانه يوجب الصبر، فباعطاء الغني مالاً كثيراً وشكره عليه يعد من الشاكرين، وبإخراج طائفة منه في الزكاة وصبره على ذلك يصير من الصابرين، وبأخذه جزءاً من أموال الأغنياء وشكره عليه يحسب في الشاكرين.

فانظر إلى حكمة الحكيم كيف جعل برحمته جميع المكلفين متصفين بالصبر والشكر اللذين لهما كمال الايمان، فما أعظم فضل ربنا أعز رحمته بنا.

وثانيها: إلزام كل من الغني والفقير بالإنعام على الآخر فتحصل المودة والرحمة بينهما، ويكونان بذلك من السعداء: وبيان هذا أن للغني إنعاماً على الفقير لإعطائه شيئاً من ماله الذي نصب في تحصيله، وللفقير إنعاماً على الغني بقبوله جزءاً من مال الله الذي جعله في خزائن ذلك الغني، وتخليصه بهذا القبول من ذم البخل وعاره في الدنيا ومن غضب الله وناره في الآخرة.

وثالثها: الاحسان إليهما معاً: لأن الله تعالى لم يخلق الأموال: لأعيانها بل للانتفاع بها، فإذا نال المرء منها قدر حاجته كان أولى من سائر المحتاجين بإمساكه عليه: لأنه وإن شاركهم في صفة الحاجة فقد اختص بالسعي في تحصيله، وإن أدرك منها فوق الحاجة وحضر محتاج له كان لصاحب المال فيه حقان: حق اكتساب، وحق تعلق قلبه به: لوجوده في يده، وللمحتاج حق واحد هو حق تعلق قلبه به لحاجته إليه. فاقتضت الحكمة الإلهية رعايتهما والإحسان إليهما معاً فرجحت جانب المالك لرجحان حقه في العدد والقوة فأبقت عليه الكثير من أمواله وصرفت إلى الفقير اليسير منها.

وأما الخاص بحكمة رب العالمين فاثنان:

أولهما: صونها عما لا يليق بها: لأن وضع المال كله في يد غير محتاجة إليه، وإخلاء ذات الحاجة إليه منه (تعجز صاحبها عن الكسب) لا يليق بحكمة الحكيم ورحمة الرحيم، فلذا أوجب المعطي جل جلاله صرف طائفة من المال الذي وضعه في يد الغني لذلك الذي لا يقدر على اكتسابه.

وثانيهما: عدم تعطيلها في خلقه تعالى هذه الأموال: لأن ما فضل عن

الحاجة الأصلية منها إذا أمسك عن الصرف في وجوه البر بقي معطلاً ممنوعاً عما لأجله خلقت الأموال. وذلك منع من ظهور حكمة الله تعالى، وتعطيل لها بالكلية، وهو غير جائز[1].

وهكذا فقد رأيت أن الاسلام قد تحفظ تحفظاً دقيقاً في تشريعه للزكاة لتؤدي عملها في تقوية الروابط بين المسلمين والمساواة بينهم فينتفي الحسد بينهم، ولا يدخل الحقد قلوبهم، ولتؤدي عملها أيضاً في تربية الرجل المسلم قوي الايمان الذي ينفق من نفسه فالمراقب عليه هو الله، والمحاسب له هو الله، فتزكو نفسه، وترتقي روحه...

وليست الزكاة وحدها مانعة للحسد، بل إن أفعال البر والإلتزام بالفرائض والسنن يمنع العبد من الحسد، ويحول بينه وبين الرذائل.. فآه لو تمسك المسلمون بدينهم لعاشوا في أمان، ولفاقوا العباد وملكوا البلاد..

ذم الإسلام للدنيا

لقد أمر الإسلام بالوعظ والارشاد وعده من الجهاد، وأمر بتعلم العلم وتعليمه، ولقد أبدع التشريع الاسلامي في وعظه وإرشاده فاستعمل فنون البلاغة كلها ليزجر ويعظ، ويرشد، وينهي..

فتجد في الوعظ ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كنوا يمتعون﴾[2].

وفي الرجز ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا﴾[3].

وفي الترهيب: ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور

(١) هداية الضالين للمؤلف.
(٢) سورة الشعراء: ٢٠٥.
(٣) سورة: العنكبوت: ٤٠.

أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير ﴾[1].

وفي الترغيب: ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾[2].

والإنسان حين سماعه شيئاً من الوعظ والإرشاد يخشع ويعمل فكره في الأشياء فلربما وصل من ذلك إلى الخشوع والإنابة؟ ولا شك أن الاسلام حذر من الحسد وذمه.. وذم الدنيا وبين حقيقتها ومآلها وضرب الأمثال واشتد في الترغيب، وأكد في الترهيب ليبعد الانسان عن الحسد والرذائل.

فقال جل شأنه: ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾[3].

وقال ﷺ «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[4].

وقال ﷺ: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها»[5].

فإنسان يعلم تلك الحقائق، ويعلم أنه يستوي مدرها وذهبها فعلام يحسد الناس، وعلام يحقد عليهم، وعلام يغضب؟

---

(١) سورة الملك: ١٦، ١٧.
(٢) سورة السجدة: ١٧.
(٣) الحديد: ٢٠.
(٤) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة.
(٥) رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد: «إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم».

الباب الخامس

كيف نتقي الحسد

علاجه

قال الشيخ الغزالي رحمه الله:

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تُداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل. والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقاً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين، وأنه لا ضرر منه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا على بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة.

أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته، فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد، وقذى في عين الايمان، ناهيك بهما جناية على الدين، وقد أضيف إلى ذلك أنك غششت رجلاً من المؤمنين، وتركت نصيحته، وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى، وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب، وتمحوها كما يمحو الليل النهار.

وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا: فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا أو تتعذب به ولا تزال في كمد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم

فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها، وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك، وتشتهيه لأعدائك، فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك. ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاملاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة.

فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة.

هل يحيق بالمحسود ضرر؟:

وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عندما يحسدك الآخرون بل تبقى النعمة ما قدَّر الله تعالى من إقبال ونعمة، فلا بد أن يدوم إلى أجل معلوم قدره الله سبحانه فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار، ولكل أجل كتاب.

ولقد شكا نبي من الأنبياء في امرأة ظالمة مسؤولية على الخلق فأوحى الله إليه: فر من قدامها حتى تنقضي أيامها: أي ما قدرناه في الأزل لا سبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام إقبالها فيها ومهما تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة.. ولعلك تقول: ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي، وهذا غاية الجهل فإنه بلاء تشتهيه أولاً لنفسك فإنك أيضاً لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا أحد من الخلق ولا نعمة الايمان أيضاً لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان.

قال الله تعالى: ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم ﴾[1].

(١) البقرة: ١٠٩.

إذ ما يريده الحسود لا يكون، نعم هو يضل بإرادته الضلال لغيره فإن إرادة الكفر كفر، فمن اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم، وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فإن كل واحد من حمقى الحساد أيضاً يشتهي أن يخص بهذه الخاصية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في ان لم تزل النعمة بالحسد فما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها.

هل ينتفع المحسود به في الدين والدنيا؟:

وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح:

أما منفعته في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لاسيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره.

وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها إليه: أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل..

نعم كان لله عليه نعمة إذ وفقك للحسنات فنقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة.

وأما منفعته في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساوءة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وجعلهم معذبين مغمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد، وغاية أماني أعدائك أن يكونوا في نعمة، وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله عليه فيتقطع قلبك حسداً، ولذلك قيل:

لا مات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد
لا زلت محسوداً على فرحة فإنما الكامل من يُحسد

ففرح عدوك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده فما أنت فيما تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهيه عدوك فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموماً عند الخالق والخلائق شقياً في الحال والمآل، ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما رآك محروماً من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكاً في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم ما أحب ذلك فخاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه إليك حتى لا تلحقه بحبك كما تلحقه بعملك.

وقد قال أعرابي للنبي ﷺ «يا رسول الله: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي ﷺ: المرء مع من أحب»(١).

وقام أعرابي لرسول الله ﷺ وهو يخطب فقال: «يا رسول الله: متى الساعة؟ فقال ما أعددت لها؟، قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: أنت مع من أحببت»(٢).

قال أنس: فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ إشارة إلى أن أكبر غايتهم أن نكون معهم.

وقال أبو موسى قلت: «يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عدَّ أشياء، فقال النبي ﷺ: هو مع من أحب»(٣).

---

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود.
(٢) متفق عليه من حديث أنس.
(٣) متفق عليه من حديث بلفظ آخر.

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالماً فكن عالماً فإن لم تستطع أن تكون عالماً فكن متعلماً فإن لم تستطع أن تكون متعلماً فأحبهم فإن لم تستطع فلا تبغضهم فقال: سبحان الله لقد جعل لنا مخرجاً.

فانظر الآن كيف حسدك إبليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض إليك أخاك وحملك على الكراهة حتى أثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلاً من أهل العلم وتحب أن يخطىء في دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأي إثم يزيد على ذلك فليتك إذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة.

فلو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت أيها الحاسد نفسك في صورة من يرمي سهماً إلى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمي أشد من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى واعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون منه وهذا حال الحسود، وسخرية الشيطان منه بل حالك في الحسد أقبح من هذا لأن الرمية العائدة لم تفوت إلا العينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة والحسد يعود بالإثم، والإثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار، فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذا أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزالها عن الحاسد إذ السلامة من الإثم نعمة، والسلامة من الغم والكمد نعمة قد زالتا عنه تصديقاً لقوله تعالى ﴿ ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ﴾[1] .

وربما يبتلي بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة إلا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله عنها: ما تمنيت لعثمان شيئاً إلا نزل بي حتى لو تمنيت

---

(١) سورة فاطر: ٤٣.

له القتل لقتلت، فهذا إثم نفسه فكيف ما يجر إليه الحسد من الاختلاف وجمود الحق وإطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الأعداء وهو الداء الذي فيه هلكت الأمم السابقة، فهذه هي الأدوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه وعلم أنه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغض عيشه.

وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل ينبغي أن يكون نقيضه فإن بعثه الحسد على القدح في محسوده كلف لسانه المدح له، والثناء عليه، وإن حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه، وإن بعثه على كف الإنعام عليه، فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد لأن التواضع والثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالإحسان ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولاً طبعاً آخر ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف، وأن ذلك مذلة ومهانة، وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفاً كانت أو طبعاً تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب إلى التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض.

فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جداً إلا أنها مرة على القلوب لكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء، وإنما تهون مرارة هذا الدواء، أعني التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرنا وقوة الرغبة في ثواب الرضا لقضاء الله تعالى وحب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مراده وعند ذلك يريد ما لا يكون إذ لا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات المراد ذلٌّ وخسة ولا طريق إلى الخلاص من هذا الذل إلا بأحد أمرين إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون، والأول ليس لك، ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه، وأما الثاني

فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيحب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي.

فأما الدواء المفصل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني فهو مواد المرضى ولا يقمع المرض إلا بقمع المادة، فإن لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فإنه ما دام محباً للجاه فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وإنما غايته أن يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده، فأما الخلو عنه رأساً فلا يمكنه.

القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

قال الشيخ الغزالي رحمه الله:

«اعلم أن المؤذي ممقوت الطبع، ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالباً، فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك، وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن إن قوي ذلك فيك حتى بعثك على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك وإن كففت ظاهرك بالكلية إلا أنك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضاً حسود عاص لأن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى:

﴿ ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ﴾[1].

قال عز وجل: ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم ﴾[3].

(١) سورة الحشر: ٩.

(٢) سورة النساء: ٨٩

(٣) سورة آل عمران: ١٢٠

أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينـك وبين الله تعالى. وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح، فأما إذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد أديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا.

فأما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو أنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتاً إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقاً بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة، ويرد الكل بعد ذلك إلى طبعه، ويعود العدو إلى منازعته أعني الشيطان فإنه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهته، وألزم قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه.

وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأثم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه ولما روي عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال: «غمه فإنه لا يضرك ما لم تبده».

والأولى أن يحمل على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو، وتلك الكراهة تمنعه من البغي والايذاء فإن جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم، ثم إن الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد وإذن فهو آثم بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد.

والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار، ومن حيث المعنى إذ يعفى عن العبد في ارادته اساءة مسلم واستمالته بالقلب على ذلك من غير كراهة، وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال: أحدها وهي أن تحب

مساوءتهم بطبعك وقلبك وعقلك وتمقت نفسك إن لمست فيها ميلا إلى حبهم وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعاً لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه .

الثاني: أن تحب ذلك وتظهر الفرح، إما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعاً .

الثالث: وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك، ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف.

والظاهر أنه لا يخلو من إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل(١).

خلاصة . . هل يصيب المحسود ضرر؟ :

يظن بعض الناس أن المحسود يصيبه ضرر من جراء الحسد، والحق أن أغلب القصص التي رويت لتؤكد هذا الاعتقاد موضوعة، والصحيح منها ما هو من قبيل الصدفة البحتة، وكثير من أصحاب هذا الاعتقاد يستندون في تأييد رأيهم إلى ما جاء به القرآن في سورة الفلق. . لقد جاء القرآن بالحسد صريحاً فهو يقول استعيذوا بالله . . لا من الحاسد نفسه بل من شره . . وليس من شره فقط، بل من شره إذا حسد، فكأن الحاسد ليس منه ضرر إلا إذا عمد إلى الشر وكان في حسده إيجابياً . . أما الاستعاذة لحفظ الله وذب الشر عنه فهي مطلوبة في الأمور كلها . . ويجب على المسلم أن يصون نفسه بذكر الله تعالى.

وسيأتي نقاش من يرون أن الحسد يصيب المحسود بضرر وسنتبين أنهم لم يستندوا لدليل عقلي أو نقلي . .

---

(١) الاحياء للشيخ الغزالي بتصرف (١٩٦) طـ الحلبي.

طهارة القلب من الأخلاق المذمومة

لا شك أن الحسد من الرذائل، والمسلم الحق يجب عليه التخلص من هذه الرذائل وتكوين نفسه وذاته الاسلامية.. فإذا ما استطاع المسلم تربية نفسه وقلبه وماله تخلص من الأخلاق المذمومة والصفات الرديئة.. فهيا معي نتجول مع المؤمنين المخلصين، ومع الحقائق في طهارة القلب.

يقول العلامة ابن القيم في «مدارج السالكين»:

قال صاحب المنازل: «المعاينة ثلاث: إحدها: معاينة الأبصار، الثانية: معاينة عين القلب، وهي معرفة عين الشيء على نعمته، علماً يقطع الريبة ولا تشوبه حيرة، الثالثة: معاينة الروح وهي التي تعاين الحق عياناً محضاً، والأرواح إنما طهرت وأكرمت بالبقاء لتعاين سناء الحضرة، وتشاهد بهاء العزة، وتجذب القلوب إلى فناء الحضرة».

جعل الشيخ المعاينة للعين والقلب والروح.. وجعل لكل معاينة منها حكماً، فمعاينة العين: هي رؤية الشيء عياناً، إما بانطباع صورة المرئي في القوة الباصرة عند أصحاب الانطباع، وإما باتصال الشعاع المنبسط من العين المتصل بالمرئي عند أصحاب الشعاع، وإما بالنسبة والإضافة الخاصة بين العين وبين المرئي عند كثير من المتكلمين..

والأقوال الثلاثة: لا تخلو عن خطأ وصواب.. والحق شيء غيرها، وأن الله سبحانه جعل في العين قوة باصرة، كما جعل في الأذن قوة سامعة، وفي الأنف قوة شامة، وفي اللسان قوة ناطقة وقوة ذائقة، فهذه قوى أودعها الله سبحانه في هذه الأعضاء، وجعل بينها رابطة.. وجعل لها أسباباً من خارج وموانع تمنع حكمها، وكل ما ذكروه من انطباع ومقابلة وشعاع ونسبة وإضافة فهو سبب وشرط، والمقتضى هو القوة القائمة بالمحل وليس الغرض ذكر هذه المسألة.. فالمقصود أمر آخر.

وأما معاينة القلب: فهي انكشاف صورة المعلوم له، بحيث تكون نسبته إلى

القلب كنسبة المرئي إلى العين، وقد جعل الله سبحانه القلب يبصر ويعمى كما تبصر العين وكما تعمى.

قال تعالى: ﴿ فإنها لا تعمي الأبصار، ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ﴾[١].

فالقلب يرى ويسمع، ويعمى ويصم، وعماه وصممه أبلغ عن عمي البصر وصممه. وأما ما يثبته متأخرو القوم من رؤ ية الروح وسمعها وإراداتها، وأحكامها التي هي أخص من أحكام القلب فهؤلاء اعتقدوا أن الروح غير النفس والقلب.

ولا ريب أن ها هنا أموراً معلومة، وهي البدن، وروحه القائم به، والقلب المشاهد فيه، وفي سائر الحيوان، والغريزة، وهي القوة العاقلة التي محلها القلب ونسبتها إلى القلب كنسبة القوة الباصرة إلى العين، والقوة السامعة إلى الأذن. ولهذا تسمى تلك القوة قلباً.. كما تسمى القوة الباصرة بصراً. قال تعالى: ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾[٢]. ولم يرد شكل القلب.. فإنه لكل أحد وإنما أراد: القوة والغريزة المودعة.

والروح هي الحاملة للبدن، ولهذه القوى كلها.. فلا قوام للبدن ولا لقواه إلا بها، باعتبار إضافتها إلى كل محل، حكم واسم يخصها هناك، فإذا أضيفت إلى محل السمع سميت سمعاً، وكان لها حكم يخصها هناك.. وإذا أضيفت إلى محل العقل ـ وهو القلب ـ سميت قلباً. ولها حكم يخصها هناك، هي في ذلك كله روح.

فالقوة الباصرة والعاقلة والسامعة والناطقة: روح باصرة وسامعة وعاقلة وناطقة. فهي في الحقيقة هذا العاقل الفاهم المدرك المحب العارف المحرك للبدن، الذي هو محل الخطاب والأمر والنهي، هو شيء واحد له صفات متعددة بحسب

---

(١) الحج: ٤٦.
(٢) ق: ٣٧.

متعلقاته فإنه يسمى نفساً مطمئنة ونفساً لوامة ونفساً أمارة وليس هو ثلاث أنفس بالذات والحقيقة، ولكن هو نفس واحدة لها صفات متعددة..

وهم يشيرون إلى الأخلاق والصفات المذمومة، فيقولون: فلان له نفس، وفلان ليس له نفس، ومعلوم: أنه لو فارقته نفسه لمات، ولكن يريدون تجريده صفات النفس المذمومة.

والمحققون منهم يقولون: إن النفس إذا تلطفت وفارقت الرذائل صارت روحاً.. ومعلوم أنها لم تعدم، ويخلق لها سكانها روح لم تكن، ولكن عدمت منها الصفات المذمومة، وصارت مكانها الصفات المحدودة فسميت روحاً.

وهذا اصطلاح مجرد وإلا فالله سبحانه وتعالى سماها نفساً في القرآن في جميع أحوالها أمارة ولوامة ومطمئنة. قال تعالى: ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾[1]. ويدخل في هذا جميع أنفس العباد حتى الأنبياء، وسماها رسول الله ﷺ ﴿ روحاً ﴾ على الاطلاق ـ مؤمنة كانت أو كافرة، برة أو فاجرة، كقوله ﴿ إن الروح إذا قبض تبعه البصر ﴾. وقوله: ﴿ إن الله قبض أرواحنا حيث شاء وردها حيث شاء ﴾. وقوله ﷺ في حديث قبض الروح وصفته: إن كان مؤمناً كان كذا وكذا.. وإن كان كافراً كان كذا وكذا» فسمى المقبوض « روحاً » كما سماه الله في كتابه « نفساً » وهذا المقبوض والمتوفى شيء واحد لا ثلاثة ولا اثنان، وإذا قبض تبعته القوى كلها: العقل، وما دونه لأنه كان حامل الجميع ومركبه.

إذا غرفت هذا فالمعاينة نوعان: معاينة بصر، ومعاينة بصيرة، فمعاينة البصر: وقوعه على نفس المرئي، أو مثاله الخارجي، كرؤية مثال الصورة في المرآة والماء.. ومعاينة البصيرة وقوع القوة العاقلة على المثال المطابق للخارجي. فيكون إدراكه له بمنزلة إدراك العين للصورة الخارجية. وقد يقوي سلطان هذا الادراك الباطن، بحيث يصير الحكم له، ويقوي استحضار القوة العاملة لمدركها، بحيث يستغرق فيه، فيغلب حكم القلب على حكم الحس والمشاهدة، فيستولي على السمع والبصر بحيث يراه ويسمع خطابه في الخارج وهو في النفس والذهن..

---

(١) الزمر: ٤٢.

لكن لغلبة الشهود، وقوة الاستحضار، وتمكن حكم القلب واستيلائه على القوى: صار كأنه مرئي بالعين، مسموع بالأذن بحيث لا يشك المدرك ولا يرتاب في ذلك البته، ولا يقبل عذلاً.

وحقيقة الأمر: أن لذلك كله شواهد وأمثلة علمية تابعة للمعتقد، فذلك الذي أدرك بعين القلب والروح: إنما هو شاهد دال على الحقيقة.. وليس هو نفس الحقيقة. فإن شاهد نور جلال الذات في قلب العبد ليس هو نفس نور الذات الذي لا تقوم لـه السموات والأرض، فلو ظهر لها لتدكدكت، ولأصابها ما أصاب الجبل، وكذلك شاهد نور العظمة في القلب: إنما هو نور التعظيم والإجلال لا نور نفس المعظم ذي الجلال والإكرام.

وليس مع القوم إلا الشواهد والأمثلة العلمية، والرقائق التي هي ثمرة قرب القلب من الرب وأنسه به، واستغراقه في محبته وذكره، واستيلاء سلطان معرفته عليه، والرب تبارك وتعالى وراء ذلك كله.. منزه ومقدس عن اطلاع البشر على ذاته أو نور ذاته أو أنوار صفاته وإنما هي الشواهد التي تقوم بقلب العبد، كما يقوم بقلبه شاهد من الآخرة والجنة والنار، وما أعد الله لأهلها.

وهذا هو الذي وجده عبد الله بن حرام الأنصاري يوم أحد، لما قال: «واهاً لريح الجنة! إني أجد والله ريحها». ومن هذا قوله ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر». ومنه قوله «**ما بين بيتي ومنبري روضه من رياض الجنة**».

فهو روضة لأهل العلم والايمان، لما يقوم في قلوبهم من شواهد الجنة، حتى كأنها لهم رأي عين..

فالعمل: إنما هو على الشواهد.. وعلى حسب شاهد العبد يكون عمله، ونحن نشير بعون الله وتوفيقه إلى الشواهد، إشارة يعلم بها حقيقة الأمر.

فأول شواهد السائر إلى الله والدار الآخرة: أن يقوم به شاهد من الدنيا وحقارتها، وقلة وفائها، وكثرة جفائها، وخسة شركائها، وسرعة انقضائها، ويرى

أهلها وعشاقها صرعى حولها، قد بدعت بهم، وعذبتهم بأنواع العذاب، وأذاقتهم أمر الشراب أضحكتهم قليلاً، وأبكتهم طويلاً، سقتهم بكؤوس سمها، بعد كؤوس خمرها، فسكروا بحبها، وماتوا بهجرها.

فإذا قام بالعبد شاهد منها: رحل قلبه عنها، وسافر في طلب الدار الآخرة، وحينئذ يقوم بقلبه شاهد من الآخرة ودوامها، وأنها هي الحيوان حقاً. فأهلها لا يرتحلون منها، ولا يظعنون عنها، بل هي دار القرار ومحط الرحال، ومنتهى السير، وأن الدنيا بالنسبة إليها ـ كما قال ﷺ ـ «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع؟!».

وقال بعض التابعين: «ما الدنيا في الآخرة إلا أقل من ذرة واحدة من جبال الدنيا».

ثم يقوم بقلبه شاهد من النار وتوقدها واضطرامها، وبعد قعرها، وشدة حرها، وعظيم عذاب أهلها، فيشاهدهم وقد سيقوا إليها سود الوجوه، زوق العيون، والسلاسل والأغلال في أعناقهم، فلما انتهوا إليها: فتحت في وجوههم أبوابها، فشاهدوا ذلك المنظر الفظيع، وقد تقطعت قلوبهم حسرة واسفاً: ﴿ورأى المجرمون النار فظنّوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾[1]، فأراهم شاهد الايمان وهم اليها يدفعون، وأتى النداء من قبل رب العالمين: ﴿ وقفوهم انهم مسؤولون ﴾[2]، ثم قيل لهم: ﴿ هذا النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا، أم أنتم لا تبصرون؟ اصلوها فاصبروا أو لاتصبروا سواء عليكم، إنما تجزون ما كنتم تعلمون ﴾[3] فيراهم شاهد الايمان وهم في الحميم على وجوههم يسحبون وفي النار كالحطب يسجرون: ﴿ لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ﴾[4]. بئس اللحاف وبئس الفراش، وان استغاثوا من شدة العطش ﴿ يغاثوا بماء كالمهل

(١) الكهف: ٥٣.
(٢) الصافات: ٢٤.
(٣) ابراهيم: ١٤، ١٦.
(٤) الاعراف: ٤١.

يشوي الوجوه ﴾(١) فإذا شربوه قطع أمعاءهم في أجـوافهم وصهر مـا في بطونهم شرابهم الحميم، وطعامهم الزقوم﴿لا يقضي عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفـور * وهم يصطرخـون فيها: ربنـا أخرجنـا نعمل صالحاً غـير الذي كنـا نعمل، أو لم نعمـركم ما يتـذكر فيـه من تذكـر؟ وجاءكم النذير * فذوقوا ما للظالمين من نصير﴾(٢).

فإذا قام بقلب العبد هذا الشاهد، انخلع من الذنوب والمعـاصي، واتباع الشهوات، ولبس ثياب الخوف والحذر، وأخصب قلبـه من مطر أجفـانه، وهـان عليه كل مصيبة تصيبه في غير دينه وقلبه.

وعلى حسب قوة هذا الشاهد يكون بعده من المعاصي والمخالفات، فيذيب هذا الشاهد من قلبه الفضلات، والمواد المهلكة، وينضجها ثم يخـرجها، فيجـد القلب لذة العافية وسرورها.

فيقوم به بعد ذلك: شاهد من الجنة، وما أعد الله لأهلهافيها، مما لا عـين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فضلاً عما وصفه الله لعباده على لسان رسوله من النعيم المفصل، الكفيل بأعلى أنواع اللذة من المطاعم والمشارب والملابس والصور، والبهجة والسرور، فيقوم بقلبه شاهد دار قد جعل الله النعيم المقيم الدائرة بحـذافيره فيهـا، تربتهـا المسك، وحصـاؤهـا الـدر، وبناؤهـا لبن الذهب والفضة، وقصب اللؤلؤ ، وشرابها أحلى من العسل، وأطيب رائحـة من المسك، وأبرد من الكافور، والذ من الزنجبيل ونساؤها لو برز وجه إحـداهن في هذه الدنيا لغلب على ضـوء الشمس، ولباسهم الحـرير من السنـدس والاستبرق وخدمهم ولدان كاللؤلؤ المنثور، وفاكهتهم دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وفـرش مرفوعة. وغذاؤهم لحم طير مما يشتهون، وشرابهم عليه خمرة لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون. وخضرتهم فاكهة مما يتخيرون. وشاهدهم حور عين كأمثال اللؤلؤ

---

(١) الكهف: ٢٩.

(٢) فاطر: ٣٦، ٣٧.

المكنون. فهم على الأرائك متكئون، وفي تلك الرياض يحبرون، وفيها مشتهى الأنفس وملذ الأعين وهم فيها خالدون.

فإذا انضم هذا الشاهد: شاهد يوم المزيد، والنظر إلى وجه الرب جل جلاله، وسماع كلامه منه بلا واسطة. كما قال النبي ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور. فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم ـ ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ سلام قولاً من رب رحيم ﴾[1] ـ ثم يتوارى عنهم، وتبقى رحمته، وبركته عليهم في ديارهم.

فإذا انضم هذا الشاهد إلى الشواهد التي قبله: فهناك يسير القلب إلى ربه أسرع من سير الرياح في مهابها، فلا يلتفت في طريقه يميناً ولا شمالاً.

هذا وفوق ذلك: شاهد آخر تضمحل فيه هذه الشواهد، ويغيب به العبد عنها كلها، وهو شاهد جلال الرب تعالى وجماله وكماله وعزه وسلطانه وقيوميته وعلوه فوق عرشه، وتكلمه بكتبه وكلمات تكوينه وخطابه لملائكته وأنبيائه.

فإذا شاهده شاهد بقلبه قيوماً قاهراً فوق عباده، منفرداً بتدبير مملكته آمراً ناهياً، مرسلاً رسله، ومنزلاً كتبه.. يرضى ويغضب، ويثيب ويعاقب. ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويحب ويغضب، ويرحم إذا استرحم، ويغفر إذا استغفر، ويعطي إذا سئل، ويجيب إذا دعي، ويقيل إذا استقيل أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأعز من كل شيء، وأقدر من كل شيء، وأعلم من كل شيء، وأحكم من كل شيء.

فإذا قام العبد هذا الشاهد اضمحلت فيه الشواهد المتقدمة، ومن غير أن تعدم بل تصير الغلبة والقهر لهذا الشاهد، وتندرج فيه الشواهد كلها، ومن هذا شاهده، فله سلوك وسير خاص، ليس لغيره ممن هو عن هذا في غفلة، أو معرفة مجملة.

---

(١) يس: ٥٨.

وصاحب هذا الشاهد: سائر إلى الله في يقظته ومنامه، وحركته وسكـونه، وفطره وصيامه، له شأن وللناس شأن، هو في واد والناس في واد[1].

فسر في طريق الله، وأكثر من ذكر الله، وخالف النفس والشيطان يطهر قلبك، وتزكى نفسك، ويعتلي قدرك عند الخالق وعند الناس فلا تحسد ولا تحسد.

مناقشة من يرون أن الحسد يصيب المحسود بضرر.

لقد ذكرنا فيما سبق أن المحسود لا يصيبه ضرر من الحسد الذي يقع عليه، وكان معنا كثير من العلماء وعلى رأسهم الإمام الغزالي، إلا أننا يجب أن نحترم آراء الآخرين، وننزلها منزل الاهتمام والاجلال، فتباين الآراء دليل على رقي منهج التفكير عن الإنسان.. والحق أن العلامة ابن القيم له رأي في الحسد أرى أن أذكره.. ثم نعلق عليه.

يقول ابن القيم: «وفي سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿ كان يؤمر العائن فيتوضأ ، ثم يغتسل منه المعين ﴾[2] وفي الصحيحين عن عائشة قالت: ﴿ أمرني النبي ﷺ أو أمر أن نسترقي من العين ﴾[3].

والعين عينان: عين انسيه، وعين جنيه، فقد صح عن أم سلمة أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سعفة، فقال: «استرقوا فإن لها النظرة»[4].

قال الحسين بن مسعود الفراء: «سعفة» أي نظر، يعني من الجن، يقول: بها عين أصابتها من نظر الجن، أنفذ من أسنة الرماح.

---

(١) مدارج السالكين (بتصرف) (٢٥٢/٣) ط السنة المحمدية.
(٢) اخرجه أيضاً البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وأبو نعيم.
(٣) متفق عليه باختلاف يسير.
(٤) أخرجه الشيخان والحاكم وأبو نعيم واستدركه النووي على البخاري لعلة فيه.

ويذكر عن جابر ـ يرفعه ـ أن النبي ﷺ كان يتعوذ مَن الجان، ومن عين الانسان[1].

فأبطلت طائفة ـ محل قل نصيبهم من السمع والعقل ـ أمر العين وقالوا: إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل ومن أغلظهم حجاباً، وأكثفهم طباعاً، وأبعدهم من معرفة الأرواح والنفوس وصفاتها، وأفعالها وتأثيراتها.

وعقلاء الأمم ـ على اختلاف مللهم وشملهم ـ لا تدفع أمر العين ولا تنكره وإن اختلفوا في سببه ووجهه تأثير العين. فقالت طائفة: إن العائن إذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة، انبعثت من عينه قوة سمية تتصل بالمعين، فيتضرر. قالوا: ولا يستنكر هذا، كما لا يستنكر انبعاث قوة سمية من الأفعى تتصل بالإنسان فيهلك، وهذا أمر قد اشتهر في نوع من الأفاعي، أنها إذا وقع بصرها على الانسان هلك، فكذلك العائن.

وقالت فرقة أخرى: قد أجرى الله العادة بخلق ما يشاء من الضرر، عند مقابلة عين العائن لمن يعينه، من غير أن يكون منه قوة، ولا سبب ولا تأثير أصلاً.

وهذا مذهب منكري الأسباب والقوى والتأثيرات في العالم، وهؤلاء سدوا عن أنفسهم باب العلل والتأثيرات والأسباب، وخالفوا العقلاء أجمعين، ولا ريب أن الله سبحانه خلق في الأجسام والأرواح قوى وطبائع مختلفة، وجعل في كثير منها خواص وكيفيات مؤثرة، ولا يمكن العاقل إنكار تأثير الأرواح في الأجسام، فإنه أمر مشاهد محسوس، وأنت ترى الوجه: كيف يحمر حمرة شدة: إذا نظر إليه من يحتشمه ويستحي منه، ويصفر صفرة شديدة عند نظر من يخافه إليه، وقد شاهد الناس من يسقم من النظر وتضعف قواه، وهذا كله بواسطة تأثير الأرواح، ولشدة ارتباطها بالعين ينسب العقل إليها، وليست هي الفاعلة، وإنما التأثير للروح، والأرواح ، والأرواح مختلفة في طبائعها وقواها، وكيفياتها وخواصها، فروح

---

(١) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري قال الترمذي: حسن غريب.

الحاسد مؤذية للمحسود أذى بيناً، ولهذا أمر الله سبحانه رسوله: أن يستعيذ من شره.

وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من خرج عن حقيقة الانسانية، وهو أصل الإصابة بالعين، فإن النفس الخبيثة الحاسدة، تتكيف بكيفية خبيثة، وتقابل المحسود، فتؤثر بتلك الخاصية، وأشبه الأشياء بهذا الأفعى، فإن السم كامن فيها بالقوة، فإذا قابلت عدوها، انبعث منها قوة غضبية، وتكيفت نفسها بكيفية خبيثة، فمنها: ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر في إسقاط الجنين.

والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية، كما يظنه من قل علمه ومعرفته بالطبيعة والشريعة، بل التأثير يكون تارة بالاتصال، وتارة بالمقابلة، وتارة بالرؤية، وتارة بتوجه الروح نحو من تؤثر فيه، وتارة بالأدعية والرقى والتعوذات، وتارة بالوهم والتخيل.

ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية، بل قد يكون أعمى، فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره، وكثير من العائنين يؤثر في العين بالوصف من غير رؤية»[1].

وبذلك انتهى كلام العلامة ابن قيم الجوزية، ومع انزالنا له إلا أننا نخالفه فيما ذكر، فالعلامة لم يستند لدليل علمي في سرد قضيته، بل استخدم اللفظ الثقيل وإسلوب التهكم كقوله (أمر لا ينكره إلا من خرج عن حقيقة الانسانية) وقوله (كما يظنه من قل علمه ومعرفته بالطبيعة والشريعة) .

أما عن الأفعى فما عهدنا بأفعى تنظر فتصيب الانسان بضرر أو تبعث السم في وجهه أو سائر أعضائه. ثم إن الأفعى تحيط بالإنسان وتقترب منه لتصيبه وهو يستطيع مواجهتها. . كما يواجه سائر الوحوش والحيوانات الضارة.

ثم إن الآثار الواردة تفيد وقوع الحسد، وهذا ما لا خلاف عليه، ولكنها لا تفيد وقوع الضرر على المحسود.

---

(١) الطب النبوي (٢٣٣) ط دار إحياء التراث.

وإذا كان الحسد يصيب المحسود بضرر لاستطاع أي إنسان أن يصيب الآخر بالضرر وذلك بحسده.. وهذا منافي للعدالة الربانية.

وما ذنب انسان وسيم أو ذو مال أو صاحب جاه حتى يحسده آخر ربما لا يعرفه، ولم يتعامل معه فيحيقه ضرر من جراء ذلك.

ولقد كان العلامة في تناقض حينما ذكر هدي النبي ﷺ في علاج العين.. قال: «وإن علاج العين لا يخرج عن التعوذات والدعاء».

وبهذا نلتقي والعلامة فنقول إذا كانت العين تصيب (على فرض ذلك) فالاستعاذة والدعاء تمنعها.. ولذا فقد سردنا بعض التعوذات والأدعية فيما يأتي.

الاستعاذة

علمت فيما سبق أن الحسد لا يصيب بضرر إذ أن النافع والضار هو الله، وقد ذمه الاسلام للارتقاء بالنفس المسلمة إلى درجة الطهارة والعفة وحب الخير للناس، وبغض الشر لهم، واستعاذ منه القرآن وأمرنا بالاستعاذة منه، وهذه الاستعاذة كما نستعيذ من شر الجن، ومن شر النار، ومن عذاب القبر. إلخ فالنار لا يدخلها المؤمنون، وعذاب القبر لا يصيب المتقين، بل هم في روضة من رياض الجنة، فالاستعاذة من كل هذه الشرور لأنها شرور بطبيعتها والحسد شر بطبيعته.

ولا ينفي ذلك أن يحصن المؤمن نفسه بذكر الله، ويكثر من الاستعاذة من الحسد والشر كله.. وهاكم بعض المعوذات والكلم الطيب:

ففي السنن عن عبد الله بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: قل. قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: قل: قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

والمعوذتان سورتان: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾.

وفي الترمذي أيضاً عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه: يقول: إذا أصبح أحدكم فليقل: ﴿ اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك

نموت، وإليك النشور، وإذا أمسى فليقل: اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير» أ. هـ.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي صحيح البخاري عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: (سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» من قالها حتى يمسي فمات في ليلته دخل الجنة، ومن قال حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة» أ. هـ.

وفي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: مرني بشيء أقوله إذا أصبحت، وإذا أمسيت. قال: «قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن نقترف سوءاً على أنفسنا أو نجره إلى مسلم، قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك» أ. هـ.

قال الترمذي: حيث حسن صحيح.

وفي الترمذي أيضاً عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ـ ثلاث مرات ـ فلا يضره شيء» أ. هـ.

قال الترمذي: حديث صحيح. وقال الحاكم صحيح الاسناد. كذا رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه.

وفيه أيضاً عن ثوبان وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يمسي وإذا أصبح: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، كان حقاً على الله أن يرضيه».

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

الذكر الذي يحفظ به النعم وما يقال عند تجردها:

قال الله سبحانه وتعالى في قصة الرجلين: ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾[1].

فينبغي لمن دخل بستانه أو داره، أو رأى في ماله وأهله ما يعجبه أن يبادر إلى هذه الكلمة فإنه لا يرى في شيء منها سوءاً.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل ومال وولد فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرى فيها آفة دون الموت».

وعنه ﷺ: «أنه كان إذا رأى ما يسرة قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات» وإذا رأى ما يسوؤه قال الحمد لله على كل حال»[2] أ. هـ.

أدعية جامعة:

في المسند وسنن النسائي وغيرها: أن سعداً سمع ابناً له يقول: اللهم إني أسألك الجنة وغرفها، وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار وأغلالها وسلاسلها. فقال سعد رضي الله عنه: لقد سألت الله خيراً كثيراً وتعوذت به من شر كثير، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء، وبحسبك أن تقول: اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم».

وفي مسند الامام أحمد وسنن النسائي عن ابن عباس قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «رب أعني ولا تعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، وانصرني على من بغى عليَّ، رب اجعلني شكاراً لك ذكاراً رهاباً لك مخبتاً إليك أواهاً منيباً، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني واسلل سخيمة قلبي» هذا حديث صحيح رواه الترمذي وحسنه وصححه.

---

(١) سورة الكهف: ٣٩.

(٢) الوابل الصيب لابن القيم (١٥٧) طـ القاهرة.

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: كنت أخدم النبي ﷺ، فكنت أسمعه يكثر أن يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال» أ. هـ.

وبعد... فكن أخا الاسلام ذاكراً موحداً تصفو روحك، وتعتلي قدرتك، وترتقي نفسك.

أسأل الله لي ولك وللمسلمين حسن الختام، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

القسم الثاني

السحر

دراسة في ظلال القصص القرآني والسيرة النبوية

الباب الأول

غريزة الشر عند الإنسان

تتنازع البشرية من أجل حياة أفضل... وتتباين معالم الطبيعة لتخدم فئة من البشر وتحط من شأن فئة أخرى... وتتغير الظروف لتكون على حساب أناس... ولتساعد أناساً آخرين... وتتبدل الأحوال سواء أغيرها الإنسان... أم تغيرت رغماً عن أنفه لتباين أفعال الناس وسلوكهم ومعالم تفكيرهم... فتجد لكل منهم طريقة تكاد تتوحد لتكون سلوكاً معيناً.

فالدنيا في صراع يعرفه أصحاب الأحوال، وأولوا الأمزجة والطبائع التي تتطلع إلى حياة أفضل (كما يرونها)

الكل يريد أن يرقى إلى المجد... والكل يحاول بذل الكثير في سبيل شقة فاخرة أو سيارة فارهة أو مركز اجتماعي يعلم تماماً زواله... وما أقرب الغد! وما أسرع الأيام!.

ونجد أناساً لا حول لهم ولا قوة يرضون بحياتهم... فيلبسون الفقر درعاً ويحملون المر معطفاً... وآخرين لا يريدون أكثر من المعيشة بالكرامة والعزة... فيسلمون أمرهم . وهؤلاء لن نتطرق اليهم في بحثنا عن وحشية الانسان.

أما الذين يريدونها بشدة ولا يعرفون مرارتها وسقمها ويتعجلون إتيانها فيلجأون إلى الشر بدرجته التي لا يصل إليها إلا كل متعنت خرج عن الانسانية والرحمة.

فكان الاسلام على حق حينما دعا إلى الوسط في كل شيء ونهى عن الإفراط في كل شيء... فضرب بذلك مثالاً للتربية التي تقوم على أسس علمية من خلال معرفتها بغور النفس البشرية... والله بارئها... وهو الذي لا يخفى عليه السر والعلن.

ويصل الإنسان إلى قمة الشر حينما يبتعد عن منهج الله رب العالمين... فيتحكم في سلوكه الشيطان ويسيطر على فعاله فيقع في الهاوية.

وربما يصل إليها في ـ لحظة غضب ـ ولكن لا يعفى من المسؤولية إذ أنه هو الذي تركها يقودها شيطانه ويوجهها تجاه ما يريد.

والوصول إلى قمة الشر إهلاك للمجتمعات البشرية، وعقبة في سبيل تقدمها وازدهارها، وعرقلة النمو والوعي القومي والفكري والارتقاء بالنفس البشرية . فالشر في المجتمع يفرض على أصحاب الفهم البطىء أنهم يحاولون تقليد هؤلاء إما للوصول إلى عزتهم ـ كما يتخيلونها ـ أو لمواجهتهم لئلا يصابوا بسوء.

ولذلك كان ينبغي علينا أن ندرس نزعات الشر عند الإنسان، وكيف نعالجها؟ وكيف عالجها الإسلام، بإحكام منهجه، وسبيله في التربية.

ومما لا شك فيه أن السحر وصول إلى قمة الشر... لأن الساحر يتجرد من عواطفه وأحاسيسه وإنسانيته وما سار عليه الناس في حياتهم، بل يتجرد من الرابطة التي بينه وبين خالقه فيجحده ويكفّر به (ويسبه) ولذا كان السحر من أكبر الكبائر.

ولذا كان لا بد للإنسان أن يعي نفسه فلا يتركها تنقاد وراء الهوى حتى لا تضل ـ فالانقياد بداية الطريق الذي يوصل بعضه إلى بعض فيؤدي في نهايته إلى الوحشية... فيمكن أن يكون ساحراً أو قاتلاً أو زانياً أو عاقاً... إلخ.

فعلى المؤمن الذي يريد أن يحافظ على ماء وجهه أن يعي ذلك فيجعل قلبه

ونفسه دائماً صافيين طاهرين. . . باتباع طرق علاج مرض القلب وتقويم النفس وإلزامها ووعظها وزجرها.

ويجب على المؤمن أن يعلم كيف يمرض القلب وما الذي يمرضه وبذلك يستطيع علاجه بتزويده بكثرة الذكر والدعاء والالتزام وطلب الرحمة . وهاكم تعريفاً عن مرض القلب .

القلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادة، ومحبة، وتوكلاً، وإنابة، وإخباتاً، وخشية، ورجاء، وخلص عمله لله، فإن أحب أحب في الله، وإن أبغضَ أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله. ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتمكين لكل ما جاء به رسول الله ﷺ، فيعقد قلبه معه عقداً محكماً على الائتمام والاقتداء به وحده، دون أحد في الأقوال والأعمال في أقوال القلب وهي العقائد، وأقوال اللسان وهي الخبر عما في القلب وهي العقائد، وأقوال اللسان وهي الخبر عما في القلب، وأعمال القلب، وهي الإرادة والمحبة والكراهية وتوابعها وأعمال الجوارح، فيكون الحاكم عليه في ذلك كله ما جاء به الرسول ﷺ .

القلب الميت:

هو القلب الذي لا حياة فيه، فهو لا يعرف ربه ولا يعبده بأمره وما يحبه، ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه، رضي ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله: حباً، وخوفاً، ورجاء، ورضاً، وسخطاً، وتعظيماً، وذلاً، أن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه. فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور، ينادي إلى الله وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد، فلا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مريد، الدنيا تسخطه وترضيه، والهوى

يصمه عما سوى الباطل ويعميه، فهو في الدنيا كما قيل في ليلى:

عـدو لمـن عـادت، وسـلم لأهـلهـا
ومـن قـربـت لـيـلى أحـب وقـربـا

فمخالطة صاحب هذا القلب سقم، ومعاشرته سم، ومجالسته هلاك.

القلب المريض:

قلب له حياة وبه علة، فله مادتان، تمده هذه مرة، وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه: ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وايثارها والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر والعجب، وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة: ما هو مادة هلاكه وعطبه، وهو ممتحن بين داعيين: داع يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة... وداع يدعوه إلى العاجلة، وهو إنما يجيب أقربهما منه باباً، وأدناهما إليه جواراً..

فالقلب الأول: حي مخبت لين واع، والثاني يابس ميت، والثالث مريض، فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى.

وقد جمع الله سبحانه بين هذه القلوب الثلاثة في قوله:

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد، وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴾[(١)].

فالقلب المريض هنا: إن غلب عليه مرض التحق بالميت القاسي، وإن غلبت عليه صحته التحق بالسليم.

فما يلقيه الشيطان في الأسماع من الألفاظ، وفي القلوب من الشبه والشكوك: فتنة لهذين القلبين، وقوة للقلب الحي السليم، لأنه يراد ذلك ويكرهه

---

(١) الحج: ٥٢ ـ ٥٤.

ويبغضه، ويعلم أن الحق في خلافه، فيخبت للحق ويطمئن وينقاد، ويعلم بطلان ما ألقاه الشيطان، فيزداد إيماناً بالحق ومحبة له وكفراً بالباطل وكراهة له، فلا يزال القلب المفتون في مرية من إلقاء الشيطان أبداً.

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ:

«تعرض الفتن على القلوب تعرض الحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشر بها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين: قلب أسود مرباداً كالكوز مجخياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه، وقلب أبيض فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض» أ. هـ.

فشبه عرض الفتن على القلوب شيئاً فشيئاً تعرض عيدان الحصير. وهي طاقاتها شيئاً فشيئاً، وقسم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين: قلب إذا عرضت عليه فتنة أشر بها، كما يشرب الإسفنج الماء فتنكب فيه نكتة سوداء، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسود وينتكس، وهو معنى قوله «كالكوز مجخياً» أي مكبوباً منكوساً، فإذا أسود وانتكس عرض له من هاتين الاثنتين مرضان متراميان به إلى الهلاك. أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفاً. ولا ينكر منكراً، وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف معروفاً، ولا ينكر منكراً، والمنكر معروفاً. والسنة بدعة والبدعة سنة، والحق باطلاً، والباطل حقاً، الثاني: تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول ﷺ وانقياد للهوى واتباع له.

وقلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان، وأزهر فيه مصباحه. إذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردها، فازداد نوره وإشراقه وقوته .

والفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات، وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل، فالأولى توجب فساد القصد والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد. وقد قسم الصحابة رضي الله تعالى عنهم القلوب إلى أربعة، كما صح عن حذيفة بن اليمان:

«القلوب أربعة: قلب أجرد، فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف، فذلك قلب الكافر. وقلب منكوس فذلك قلب المنافق. عرف ثم أنكر، وأبصر ثم عمى. وقلب تمده مادتان: مادة إيمان، ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منهما» أ. هـ.

فقوله: «قلب أجرد» أي متجرد عما سوى الله ورسوله، فقد تجرد وسلم مما سوى الحق. و«السراج يزهر» وهو مصباح الإيمان: فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغي، وبحصول السراج فيه إلى إشراقه واستنارته بنور العلم والايمان، وأشار بالقلب الأغلف إلى قلب الكافر، لأنه داخل في غلافه وغشائه، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان كما قال تعالى حاكياً عن اليهود:

﴿ وقالوا قلوبنا غلف ﴾[1].

وهو جمع أغلف، وهو الداخل في غلافه، كغلف وأغلف وهذه الغشاوة هي الأكنة التي ضربها الله على قلوبهم، عقوبة لهم على رد الحق والتكبر عن قبوله. فهي أكنة على القلوب ووقر في الأسماع، وعمى في الأبصار، وهي الحجاب المستور عن العيون في قوله تعالى:

﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه في آذانهم وقراً ﴾[2].

فإذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد وتجريد المتابعة، ولى أصحابها على أدبارهم نفوراً[3].

﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾[4].

---

(١) البقرة: ٨٨.
(٢) الاسراء: ٤٥، ٤٦.
(٣) اغاثة اللهفان لابن القيم (١٨) جـ ١ الحلبي.
(٤) الأنعام: ١٢٢.

فتلك هي أقسام القلوب... فتبين نفسك على أي حال منها... واحذر الهوى فإنه يؤدي إلى التخبط بين الظلمات فلا يرى الإنسان ما أمامه.

﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ﴾[1].

وبذلك يشرح الله صدرك للإسلام... ويطمئن للإيمان.

وعندما يضل الإنسان يتخبط وسط الظلمات فيصل إلى قمة الشر، فالعاقل من حافظ على ماء وجهه والزم نفسه تقوى الله ليرق قلبه وتصفو روحه وتزكو نفسه... فيكون في عليين وهو بين البشريين... نسأل الله أن نكون منهم...

---

(١) الأنعام: ١٢٥.

الباب الثاني
دوافع السحر
بين الإسلام.. والعلم الحديث

الحسد والتنافس والتكالب على القوة وحب السلطان والمال والجشع والطمع وحب الشهوة والانتقام والمكائد والدسائس وغيرها التي كانت تعيش فيها هذه البلدان كل هذه كانت في حاجة ماسة للسحر لتحقيق أغراض ذوي المآرب.

فقد كان لكل ملك أو أمير أو أميرة الساحر أو الساحرة الخاص الذي يقوم بخدمتهم ويحقق لهم أغراضهم..

ففي انجلترا استعانت الليدي (اليانور كوبهام) بالساحرة (مارجريت جوردومان) للتأثير على دوق همفري فوقع في غرامها وتزوجها رغم العقبات، والصعاب الشديدة التي عاقت هذا الزواج سواء من جهة المال أو جمال الخلقة إذ أن الليدي كوبهام كانت مشهورة بدمامة شكلها...

كما أن دوقة بدفورد استعانت بالساحرات والسحرة للتأثير على الملك أدوارد الرابع وما زالت تسحر له حتى تزوج كريمتها الليدي اليزابت جراي.

ومن الساحرات العاتيات في تاريخ بريطانيا (آنابولين) زوجة هنري الثامن الذي عقد عليها زواجه رغم أوامر الكنيسة ومعارضة رجال الدين وغضبهم عليه، ولذا كان أول عمل أتته هذه الشيطانة بعد زواج الملك أن تخلصت تدريجياً من هذه الطائفة ونفوذها.

وكانت هذه الابليسة مع جمالها الفاتن من أقسى وأشد الساحرات الراسيات اللائي تحدث عنهن تاريخ المملكة المتحدة فكانت لا تتورع ولا تتردد عن ارتكاب أبشع الجرائم وأرذلها بطريق السحر في سبيل إعلاء كلمتها وفرض سلطتها على الملك وباقي حاشيته. . . وكانت تلجأ في معظم الحالات إلى قتل ضحاياها بواسطة السموم التي لا تظهر لها أعراضاً على الضحايا ويقال إن هذه السموم أو السميات كانت تصنعها لها خصيصاً الشياطين وهم الذين يتولون دسها في طعام أو شراب من تريد التخلص منهم.

ويذكر المؤرخ Brower أنها في ليلة واحدة تخلصت مما يزيد على أثني عشر كاهناً واسقفاً وقسيساً ومن بينهم الكاردينال Ionfialer فقد وصلتها الأنباء بأن الكاردينال المذكور يعد وليمة غداء لزملائه رجال الدين وتمكنت الشياطين من دس السم لهم في الحساء على شكل مسحوق أبيض لا طعم له ولا لون وقد أتى على الجميع .

وكان زوجها (هنري الثامن) عاجزاً تماماً عن مناهضتها أو الوقوف في طريقها أو معاقبتها أو مقاومة سحرها الجسدي والشيطاني وكان يقصر همه على التذمر أو التضجر من أعمالها ولا يدعوها إلا باسم (المرأة الشيطانة) حتى لاقت حتفها وبالكشف عن جثتها وجدت بها علامة الشيطان مدموغة في مكان ما بظهرها.

«وكانت نبيلات فرنسا ونبلاؤ ها وكبار رجالها المغرمون بالسحر لدرجة كبيرة كان لكل نبيل أو نبيلة أو رجل عظيم ساحره الخاص أو ساحرته الخاصة التي تقوم بالخدمات السحرية فقط نظير ما يغدقونه عليهم من الأموال والهبات وكانوا موضع حمايتهم والدفاع عنهم وتخليصهم من يد القانون. . . ومن هؤلاء العظماء الذين يحدثنا عنهم تاريخ فرنسا الكاردينال (ريشليو) الذي عين لخدمته عدد من أكابر السحرة استطاع بواسطتهم من التغلب على أعدائه وإخضاع الكثيرين له حتى أفراد العائلة المالكة كما استعان بهم أيضاً في الخلاص من كل من كان يقف في طريقه أو يعارضه.

ولا عجب فإن حياة الأسر المالكة في هذه العصور وما كان يحيطها من عوامل الدسائس والمكائد والجشع والأطماع وحب السلطة والشهوة والانتقام كل هذا ألقى بالنبلاء والزعماء في أحضان السحرة والساحرات لتحقيق مآربهم ورغباتهم[1].

كما أن الفراغ الفكري والحاجة إلى الاستناد إلى الأقوى والإحساس بالضياع وراء تعلم الإنسان السحر..

ومثال ذلك راهبة قرطبة ـ والرهبانية إلقاء بالإنسان إلى الفراغ الفكري والتشتت العقلي والذهني والإغراق في حقائق وهمية يعلمها كما يعلم الماء والنار والقرطاس وكما يعلم حاجته للطعام والهواء...

والنتيجة تعلم هذه الراهبة ما علمته من طمس الحقائق عند إخواننا المسيحيين وتزيينها ومحاولة الإقناع بالذراع والقهر ـ نتيجة ذلك تعلمها السحر وعشقها كما يلي:

يذكر التاريخ حادثة الراهبة «ماجدلين دي لاكروز التي دخلت دير سانت ايزابل دي لوس انجلوس بقرطبة وهي في سن السابعة عشرة... فقد كان يحدث لهذه الراهبة منذ دخولها الدير نوبات يغمى فيها عليها وتتكلم وتتنبأ بحوادث تتم بعد بضعة أيام وتأتي من الأعمال الغريبة ما أدهش الناس فذاع أمرها بين أهل اسبانيا وصارت موضع احترام وتبجيل جميع الطبقات حتى عدوها في مصاف القديسات. وكان يشك في أعمالها وتنبؤاتها الكاردينال جوان دي أمنيل، وكان ملماً بالعلوم الغامضة وأساليبها ودرس كثيراً عن الشياطين وظواهر أعمالهم فلم يصدق كل ما كانت تأتي به هذه الراهبة من أعمال خارقة ولم يعتبر مصدرها قوة الهبة بل على العكس اعتبرها مساً من الأرواح الشريرة... واستمر الحال مع الراهبة مدة تسعة وثلاثين عاماً حتى مرضت وأشرفت على الموت فاعترفت بين دموعها الغزيرة أنها منذ دخولها الدير كانت تعمل تحت سلطة وبأمر وإرشاد روحين شريرين اسمهما (بوتور بووبالبان) وكان يظهران لها على هيئة

---

(١) كتاب السحر (٢٣) محمد محمد جعفر (الانجلو المصرية).

رجلين من المغاربة وكانت هذه الراهبة عشيقة كل منهما. . . وهما اللذان علماها خفة اليد وشغل الحواة وكان يخبرانها بالحوادث القادمة وغيرها مما أثار دهشة الاسبانيين. . .

ويعلق المؤرخ (بودين) على هذه الحادثة بقوله: إن ماجدلين المذكورة لا بد أن تكون ابنة إحدى الساحرات الكبار التي وهبتها عند ولادتها للشيطان وهذا أمر كان كثيراً ما يحدث بين الساحرات خصوصاً إذا عمل كل أفراد العائلة بالسحر[1].

ومما لا شك فيه أن ماجدلين هذه أخفت كثيراً من الحقائق التي تعرضت لها، فرأينا فيها أنها ساحرة وإلا فكيف تتصل بالأرواح الشريرة هذه. . . إلا لأنها كانت بعيدة عن الناس لم ترض أن تؤذي أحداً لانغلاقها في ديرها. . . وربما كان تسحرهم وكذلك البعيدين عنها ولكنهم لم يعرفوا حقيقتها كما هو ظاهر من خلال سرد الحادثة.

فترى أخي القارىء أن السحر قد انتشر وذاع صيته في أوروبا، وأوروبا بالذات خاصة بعد الإسلام. . . وخاصة بعد ما يسمى بالحضارة الغربية الحديثة. ذلك أن حضارتهم قد أفلست فعاشوا في تناقض رهيب فأحس الناس بالضياع فاتجه من اتجه منهم إلى السحر أو الشعوذة أو الضحك على نفسه. . .

وهاكم بعض تناقض الأوروبيين.

«فالغربي إنسان غير مفهوم! فقد كفر الأروبيون بالحياة في الحرب بعد أن جنوا في وقت السلم وهم لم يذكروا السلم في زمن الحرب كما أنهم لم يذكروا الحرب في فترة السلم.

لم يتخذوا من قانوني الحياة والموت حداً وسطاً يقيمون عليه حياتهم وما استخلفوا عليه من حياة الآخرين، فيعيشوا على كفتي ميزان متعادلتين آخذين خطاً صالحاً يعدل السلام ويعدل الحرب.

---

(١) السابق (٧٤).

هم فجروا في فترة السلم: فتشهوا، وكفروا، وعبدوا، واحتقروا الضعيف، وشرهوا للمال، وغصبوه من أفواه الآخرين بالحديد والنار، وخانوا أمانة الاستخلاف على الأرض، وتنازعوا على الطعام الكثير كما يتنازع الأطفال غير المهذبين!

وهم فجروا في هذه الحرب، فلم يراعوا حرمات الحياة الانسانية التي قدستها الأجيال: فصبوا العذاب على الأطفال والنساء والمستضعفين والمرضى وسكان المعاهد والمعابد المسالمين، وحرقوا الأقوات والأرزاق والمأوى. . . فحياتهم لا تحتمل ولا تستحق العمل بعد هذه الحرب إذ أصروا على أن يلجأوا لحرب أخرى بهذه الكيفية النكراء التي تدمر ما عمروا وعمر الناس.

من يصدق أن أوروبا البانية العاملة المعمرة المخترعة العابدة للحياة الساعية الجاهدة في سبيل الكشف والمال والاختراع الباحثة المنقبة عن خبايا الأرض وركازها، الرائدة الكاشفة عن مجاهلها، المبشرة بالمثل العليا بين الأقوام المختلفة، القاضية على تجارة الرقيق، الحاملة للتجارات والمعلومات، الواصلة بين أقطاب الأرض صلة اللاسلكي والراديو والتليفزيون ـ لهداية الوثنيين، الدارسة للأنواع والأجناس . . . هي هذه المخربة المدمرة الباطشة بطش النمور والأسود، القاسية على النساء والأطفال والضعفاء، المفتنة في وسائل الآلام، الهدامة للدور، المحيلة عمار المدن إلى خراب القبور ! .

الأجسام العاجية الجميلة تذوب وتصهر وتسحق عظامها وجماجمها تحت أثقال الحديد والجلاميد. . . . !

الوجوه المشرقة البيضاء ذات العيون الزرقاء، والشعور الذهبية ذهبت قرابين تأكلها النار باختيارها.

مسكينة! طافت في جميع بقاع الأرض تجمع الذهب، الأصفر «والذهب الأسود» والحديد . ثم أوقدت على الجميع النار واحترقت معه!

جمعته في أنانية وجشع واعتزاز واعتزام. . . لا لتملأ البطون الفارغة وتكسو

الأجسام العارية، وتعين أبناء الحياة على نوائب الحياة، ولكن لتملأ أفواه المدافع وبطون المقابر.. !

خلاصة الانسان العاملة المجاهدة المتاجرة المحاربة العالمة، تحترق الآن على مشهد من الزنوج والاسكيمو!

الحياة تتحطم بأيدي بنائها ومقيمي صروحها العالمية وجامعي مواد بنائها من لحومهم وعظامهم ودمائهم وذهبهم وحديدهم ونور عيونهم في المعامل والمعاهد!..

الغادة اللعوب الفاتنة ذات المساحيق والأصباغ والعطور والأزهار واللؤلؤ والديباج «المانوكير» تتكشف عن العجوز الشوهاء المريضة ساكنة الكهوف والمغارات، الضاربة على الدف لشن الغارات ! ..

الأم العاقلة العالمة، تصيبها جنة وجهالة فتأكل بناتها وبنيها!..

لندن وبرلين يصب عليها الخراب والدمار صباً فيباد ما فيهما من مراكز نمو الحياة و«علب» أسرارها «وقماقم» أجنتها وولائدها!

والإنسانية الجاهلة الغافلة المقيمة بالأكواخ في القارة السوداء وأوسط التبت ترى هذه الانسانية العالمة المدبرة الجميلة تشن الغارة على الحياة بالزلازل والبراكين والصواعق الصناعية... فنحمد الله على الحياة في الغابات مع الأسود والقرود التي لا تلتقم منها إلا أفراداً[1].

لقد بنى الغربيون حياتهم على مناعة الأجسام وحدها من أمراضها ولم يبحثوا عن وسائل مناعة الأرواح من آفاتها، فأخذوا الحياة من جانبها الضعيف، وتركوا الجانب الآخر، وقوانين الطبيعة لا ترحم من يخالفها ولا تحابيه، بل تدافع عن وجودها وتهدم من يحاول هدمها..

فمن يدع ثغرة في بناء الحياة من غير سدها، أوشك أن يدخل منها إلى البناء ما يأتي عليه من القواعد، ويجعله خاوياً على عروشه.

---

(١) أومن بالانسان للأستاذ: عبد المنعم خلاف (٢٠٧) ط المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية.

وكان جديراً بالإنسان الأوروبي الذي يعرف حجم الميكروب الصغير وخطورة آثاره، فيحترس منه ويقيم الأرصاد والجواسيس خشية اقتحامه عليه ثغرة من ثغرات جسمه، أن يعرف أن للحياة الروحية جراثيمها الفتاكة، فيجاهد لكفاحها وقتلها كما يفعل بأخواتها جراثيم الأجسام حتى يسلم جميع قواعد بناء الحياة من أسباب الانهيار.

ولكنه لم يعرف بعد! الجراثيم الروحية، ولا يزال روحه يعيش في عصر التطبيب بالخرافات، كما كان يعيش في عصر الخرافات في طب الأجسام.

والحق أن هذه الأحداث والخراب الفكري والإفلاس الحضاري محا كثيراً من الظنون الواهمة، وصحح الأفهام الفاسدة، وكشف عن الأبصار غطاء التموية وسحر التخييل، فإذا بالأوروبيين يعودون إلى المعاني الأزلية الخالدة التي بزغت من قلوب أبنائها ، واستنزلوها من السماء بالإخلاص والبكاء لرب الحياة الذي وضع الإنسان فيها موضعه بين الأهوال والألغاز والأسزار.

فإذا النظم الأوروبية الظالمة الجائرة المتحجرة تذوب تحت حرارة أنفاس الدعاء إلى السلام والحق والعدالة... بعد ما رتلت ترتيلات بالحق والعدالة.

فرجوع الأوروبيين شيئاً ما ـ وإن كان رجوعاً إلى فساد ـ إلا أنه يلزمهم شيئاً من الالتزام والبعد عن الأخلاقيات المذمومة فيبتعدون بذلك عن قمة الشر.. التي عندها يعمل الانسان بالسحر.

ولذلك نجد أن السحر قل في زماننا لهذا الأمر... وكان قد انتشر قبله لانتشار المجون والفراغ الفكري... رغم أن الحضارة الأوروبية ما زالت مفلسة، ورغم أنها هوت تحت ضربات الزمان.

الباب الثالث

حقيقة السحر

١ ـ تاريخ السحر:

زاول الساحر (زوروستر) السحر في بلاد الفرس قبل ظهور المسيح بخمسة آلاف عام. ويعتبر هذا الساحر واضع طرق السحر وأسسه التي سار عليها الكنعانيون والمصريون والهنود وغيرهم.

وكان لكل فئة معتقد خاص يعتقده في القوة السحرية فمنهم من يعتقدها في القطط والكلاب، ومنهم من يعتقدها في الطيور الصغيرة .

ومن طريف ما يروى في السحر بدماء الطيور ما حدث عندما تقابل جيش ملكهم (فلامنيوس) مع جيوش القرطاجيين بزعامة القائد (هانيبال) أن أمر (فلامنيوس) هذا رئيس السحرة بذبح أحد الطيور وعمل السحر اللازم الذي يضمن له هزيمة أعدائه: ولما عمد الساحر إلى الطائر المقصود، وقدم له الطعام قبل ذبحه ليجري عليه سحره أبى الطائر الطعام فعد الساحر هذا دليلاً على هزيمة قائده، وعاد إليه يحذره من مغبة الهموم في هذا اليوم على أعدائه، ولكن القائد فلامينوس قهقه من كلام الساحر وسأله (وما العمل إذن إذا رفض الطائر الطعام اليوم وغداً وبعد غد ولمدة طويلة. . .؟ (فأجاب الساحر أنه يجب على القائد الانتظار، ولكن القائد هزأ من نصيحة ساحره وأمره بذبح الطائر فوراً وعمل السحر حالاً فرفض الساحر وكان جزاؤه القتل فوراً وأمر «فلامنيوس» جيوشه

بالهجوم على القرطاجيين ودارت الموقعة حول بحيرة (تراسمين) وقتل فيها «فلامنيوس» وخمسة عشر ألفاً من رجاله.

أما سحرة الكلدانيين فلقد اهتموا بدراسة الكواكب والنجوم.

ومن أعظم ملوك مصر الذين حكموهم في آخر عصورهم الملك (نيكتاييبس) وكان ساحراً ضليعاً، وامتد حكمه إلى عام ٣٥٨ ق. م.

وكانت الكلمة التي يستمد منها المصريون القوة لنجاح سحرهم تدعى (HE - KAw) وقد وجدت منقوشة على التعاويذ والطلاسم والجعارين وغيرها من آثارهم . . . ووجد بورقة البردى رقم ١٢٢ المحفوظة بالمتحف البريطاني بعض التلاوات والرموز السحرية التي كان يستعين بها السحرة المصريون في أعمالهم وطقوسهم .

ولا ينكر أحدنا ذلك السر الرهيب الذي أودع فيه قدماء المصريين لعناتهم على كل من ينبش قبورهم أو يسرق مخلفاتهم أو يعبث بمحتوياتها، وليس بعيداً ما حدث للورد (كانارافون) والمستر (كارتر) مكتشفي قبر توت غنخ آمون فالأول توفي قبل أنتهاءكشف المقبرة بعد ما حل به من المتاعب العائلية والخسائر المالية وغيرها، مما أودى بحياته قبل تحقيق أمله . . . أما المستر (كارتر) فقد نجا من الموت بأعجوبة يوم اكتشاف المقبرة بالذات. . . فقد كان يعتز بعصفور من نوع (الكناريا) يحتفظ به في قفص بديع بمكتبه أو منزله قرب المقبرة. . . وفي يوم اكتشافها التهمت أفعى كبيرة من نوع الكوبرا هذا العصفور وتربصت للمستر (كارتر) لتنهي أجله ولكن المستر (كارتر) لم يقصد مكتبه بعد الكشف بل عاد إلى القاهرة ليذيع النبأ وكلف بعض أتباعه بنقل أمتعته إليها. . .

«وقد بذلت جميع الدول في الممالك الغربية قصارى جهدها ومجهودها للخلاص من السحرة ففرضت عليهم أقسى وأشد العقوبات التي أخفها الشنق ونالتهم بالتعذيب والتنكيل والتشهير ومصادرة الأموال وإنزال العقوبات بهم وبذريتهم. . . فكانت كل من فرنسا وألمانيا وايطاليا تحكم على السحرة بالإعدام حرقاً.

وفي اسكتلندا كانوا يعاقبونهم بإلقائهم في إناء حديدي كبير مملوء بالقار المغلى وكانت انجلترا وبعض دول أوروبا تعدمهم شنقاً أمام الجمهور، وكان عقاب الساحر أو الساحرة في أمريكا الاعدام شنقاً في أقرب شجرة بالطريق وقد ذهب ضحية هذه الطريقة الكثير من الزنوج الأبرياء خصوصاً في جنوب الولايات المتحدة فإذا سار قوم من البيض وصادفهم زنجي في طريقهم أخذوه وشنقوه في أول شجرة تعترض طريقهم متهميه زوراً بالسحر دون محاكمة.

وقد استعمل بعض الملوك طريقة (الخازوق) في إعدام السحرة، كما عاقبتهم دول كثيرة بطريقة (التشريح) وطريقتهم في ذلك أنهم كانوا يأتون بالساحر ويمدونه على مائدة كبيرة غليظة مقسمة إلى أربعة أقسام مفصولة عن بعضها. ويفردون ذراعيه إلى أعلى بحيث يقيدون الذراع الأيمن في ركن المائدة الأعلى الأيمن والذراع الأيسر في ركنها الأيسر والقدم اليمنى في الركن الأسفل الأيمن ومثلها القدم اليسرى، ومركب بوسط هذه المائدة عجلة مصنوعة ومتصلة بالمائدة بطريقة مخصوصة حتى إذا ما دارت العجلة انفصلت أربعة أجزاء المائدة عن بعضها وتحرك كل جزء منها في اتجاه مضاد للآخر فيتحرك الذراع الأيمن إلى الشمال الغربي والذراع الأيسر إلى الشمال الشرقي والقدم الأيمن إلى الجنوب الغربي، والأيسر إلى الجنوب الشرقي... وبهذا تتفكك أوصال عضلات ومفاصل الساحر وتسبب له من الآلام الفظيعة المبرحة ما لا تقوى عليه الأبالسة وتتسبب في نهاية أجله بعد بضع دقائق ثم تؤخذ جثته وتحرق ويبعثر رمادها في الشوارع.

ولكن أبشع وأقسى طريقة اتبعت لعقاب الساحر هي التي كانت تطبقها محاكم التفتيش في اسبانيا. فقد أعدت هذه المحاكم غرفاً مخصوصة مزودة بكافة آلات ومعدات التعذيب التي لا تخطر على بال البشر واطلقوا عليها «غرف التعذيب أو الاعتراف» فعند القبض على الساحر واعترافه مبدئياً بمزاولته السحر يؤخذ على رأي المثل (من الدار للنار)... ويدخل غرفة التعذيب حيث تجري عليه العقوبات التالية...

يعلقونه من ساقية بعد ربط يديه إلى جانبي عجلة كبيرة بحيث يكون رأسه

إلى أسفل ثم تدور هذه العجلة جملة دورات عنيفة حتى إذا ما دارت وجعلته في الوضع الصحيح أعني انقلب وضعه وصار رأسه فوق ورجلاه تحت يبدأون في تقليع أظافر رجليه واحداً واحداً حتى إذا ما انتهو من الأمر أداروا العجلة ووضعوه في الوضـع المقلوب الأول ثم يبدأون في تقليع أظافر يديه واحداً بعد الآخر. . . ثم تدور العجلة وتضعه في وضع أفقي ويختارون من جسده الجهات الممتلئة باللحم والشحم كالكتفين أو الفخذين أو الساقين. . . الخ ويشقون فيها طرقاً طويلة أو قصيرة حسبما يتراءى لهم ثم يصبون فيها الزيت أو القار المغلي. . . ثم يضعونه في الوضع المقلوب الأول ويفقئون عينيه بمسامير كبيرة محماة وينهون هذا العذاب أخيراً بحرقه. . .

ونظراً لهذا العذاب الأليم كانت لا تقرر المحاكم في اسبانيا مجازاة الساحر إلا بعد اعترافه الصريح بمزاولة السحر بناء على اتفاق أو عقد أبرمه مع الشيطان، وعلى الساحر أن يقرر هذا كتابة ويبين في إقراره متى وأين عقد اتفاقه وما هي نصوص الاتفاق ومدته وعلى أية صورة كان يظهر له الشيطان وما هي المواد التي يستعملها في سحره ومن يحضرها له ولمن كان يسحر ولصالح من ولضرر من وغير ذلك من الأسئلة التي لا تجعل محلاً للشك في نوايا الساحر أو عقابه زوراً.

وانتقل السحر من أوروبا إلى آسيا ووصل إلى جزيرة جاميكا والأمريكتين. . . وقد ذكر المستر (ي ويليامز) عن سحر أهالي جاميكا وفنونهم فيه الشيء الكثير في كتابيه.

الصادرين عام ١٩٣٢ و١٩٣٥ على التوالي.

وما زال للآن في الأمريكتين من يعملون في السحر لوقتنا هذا. . . وقبيلة الأنكاس مشهور أمرها هناك وقد ذكر كل من الرحالة والمستكشفين الشيء الكثير عن طقوسهم ومراسيمهم واحتفالاتهم السحرية مما يشهد لهم بطول الباع في هذا الأمر .

ورغم العقوبات وأنواع التعذيب التي فرضتها الحكومات الأجنبية على

السحرة والساحرات إلا أن كل هذا لم يكن كافياً لشل حركتهم أو شوكتهم أو تخويفهم أو استئصال بذور الشر من نفوسهم وكانوا يعتقدون أنهم ببيعهم روحهم للشيطان لم يبق هناك روح لإزهاقها بواسطة الشنق أو الحرق وغيرها من طرق الإعدام . . . ولكن كان هناك نفر من السحرة المثقفين والمتنورين كأرباب الأعمال أو المال أو الأساتذة فكانوا خوفاً من الجزاء الصارم يسترون سحرهم بحجج باطلة واهية إذ كانوا يدعون أن سحرهم موجه للأعمال الخيرية والإفادة مثل شفاء المرضى أو الإصلاح بين العائلات أو الأزواج أو الكشف عن أسرار الكنوز والعلوم المخبأة التي تنفع المدنية ويستفيد منها الناس ولذا كانوا يطلقون على عملهم هذا: السحر الأبيض تفرقه له من السحر الأسود المقصود به الضرر . . . ولكن كل هذا الادعاءات وكل هذه الحيل لم تأخذ بها الحكومات ولم يقرها القانون وقضوا على كل حالاته بما لا يخرج عن كونه السحر الأساسي في الاستناد إلى قوى غير طبيعية ، وأن الساحر نفسه يعمله ويهب نفسه القوة للتغلب على النواميس الطبيعية ونظمها ويدعي سلطته على عقول وقلوب ونفوس البشر ويمكنه أن يمسها بالضرر كلما شاء كما أنه يسخر الإنسان وجسده والحيوان والنبات والجماد لخدمته في أغراضه المشينة وكلها أمور تتنافى مع القدرة الإلهية .

وفي القرن الثامن عشر عندما ألغيت عقوبة الاعدام على السحرة واستبدلت بعقوبة الحبس البسيط أو الغرامة وجد الناس الفرصة الطيبة لمزاولة السحر وتعلمه والعمل به جهراً. وتكونت الأندية والجمعيات السحرية التي ضمت عدداً كبيراً من الرجال والنساء من مختلف الطبقات وأدى تخفيف العقوبة إلى رواج الدجل والشعوذة وكان ممن يخشى اللوم أو العتاب يدعي أنه يعمل في علم (الكيمياء) الذي اشتهر أمره في هذا الوقت. . . وكان بعض السحرة في القرن المذكور يقطن بين القبور أو الأمكنة الوحيدة الموحشة ويتجسدون في أجساد الموتى ويسطون ليلاً على الآدميين فيمتصون دماؤهم واشتهروا منذ ذلك الوقت باسم مصاصي الدماء .

وزاد عددهم في فرنسا وروسيا والمجر وبولاندة ومنهم (دراكولا) المشهور

الذي مثلت حوادثه في السينما. . . وراجت بهذه المناسبة الوصفات السحرية التي تحصن الشخص ضد شاربي الدماء ومنها أن يأكل الشخص قبل نومه أو يبلغ حفنة من تراب قبر حديث فيمتنع مصاصو الدماء عن زيارته(١).

وفي أوروبا - وفي القرنين التاسع عشر والعشرين - انتشر السحر انتشاراً واسعاً وتعقب البوليس السحرة وما زال يتعقبهم ويفاجئهم.

علاقة السحر بالخير والشر:

قال صاحب كتاب السحر:

تعريف السحر هو العمل الذي يقوم به شخص معين تتوافر فيه شروط مخصوصة تحت ظروف واستعدادات غير مألوفة وبطرق سرية غامضة وذلك للتأثير على شخص أو جملة أشخاص رغم إرادتهم لتحقيق غرض معين له أو موصى به.

وحقيقة السحر وأساسه أن النفوس البشرية، وإن كانت واحدة في النوع إلا أنها تختلف في الأوصاف والخواص والأصناف وكل صنف منها له خاصية أو جملة خواص معينة مميزة له ينفرد بها عن الأصناف الأخرى، وفي ذلك حكمة إلهية عظيمة تدعو إلى تضامن هذه الأصناف المختلفة وتبادلها المنفعة فيما بينها وهو أمر لازم لاستمرار الحياة على الأرض.

ولكن اختلاف هذه الأصناف في ميزتها ونوعها وكميتها وما ينتج عن هذا الاختلاف أصبح مصدراً لوجود الخير والشر منذ وهب المولى الإنسان الحياة.

ومن الأمور الثابتة المحققة الملموسة أن بين كل من الخير والشر وجنودهما وأتباعهما حرباً ونضالاً في كل زمان ومكان ولكل مريدوه ومحبوه ومؤيدوه الذين يسعون إليه ويدعون له ويعملون به.

ونرى هذا التطاحن بينهما في حياتنا اليومية وفي وسطنا الذي نعيش فيه وفي

---

(١) كتاب السحر/ محمد محمد (الانجلو المصرية) (٣٢).

مطالب الحياة نفسها وميدان العمل وحقول التجارب القاسية التي تمر بنا والتي نتعرض لها يومياً.

ومن منا ينكر وجود الشر وتسربه وتغلغله في كل صغيرة وكبيرة حولنا حتى أصبح الفرد منا ونحن في أزهى عصور التقدم والمدنية ينام ويصحو وهو في جو من الفزع الدائم والهم القائم والرعب الشديد على حياته وحياة عائلته من خطر الحروب والقنابل والقذائف والصواريخ التي تفتق عنها ذهن الشياطين ودليل عبقريتهم وكلها تؤدي بهذا العالم إلى الفناء... هذا فضلاً عما تسببه الخلافات العائلية والخناقات الزوجية والمضايقات في العمل وبين الأصدقاء وغيرها من أمور الصحة والمال والعيال وكلها عوامل من عوامل الشر) ا. هـ.

والشر له قوة هائلة مخيفة تظهر بمختلف الصور والهيئات ونراه في بعض الأحيان ينتصر على الخير ولكن مما لا شك فيه أنه مهما عظمت قوى الشر ومهما طال أمدها محتم أن تحطمها عوامل الخير لأن عامل الشر من الأبالسة وعددهم قليل بالنسبة إلى الملائكة عمال الخير والإحسان... ويقولون إن الشر خادم للخير وأن الأوقات التي يفر أو يهرب من مخدومه ليسعى في الأرض فساداً ويتسبب في أذى الخلائق كما يكون لديك خادم يتمرد عليك أو يحنق على زوجتك فيتعمد كسر الأواني الصينية أو الزجاجية ويلحق بك الشر والضرر بأي شكل.

والإنسان هو المخلوق الوسط بين الملائكة والشياطين وهذه حقيقة مؤكدة لأن منا من يشبه الملائكة جمالاً وأخلاقاً وخلقاً، ومنا من يشبه الشياطين قبحاً وسوءاً وفحشاً ورذالة. وإن لكل منا ملكاً يقف بجواره وشيطاناً يقف بجانبه من الجهة الأخرى ولذا ينتابنا دائماً عاملا الخير والشر.

ومن الخطأ الفاحش أن نعتقد أن الشر عامل أعمى يوجه ضرباته كيف يشاء بدون حساب أو أنه يتخبط في استعمال قوته الهائلة ويستغلها دون تفكير وروية. فالشر لا يأتي أبداً إلا بعد تدبير سابق وخطة منظمة يغذيها المكر وتهيأ لها الحيلة والمكائد والدسائس وغيرها من أسباب العمل والنجاح ولهذا نجد أن بعض ضرباته قاسية موجعة، ألم تعرف أو تسمع عن رجل شرير حنق على آخر فدبر

الخطة لاغتياله أو كاد له الدسائس في عمله أو وضع العقبات في طريق رزقه أو تسبب في كساد تجارته أو خسارته المالية أو أوقع الضغينة بينه وبين أقرب المقربين إليه. . .؟ أولم تعرف أو تسمع عن امرأة خبيثة شريرة نصبت شباكها حول رجل متزوج وخطفته من بين أحضان زوجته وأولاده أو كالت له التهم زوراً. . .؟ أولم تسمع عن الحروب والمجازر الآدمية التي تضيع فيها ملايين من أرواح البشر البريئة. . . هل كل هذا يأتي عبطاً أم عن خطة مدروسة يجتمع لفحصها القواد ويعملون فيها ليل نهار مقدرين جميع الاحتمالات والفروض. . .؟

وكل أعمال السوء والشر سواء قام بها فرد أو جماعة مصدرها مخلوق واحد مسؤول عن جميع نتائجها وهذا المخلوق هو «الشيطان» ويقول في ذلك الفليسوف « ريتشارد بيكر » إن كلمة « الشيطان » مأخوذة من جمع كلمتين تعنيان أعمل الشر . . . فالشيطان هو الذي يولد الشر ويهيء الزمان والمكان ويسخر لتنفيذه أعوانه من الأرواح الشريرة الخبيثة وطائفة من الآدميين . . . ولهذا المخلوق التعس عبقرية حادة وذكاء لا يقارن بذكائه أي إنسان مهما أوتي من العلم والفطنة . . . وكلنا نعلم أن الشيطان عدو للإنسان والبشرية ولكل ما هو جميل وحسن ولذا كانت وظيفته الوحيدة تقتصر على إهلاك عدوه بمختلف الوسائل .

والشيطان ـ في حد ذاته كمخلوق ـ قوي جداً ويمكنه أن يقتل أي فرد بمنتهى السهولة أو يعصف بمستقبله ويجعل حياته نكداً طوال العمر ويصيبه بنحسه ورجسه ويحيل عيشه جحيماً لا يطاق. ولكنه مع كل هذا يعجز تماماً عن محو الحياة عن الأرض كما أنه يعجز حتماً عن إجراء أي تغيير أو تبديل أو تعديل في الأنظمة الطبيعية الدقيقة التي فرضها المولى لاستمرار الحياة. . .

فالشيطان يعجز أن يبدل الليل بالنهار أو يؤخر الشتاء أو يقدم الصيف، لأن الأصل في وجود الخلق هو بقاء الحياة واستمرارها ولذا اتخذت القدرة الإلهية كل الاستعدادات التي تكفل الحياة وبقاءها سواء كان للإنسان أو النبات والجماد.

وأول شر قام به الشيطان بعد أن عصى ربه أنه أغرى أو أغوى آدم وحواء وهما المخلوقان الوحيدان اللذان وجدهما أمامه في ذلك الوقت ـ لمعصية المولى وكان

جزاء الجميع الطرد من النعيم والنزول إلى الأرض ولم ينقذهما الشيطان من ورطتهما لأنه مهما بلغ من سطوته فإنه يضعف أمام ذوي المراس والعزيمة الصادقة والأخلاق القوية والإيمان الغزير... ونزل الشيطان إلى الأرض وهو مبيت النية على إلحاق الأذى بجيمع ذرية آدم لأنه وجد في هذه الذرية تربة صالحة لبذر بذور الغواية واستعداداً طيباً للإنصات إلى همساته ووسوسته وإغرائه ووجد بينهم من يمكنه أن يضمه تحت لوائه نظير وعود كاذبة وأغراض مضللة لا تفيد وعند هبوط الشيطان إلى الأرض كان في جعبته بضاعة وافرة مختلفة الأشكال والأصناف يجد فيها كل عاص وعاصية حاجته وكل شرير وشريرة بغيته، ومن هذه البضاعة حب القوة والسيطرة والجاة والسلطة والأنانية وحب المال والشهوة الجسدية والغيرة والعداوة والكراهية والانتقام والحسد والحقد والكذب والنفاق والخداع والفسق والجبن وغيرها من الصفات الذميمة التي إذا سلكت واحدة منها زمام الإنسان أوردته موارد الهلاك وأفسدت عليه حياته وسدت عليه سبل الراحة حتى يرضيها بأي شكل كان غير عابىء بالنتائج مع استعداد للتضحية بكل ما لديه... فإذا ما بلغ الأمر من الإنسان هذا الحد من الوجد والضيق وشعر برغبة ملحة في إشباع إحدى هذه النقائض وجد الشيطان فرصته للتدخل في حالته ويدله على الطريق المعوج السقيم الذي يمكنه به تحقيق رغبته وإطفاء نارها المتأججة في ضلوعه... ولضعف كثير من الناس أمام الغواية نجدهم منصتين لهمسات الشيطان ويخضعون لأمره ما داموا يعتقدون أن في هذا تحقيق ما يطلبون ومتى وقعوا في مصايد الشيطان وحبائله التي يخيطها بدقة من خيوط سميكة غليظة انسد أمامهم باب النجاة والخلاص من برائنه.

ولما كان الإنسان يعيش في حياته بين عاملي الخير والشر فإنه يحتار كثيراً في معرفة سر وجودهما حوله ويتعذر عليه التمييز بينهما لأنه كثيراً ما ينتج الخير عن الشر والعكس صحيح فمثلاً إذا رأى الطبيب إجراء عملية جراحية لمريض واستجاب المريض تخلصاً من آلامه وأوجاعه لأوامر الطبيب فإننا نرى هذه العملية الجراحية تسبب آلاماً مبرحة للمريض فهناك المخدر الذي يفقده وعيه والمشرط الذي يعمل في جسده ويسيل دماءه والحقن كل فترة من الوقت التي تقلق مضجعه غير ما تسبب

له العملية من مضايقات مستمرة حتى يمن عليه المولى بالشفاء مع تعرضه في كل دقيقة لخطر الموت إذا لم تنجح العملية. . . وبطبيعة الحال فقدان المريض لوعيه وسيل دمائه، وباقي الآلام شديدة قطعاً ولكن نتيجتها كل الخير عند شفاء المريض.

وكذلك نرى أن تأمر البلدية بهدم أو إزالة إحدى المباني قهراً عن إرادة صاحبه فتسبب له خسارة فادحة في الأموال وتسد عليه طريق إيراد ربما كان مورد رزقه الوحيد وربما عاقبته وسببت له من المضايقات ما يضيق به ذرعاً ولكنها تأتي بكل هذه الأمور المؤذية للمالك حباً في نجاة باقي السكان والمحافظة على أرواح المواطنين. . . أو عندما تعدم الحكومة أحد المجرمين، والإعدام هو الموت بعينه. وما لنا نورد الأمثلة على نتيجة الخير من فعل الشر، وأمامنا الحروب ماثلة وهي في رأس قائمة جميع الشرور والأضرار والتي يزهق فيها الملايين الأبرياء ولكن هذا كله تقدم عليه الدول المحاربة نظير سلامة الآف الملايين من البشر والمحافظة على المدنية (كما يزعمون). . . وكذلك ينتج الشر من الخير. . . فقد يحدث أن تأوي إلى منزلك فتاة يتيمة مسكينة محتاجة فتجازيك بسرقة ملابسك أو نقودك أو تتهمك تهماً باطلة يجوز لو صحت أن تعصف بمستقبلك. . . أو يتدخل شخص لفض معركة فيصاب بطعنة من أحد المتشاجرين تذهب بحياته. أو تدفع ثمناً لبضعة تذاكر لحفلة خيرية مساعدة ومساهمة منك في فعل الخير إذا ما حان وقت الحفلة وتهيأت للذهاب إليها لا تجد حفلة هناك وتضيع عليك دراهمك نظير طريقة من طرق الاحتيال. . . أو تسدي نصيحة لشقيقك أو جارك أو صديقك فيثور عليك ويرميك بالتدخل فيما لا يعنيك ويسمعك من التوبيخ والتقريع ما يعكر مزاجك وربما أدى إلى الشجار بينكما أو العداوة الدائمة. فكل هذه الحالات المذكورة لم يقصد بها إلا الخير ولكنها كلها أدت إلى الأذى والشر. . .

ولما كان الشيطان وهو أكبر روح خبيثة شريرة. . . ولما يراه الإنسان من كثرة شره ومساوئه اعتقد اعتقاداً راسخاً في قدرة ومقدرة هذا الشيطان على أذى الخلق والحاق كافة الإضرار بهم.

ولما كانت أغلبية الناس شغوفة بحب الأذى ولا هم لها إلا جلب النكد والنصب وإزعاج الغير.. فقد رأت في الشيطان زعيماً كبيراً ومرشداً عظيماً يلجأون إليه ويطلبون مساعدته كلما أعوزهم الأمر، وكلما ثارت أو هاجت في نفوسهم غريزة فعل الشر وبذلك اتاحوا للشيطان فرصة التسرب إلى نفوسهم وعقولهم وقلوبهم وهو غاية ما يريد وأعز ما يتمنى.

ومن هذه الكثرة من الناس فئة قليلة ذات عقول ضيقة ونفوس خبيثة لا تهوى إلا العمل في الظلام وأذى الناس في السر والخفاء بوسائل غير عادية لا يفهمها الآدميون ولذلك يزيدون من عذابهم وآلامهم... ولم تجد هذه الفئة الضالة إلا الزعيم الكبير الذي يمكنه أن يشبع رغباتهم فارتموا في أحضانه وأصبحوا من السحرة الخاسرين... ولما وجد الشيطان منهم هذه الغيرة العظيمة على تحقيق مآربهم ولمس فيهم تلك الشهوة الجامحة لإلحاق الأذى بالناس تجسد وظهر لهم بكامل صورته وهيئته حتى يروه رؤية العين ويلمسون جسده ويسمعون حديثه فيتأكدوا من وجوده تأكيداً تاماً وأنه حقيقة واقعة وأنه مخلوق مثلهم فيزيد هذا من ثقتهم فيه وإيمانهم في مقدرته... وظهر الشيطان لمريديه وطالبيه وعلمهم السحر وأبرم معهم العهود والعقود والمواثيق نظير مساعدتهم التي يلحون فيها واشترط عليهم نظير تقديم هذه المساعدة لهم أن يبيعوا له أرواحهم وكل ما يملكون وأن يدينوا له بالطاعة ولا يتوجهوا في كل أمورهم إلا إليه..

ولا شك أن الشيطان بصفته الأصلية عندما كان بين الملائكة كان أكثر معرفة وأحد ذكاء ودهاء من كل إنسان... فهو قوي الملاحظة سريع البديهة والحركة لدرجة لا تتوافر لبني البشر وهذا مما يسهل معه الانتقال من هنا إلى هناك في فترة قصيرة... وله القدرة أن يحل بجسد الأموات والأحياء فيصيبهم (بالمس) وتظهر عليهم لوثة الجنون أو البله والعته والعبط وتجعلهم يرغون ويزبدون كما نراه في حالة المصابين بالصرع أو وسطاء تحضير الأرواح عندما تحل بأجسادهم أرواح شريرة (كما يدعون) وكما نشاهد في حلبة الزار يتمايلون ويتراقصون وينثنون ويترنحون ويتقصعون ويتمطعون كالسكارى المخمورين حتى يفقدوا وعيهم فيرتمون على الأرض يزبدون ويتكلمون بلغات غير مفهومة يقولون عليها (لغة

اللاوندي) ـ ولا أعلم للآن ولا أسمع عن ما هو اللاوندي ـ وربما كان اسم شيطان أو عفريت ولكني لم أعثر حتى على ما يقارب هذا اللفظ في المعنى. . . ولا شك في أن (الكودية) صاحبة الزار يمكنها أن تخبرنا عما يكون هذا اللاوندي وما هي صنعته.

أقسام السحر:

وينقسم السحر إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ سحر يؤثر من تلقاء نفسه دون الاستعانة بواسطة الإنسان أو أية مادة حيوانية أو نباتية أو جمادية أو استعمال الحروف والأرقام والأجرام السماوية وهو يصدر من الشيطان نفسه أو أحد أعوانه الممتازين فيصيب ضحيته فجأة في مالها أو صحتها أو نفسها وهو أقوى أنواع السحر «وسوف نبين علاجه إن شاء الله».

٢ ـ سحر يقوم به الساحر بمساعدة وإرشاد الأرواح الشريرة مع استخدام جزء أو أجزاء من إنسان أو حيوان (حي أو ميت) أو نبات أو جماد وهو أضعف تأثير من الأول لأنه يدل على ضعف القوة المسببة له وعجز الساحر عن إتيانه من نفسه دون الاستعانة بروح خبيثة. . . ومفعول هذا النوع من السحر لا يدوم إلا إذا تكرر عمله كثيراً ومن السهل علاجه أو إفساد عمله وبطلانه.

٣ ـ سحر يستعين فيه الساحر بقوة الحروف الهجائية والاعداد والكواكب والاجرام السماوية وذبذبتها وهو أصعب أنواع السحر ولا يقدم عليه بتاتاً الآن أي ساحر لأنه يتطلب منه معرفة كبيرة صحيحة بكل ما يتصل بالكواكب واقترانها وصعودها وهبوطها وأمزجتها وطبائعها ومقارنة كل هذا بالحروف والأعداد التي يستعملها وقيمة كل منها وغير ذلك مما يحتاج إلى معادلات جبرية ومعرفة المجاميع والتوافيق وحسابات هندسية وفلكية يستحيل أن يلم بها أي ساحر (لأن أغلبهم قديماً وكلهم حديثاً جهلاء) مع العلم بأن فرقاً من الزمن قدره خمس دقائق يترتب عليه خطأ الحساب كله ونتيجته. . . ولأن السحر بهذه الطريقة يستلزم غاية الحيطة والحذر للسر العظيم الموجود في الحروف والأرقام التي أدت إلى عمل الاختراعات المفيدة

والمغيرة... لأنه بدون الأرقام وسرها الكبير لا يمكن لعالم الطبيعة أو الكيمياء التوصل إلى أي اختراع كان.

وهناك نوع من السحر يلجأ فيه الساحر الفقير إلى التأثير الجاهل على نفس أو خيال ضحيته مستعيناً على ذلك بصورته الفوتوغرافية أو قطعة من ملابسه وهو ما ندعوه (بالأثر) كياقة قميص أو منديل أو شراب... الخ وهذا لا يخرج عن التضليل والإيهام والادعاء.

والسحر بأنواعه إما يقتصر عمله ومفعوله وتأثيره على شخص واحد سواء كان ذكراً، أو أنثى وهو الشائع، وإما يقصد به جملة أشخاص، وهذا نادر جداً ولا بد أن يكون الساحر في هذه الحالة على اتصال دائم بالشياطين وله خبرة ودراية تامة بفنون السحر وهذا لا يتأتى إلا إذا عمل في السحر ومارسه مدة لا تقل عن ثلاثين أو أربعين عاماً يقضيها في صحبة الشيطان وعبادته حتى يصبح شكلاً ومنظراً كالشيطان نفسه.

ومن السحر من يقصد به إفساد الزرع أو المحصولات أو إهلاك البهائم ومنتجاتها أو كساد التجارة وبوارها أو خسارة المال أو عدم إتمام الزواج أو السعي في خراب البيوت والعياذ بالله أو التفرقة بين المحبين وغيرها من أنواع المتاعب والمضايقات والمشكلات.

ويوجد في الغرب فئة من السحرة أخصائيون في هلاك البهائم ويطلقون عليهم اسم (البعاجين) ونظرة واحدة منهم إلى ظهر أو بطن بهيم مع تلاوة بضعة كلمات غير مفهومة كافية لشق جلد ظهر البهيم المسكين أو شق بطنه وخروج أمعائه وهلاكه لوقته، كما أن هناك طائفة من الهنود مختصة في مثل هذا العمل ولكنهم يمارسون سحرهم على الإنسان بدلاً من الحيوان فينظر الساحر الهندي إلى فريسته ويشير إليها بعلامته ورسوم خافية فتسقط فوراً.

وقديماً كانوا يعتبرون الحسد والعين البطالة وإصابة الغير بها من السحر

ويعود السبب في ذلك أن الحاسد إذا رأى في غيره ما هو محروم منه سعى في حرمان هذا الغير مما يتمتع به.

وكلنا يعلم أن الحسد حقيقة واقعة وهي غريزة أو خاصية مستأصلة ومتغلغلة في نفوس الحاسدين... ولذا إقنعوا بأن الحاسد غير الساحر ولا يمكن عقابه لأنه يحسد مجبوراً بدافع من قوة خافية به يعجز عن كبحها والسيطرة عليها وتعمل ضد إرادته.

الفرق بين المعجزة والسحر:

كما أن هناك فرقاً كبيراً بين المعجزة والسحر، فالأولى قدرة إلهية مؤيدة بروح الله تبعث في النفس التأثير المطلوب فيراها الشخص حقيقة مادية ماثلة أما بصره لا دخل لقوة أو مقدرة النبي أو الرسول فيها أما السحر فإنه من عمل الشيطان الذي يسخر الإنسان لعمله فيقدم عليه وهو عالم بنتيجته وبمن سيصيبه والغرض من ذلك... والمعجزة يقصد بها خير الناس وهدايتهم إلى ما فيه صلاحهم والبقاء على حياتهم وصوناً لكيانهم..

أما السحر فلا غاية ولا مقصد له إلا الضرر والهلاك...

وهناك حقيقة ملموسة وهي أن كل سحر يقصد به غرض معين أساسه واحد وطريقة عمله واحدة، والمواد التي تستخدم فيه واحدة وكل الرموز والتلاوات التي تقرأ أو ترسم واحدة. إلا اسم الأشخاص فقط... أما المعجزة فتتغير بطبيعة الوقت الذي يعيش فيه الناس ومقدرة عقولهم والظروف المحيطة بهم، ولذا نجد معجزات كل رسول أو نبي تختلف عمن سبقه أو لحقه.

صانع الألعاب (الحاوي):

هذا ولا يمكننا أبداً اعتبار الحاوي ساحراً لأن العاب الحاوي تتوقف على خفة يديه ومهارته في خدعة المتفرجين ولا تعود بأي ضرر على أي إنسان ولا يقصد بها إلا التسلية ويتخذها الحاوي مورداً لرزقه وكل معداته التي يستعملها ظاهرة

للعيان بسيطة لا تعقيد فيها ولا غموض وليس هناك رموز أو طقوس أو ملابس خاصة ولا يعتمد في ألعابه على قوى خافية خارقة أو أرواح شريرة. ويمكنه أن يعرض ألعابه في أي مكان وفي كل الأزمنة دون ترتيب سابق وهذا بعكس الساحر تماماً فكل عمله موجه للضرر لا يمكنه أن يقوم به إلا في أوقات معلومة وبشروط مخصوصة ومواد خاصة، والحاوي تضطره لقمة العيش من النزول إلى المقاهي والمحلات العامة ويذرع الشوارع والحارات ليعرض ألعابه ويسعى إليك برجليه ليفرج عن همك، ويدخل السرور. إلى قلبك ويستدر عطفك وكرمك... أما الساحر فأنت الذي تقصده وربما ترجوه وتستعطفه لإزالة كربك وكثيراً ما يبتز أموالك بدون فائدة ولا تجد في قلبه ذرة للرحمة أو الشفقة على أي انسان.

سبب تأثير السحر:

ويعود السبب في تأثير السحر على الإنسان إلى السائلين الأساسيين في حياته وهما الدم والماء فهما سبب نشاطه وحركته وسكناته ويتوقف عليها صحته وقوته وعقله وكل ما فيه... وهذان السائلان عرضه للتغيير والزيادة والنقص وأي نقص أو عجز في تفاعلهما الكيمائي يهز كيان المرء هزاً ويعرضه للأمراض وإذا ما توقف جزء من أيهما تعرض الميزان أو التوازن بينهما للخلل فترتبك حالة الإنسان ويتلو ذلك ارتباك في جميع تصرفاته، أما إذا توقف أحدهما عن الحركة ففي هذا هلاكه... ولذا نجد في حالات الاسهال الشديد أو التسمم الذي يفقد فيه الانسان جزءاً كبيراً من ماء جسمه أن يأمر الطبيب بإعطائه كميات كبيرة من الماء أو السوائل لتعويض ما فقده الجسم كذلك في حالات النزيف الدموي وما يتطلبه من نقل الدم وغيره...

والشيطان بما أوتي من علم ودراية يفهم تماماً ما ينفع وما يضر من هذين السائلين، وبالنسبة للمغناطيسية المحيطة بكل منا يمكنه بواسطة هذه المغناطيسية التأثير على أحد السائلين أو كليهما ويحقق ما يصبو إليه من ضرر.

والمغناطيسية المذكورة أمر معترف به ولهذا نجد البعض له جاذبية كبيرة والآخر قليلة والثالث محروم منها، وتجد هذا يجذبه أمر من الأمور وينفر منه الآخر

وأنت تحب بعض فصول السنة ويكرهها غيرك، أو تحب لوناً من الطعام أو الشراب ولا يقبل عليه غيرك...

وفي كثير من الأحيان تميل إلى شخص من أول وهلة وتنفر من آخر دون أن يكون لك أية صلة بأحدهما وهذا مصدره المغناطيسية ونوعها سالبة أو موجبة وهي الطريق الذي يتوصل به الشيطان إلى جسم الإنسان وكل ما يدور حوله التأثير عليه... ولذلك نجد الساحر إذا أراد أن يسحر ضد أحد طلب شيئاً من (أثره) لأن هذا الأثر يحمل بعضاً من شخصيته فيمكنه بواسطة هذا الجزء من الشخصية أن يؤثر على الشخصية كلها، وترتكز نظرية تأثير السحر على الضحية إلى عاملين مهمين:

١ ـ كل عمل لا بد له من عامل وتتوقف نتيجة هذا العمل وتحدد كميته ونوع نتيجته على نوع العمل نفسه وصفة عامله والوسائل التي استخدمت في هذا العمل... فمثلاً إذا أراد فريد أن يضرب عمراً فلا بد له من ضربه لا تقبيله ولا بد من ضربه بيده أو رجله... أو أية آلة أخرى... وتتوقف نتيجة الضرب وأثرها على قوة زيد في الضرب والآلة التي استعملها في الضرب والجهة التي ضرب فيها زيد من جسمه ويستحيل أن يتم هذا الضرب المطلوب نتائجه إذا دعا زيد عمراً مثلاً إلى وليمة غذاء أو قدم له باقة من الورد بدلاً من ضربه... وأيضاً إذا أراد زيد أن يقترض من عمرو عشرة جنيهات مثلاً لقضاء بعض حاجاته وإعطاء عمرو خمسة بدلاً من عشرة فيستحيل على زيد أن يقضي بهذه الخمسة جنيهات إلا نصف مطالبه.

٢ ـ كل جزء من جسم الانسان أو أمتعته التي يستعملها سواء كان هذا الجزء أو هذه الأمتعة متصلة به أو منفصلة عنه تحمل جزءاً من شخصيته... فمثلاً إذا حلقت شعر رأسك عند حلاق في نيويورك فإن هذا الشعر سواء كنت في القاهرة أو المريخ فهو جزء منك ويبقى جزءاً من جسدك إلى أن يبلى تماماً وبناء عليه فإنه يحمل بعضاً من شخصيتك ولا نكران بتاتاً... وكذلك إذا تعطفت وتكرمت وخلعت إحدى قطع ملابسك على محتاج فإن هذه القطعة من الملابس سواء كانت

صغيرة أو كبيرة تحمل شخصيتك ويستحيل أن تدل على غيرك حتى لو لبسها أي شخص، ولأبرهن لك على ذلك أقول. . . كل قطعة من الملابس التي ترتديها سواء كانت بدلة أم قميصاً. . . الخ.

اشتريتها بناء على رغبتك أو أخذت لونها وتفصيلها أو شكلها حسب مزاجك، وضحيت بثمنها من مالك وحرصت عليها ضد التلف أو القذارة بعض الوقت وأخذت من عنايتك وقتاً قليلاً أو كثيراً وفضلتها بدورها عن القديم عنها أعني أضفيت عليها جزءاً من شخصيتك أنت ودلت عند لبسها على ذوقك وهل زادت في رونقك أم العكس. . .

فإذا ما استغنيت عنها وأعطيتها لأي إنسان أو طوحت بها إلى عرض الطريق فإنها ما زالت باقية ما زلت حياً تدل عليك وتعتبر جزءاً منك . . . . وكذلك اسمك وصورتك الفوتوغرافية وغيرها .

ولذا يعتمد الساحر في نجاح عمله على هذه الأشياء ويصر على الحصول على أي مادة منها لأنها تمثلك. . . ونجد الكثيرين بيننا الآن يحرصون على عدم التفريط في ملابسهم وإذا قصوا شعرهم أو قلموا أظافرهم جمعوها وألقوا بها في أي مكان.

والساحر باستعمال هذين العاملين يمكنه حسب قوته وخبرته ودرايته لأن يحدد نوع السحر المقصود وإلى أي شيء في حياة الشخص يوجهه مستعيناً على ذلك بأثر الشخص من مخلفاته المذكورة.

وأود أن أطمئن المسلمين أن السحرة الحقيقيين معدومون تقريباً الآن وأكثر الموجودين هم نصابون لأن الساحر الحقيقي المرتبط بالشيطان له دلائل خاصة وشكل خاص وعلاوة على ذلك فهو ممهور بختم أو علامة الشيطان في جسمه لا سبيل إلى نكرانها وبها يستدل عليه كما سنوضحه فيما سيأتي.

من هو الساحر وكيف يكون وماذا يعمل؟

تعني بعض الكلمات في اللغات الأجنبية الساحر ولكنها تحمل معنى كلمة

(الشيطان) وذلك للصلة بين الساحر والشيطان .

ولا يكون الساحر لائقاً للسحرّ إلا إذا توافرت فيه شروط:

١ ـ يبيع في حياته وبعد مماته نفسه وكل ما يملك من مال وعقار وديار وذرية إلى الشيطان.

٢ ـ أن يكون له من قوة العناد والإصرار والمكاره مالا يمكن معه زعزعته عن عقيدته الشيطانية حتى ولو قاسى في سبيلها أشد وأقسى أنواع وألوان التعذيب والإهانة . . .

٣ ـ أن يكون صفيقاً عديم الحياء والضمير والإحساس لا يعترف بالرحمة ولا الحنان أو العطف وغيرها من العواطف ومختلف الإحساسات البشرية النبيلة.

٤ ـ أن لا ترتعد فرائصه عند ظهور سيده إبليس أو أحد أتباعه له في أية صورة مفزعة . . . أو عندما يقابل المقصلة أو حبل المشنقة أو أتون الحريق.

٥ ـ أن لا يتضجر ولا يتذمر إذا ماطل إبليس مساعدته أو منعها عنه، وعليه أن يلح بكل قوته في طلب هذه المساعدة وعليه أن لا يتأفف ولا يتململ إذا طلب منه الإتيان بأي عمل ينافي الأديان أو الآداب أو العرف أو القانون الذي تسير عليه البشرية.

٦ ـ أن يجتهد بكل قوته في أعماله السحرية وأن يثابر ويواظب على دراستها، والقيام بما تتطلبه من طقوس شيطانية وحفلات إبليسية واحتمالات عفريتية غير عابىء بما يصيبه أو ينال غيره نتيجة لهذه الأعمال والحفلات أو الاجتماعات على أن يحضرها في مواعيدها ويقوم بها في الأوقات المخصصة لها.

٧ ـ أن يكون جاهلاً جهلاً تاماً ـ إما عن طبيعته أو باكتسابه ـ بكل ما هو جميل أو حميد.

٨ ـ أن يعتقد اعتقاداً راسخاً في قوة الشيطان ومقدرته ومقدرة أعوانه من الأرواح الشريرة الخبيثة مطيعاً لأوامرها خاضعاً لشروطها وقوانينها.

٩ ـ أن يكون عدواً لدوداً لجميع الأديان، وعليه أن يظهر سخطه عليها واستهزاؤه بها في كل مناسبة وأن لا يدخل بتاتاً أي محل للعبادة إلا بقصد سرقته أو تدنيسه أو تلويث معداته وأن يتبرأ من دينه ومن جميع الكتب المنزلة مع تمزيقها وحرقها واستعمالها في أغراض دنيئة.

١٠ ـ أن يكون مستعداً لارتكاب أية جريمة خلقية وكل معصية ورذيلة مع الانغماس الكلي في الفجور والاباحية.

١١ ـ أن يكون مثالاً للقذارة ودناءة النفس كما تشهد بذلك ملابسه وطرق معيشته وأن يحرم استعمال الماء والصابون تحريماً أبدياً حتى يكتسب جسمه وملابسه ومسكنه رائحة نتنة كريهة تلصق به طوال حياته يعرف بها بين زملائه.

١٢ ـ أن يقضي معظم وقته أو كله ـ إن أمكنه ـ منزوياً منطوياً على نفسه بعيداً عن الناس لا يعاملهم ولا يتصل بهم إلا إذا طلب منه ذلك لأعمال السحر وإلحاق الضرر بالناس(١).

وبذلك يهبط الساحر إذا فعل هذه الشروط إلى درجة الحيوانية.

فمن يريد لنفسه أن يكون وحشياً بهيمياً هكذا. . . .

ومن يريد لنفسه أن يتجرد من كل عواطف الإنسانية والضمير البشري الذي يرقى بها الإنسان نفسه، وينجلي فكره، وينكشف ما ران على قلبه. . . وتصفو روحه فيعيش ملكاً بين بني آدم. . .

ولذا فإن هذه الشروط لا تتوافر إلا في شواذ الخلق الذي انعدمت عندهم الإنسانية ومات الضمير، وانغلق الفكر، وذهب الوجدان. . . ولا يصل اليها إلا بعد سلسلة طويلة من البعد عن الحق والانزواء عن النور، والركون إلى الباطل حتى يقسو قلبه. . .

ولا يمكن للساحر مع توافر الشروط العجيبة أن يصبح ساحراً رسمياً بل لا

---

(١) كتاب السحر (٤٨)، محمد جعفر (الانجلو المصرية).

بد له أن يروض نفسه تدريجياً على هذه الموبقات والشرور لبضعة شهور تمهيداً لصقل نفسه وروحه وعقله بالزئبق الجهنمي . . . حتى إذا ما وطد العز وصمم على أن يكون ساحراً عكف على مطالعة المخطوطات ـ والكتب الثمينـة التي تبحث في السحر والسحرة وكيف يكونون وماذا يعملون وطريقة قربهم من الشيطان ومقابلته والاتفاق معه في كل ما يحتاج إليه الساحر ليصبح ساحراً شيطانياً كباقي الأرواح الخبيثة والأبالسة . . .

وعندما يفهم الساحر واجباته ويفهم الطريق التي توصله لغرضه يبدأ في الاستعداد لمقابلة الشيطان، وعقد الاتفاق أو العقد الخاص معه وتقديم فروض الطاعة والولاء من صورتين يوقع عليهما بنفسه . . . فإذا تنازل الشيطان وقبل العقد من الساحر دل هذا على رضائه عليه، ويشعر الساحر في نفسه بغرور زائد لأنه صار من عبدة الشيطان وأن له القدرة والمقدرة لارتكاب المعاصي، وإلحاق الأذى بالآدميين[١] .

كيف يقابل الساحر الشيطان:

هناك طرق يتبعها الساحر لمقابلة الشيطان لأول مرة وأهمها:

١ ـ على الساحر أن يخرج في ليلة مقمرة بعيداً عن العمران عند منتصف الليل أو قبله بقليل، ويختار إحـد القصور المهجورة أو الخرائب، يختار بقعة قريبة منها بحيث تكون موحشة . . . فيخلع ملابسه حتى يصبح عارياً كما ولدته أمه، ثم يرسم دائرة كبيرة وينقش داخل وخارج الدائرة وبجوار محيطها الأشكال والرموز والطلاسم وأسماء الأرواح الخبيثة والشياطين كما قرأها .

يوقد شمعتين . . . ويسرق إناء فضياً ويشوه منظره ويلوثه ويضعه وسط الدائرة وبه حبوب نباتات معنية فينحني ويقفز داخل الدائرة كالقرود وهو قابض على الشمعتين بكلتا يديه وينشد أناشيد الشياطين ويتلو التعويذات الجهنمية كما قرأها حتى يبلغ غاية النصب فيجلس القرفصاء داخل الدائرة وهو يقرأ أو يتلو التعاويذ

---

(١) السابق بتصرف (٤٩).

وينشد. ويلوح للشيطان في الفضاء بالعقد ويقرأ نصوصه ويجتهد ويلح ويكثر من القفز والقراءة والتلاوة ويكمل بقية الطريقة.

وفي هذا الوقت يكون مندوب الشيطان مراقباً له حتى يتأكد من أن الساحر جاد حقيقة في أتباع الشيطان. فيظهر له على شكل وصورة ويستلم منه العقد ويأمره بالحضور إلى حفلة تعميده في الليلة التي سيحددها له (عمدة) السحرة.

٢ ـ أما الطريقة الثانية فتتلخص في أن راغب العمل بالسحر بعد حفظه جميع التعاليم والإرشادات يقصد في ليلة قمرية داراً مهجورة بعيداً عن العمران ويصحب معه حيوانات معينة ويجلس عارياً كما ولدته أمه ويذبح الحيوانات بترتيبها المذكور في الكتب وهو يتلو التعاويذ والأناشيد المخصوصة أثناء الذبح ويجمع دماءها في زجاجة قذرة ثم يلقى بجدي ذبحه معها في الخلاء قريباً من المكان كهدية للشيطان ويكمل هذه الطريقة، ثم يستعطف ويلح في طلب عبادة الشيطان حتى يظهر له ويسلمه العقد مكرراً إخلاصه فيستلمه منه وينبه عليه بمقابلة (عمدة) السحر في منطقة لتحديد يوم التمعيد.

تعميد الساحر:

٣ ـ أما الطريقة الثالثة: فهي أن يقصد الساحر قبل شروق الشمس (قبل مقابلة الشيطان بيوم) إحدى الغابات أو الحدائق ويختار شجرة عقيمة لا تثمر نباتاً ويقطع منها غصناً بمبراة جديدة ـلم تستعمل قط...

وفي اليوم الثاني يقصد غرفة خاصة له في منزله ومعه هذا الغصن وحجر دم صغير ويخلع ملابسه جميعها ويرسم مثلثاً متساوي الساقين ويضع شمعة سوداء على زاوية قاعدة المثلث. ويكمل هذه الطريقة حتى يسمع صوت الشيطان ولكن لا يراه ويأمره بإعادة كتابة العقد بمادة نتنة ويكرر ما فعله في هذا اليوم حتى إذا انتصف ليل اليوم الثالث حضر واستلم العقد وأمره بمقابلة العمدة.

في صباح اليوم التالي لاستلام الشيطان العقد من الساحر يتوجه هذا الأخير لمقابلة (عمدة) السحرة والساحرات كما أشار به الشيطان فيجد الأخير في انتظاره

فيحدد له زمان ومكان الاحتفال بتعميده ويلقي اليه ببعض النصائح والتعليمات الواجب مراعاتها حرفياً ليلة التعميد . . .

وفي الليلة المحددة يحضر جميع السحرة المراد تعميدهم من رجال ونساء وعلى هؤلاء الأخيرات أن تتزين وتستعد لهذه الحفلة خصوصاً وأن هذه ستكون آخر مرة يبتل جسدها بالماء أو يمسه الصابون وغيره من أدوات النظافة.

وتقام ليلة التعميد دائماً في إحدى الجهات الخالية الموحشة أو الغابات المخيفة أو في المغـاور أو شواطىء البحار أو الصحارى المقفرة وغيرها من الأمكنة التي يخشى فيها المرء العادي على نفسه في وضح النهار. . . وعلى كل ساحر وساحرة يراد تعميده أن يحضر معه صليباً خشبياً وقطعة من القربان المقدس. . . حتى إذا ما أجتمع شمل الجميع خلعوا ثيابهم ورسموا الدوائر السحرية بالألوان المطلوبة وقاموا بعمل النقوش والرموز. . . إلخ واستدعوا الشيطان والأبالسة والأرواح الشريرة الخبيثة والجان والعفاريت حتى إذا ما اجتهدوا في الغناء والإنشاد والاستعطاف والإلحاح ظهر لهم مندوب الشيطان في شكل حيوان أو إنسان أو نصف إنسان ونصف حيوان فيقابله السحرة بالتهليل والتبجيل ويتنافسون على تقبيل حوافره أو أي جزء من أجزاء جسده القذرة.

ثم يبدأ (العمدة) في تقديم السحرة واحداً فواحدة لإجراء تعميدهم. . . ويتقدم الساحر ومعه قطعة القربان المقدسة فيبصق عليها ويهرسها بأقدامه ويطأ الصليب بقدميه وهنا يخرج العمدة حمامة أو طيراً صغيراً يتلو عليه بعض التلاوات فينقلب الطير إلى غلام صغير، وهذا الطفل عادة العمدة قبل ليلة التعميد ليقدمه قرباناً للشيطان ليلة الاحتفال بتعميد السحرة الجديدين. . . ويمسك الساحر الطفل ويذبحه وسط تهليل واستحسان السحرة ثم يلوث بدماء الطفل البريء الأجزاء الحساسة من جسده وجسد مندوب الشيطان وباقي السحرة حتى إذا نزفت دماء الطفل جميعها ألقوا به في وعاء كبير جداً ليستوي مع باقي المأكولات القذرة التي أتى بها السحرة لالتهامها ليلة التعميد.

ثم يكرر الساحر لمندوب الشيطان ولاءه لسيده وثباته على إخلاصه والإيفاء

بكل ما ورد في العقد من شروط. . . وهنا يبدأ مندوب الشيطان في اختبار قوة احتمال الساحر وصدق عزيمته ونواياه نحو إبليس، فيأمره بسبب الأديان علناً فيطيع الساحر الأمر فوراً. . . ثم يأمر مندوب الشيطان الساحر الجديد بالركوع أمامه فيركع وهنا يركله في رأسه ووجهه ركلة شيطانية تطيح بعقل الساحر وتسيل منها دماؤه وتختلط بالتراب، فيأمره الشيطان أن يمسح بهذا التراب الملوث بدمائه وجهه ويسلمه العقد للتوقيع عليه بهذه الدماء فيطيع الساحر الأمر صاغراً. . . ويوقع على العقد ويعيده للشيطان الذي يستلمه منه بكل ازدراء ثم يبصق على الساحر بصفة جهنمية تلصق بأي مكان من جسد الساحر، وتكون علامة ظاهرة بحجم (الشلن) غامقة اللون أو قرمزية بارزة عديمة الحساسية حتى أن القضاة عند تعذيب السحرة كانوا يغرسون الدبابيس الكبيرة المحماة في هذه العلامات فلا تدمى ولا يشعر لها الساحر بأي ألم. . . وإن كانت المعمدة أنثى بصق الشيطان على أحد أجزاء جسدها الحساسة فتتكون نفس العلامة كالتي عثروا عليها في ظهر (أنا بولين) بعد إعدامها.

وبعدما ينتهي مندوب الشيطان من تعميد جميع السحرة والساحرات ويدمغهم بهذه الدمغة الإبليسية وهي إما أن تكون على شكل قرص بارز مستدير أو رجل أرنب أو برص صغير أو عنكبوت أو ذبابة أو ضفدعة صغيرة، وكانت هذه الدمغة عند القبض على السحرة ومحاكمتهم ـ دليلاً كافياً لحرقهم وإعدامهم مهما انكروا ومهما كابروا. . . وبعد التغميد يطلق على كل منهم مندوب الشيطان اسماً جديداً يعرف به وسط زملائه ويقيد به في سجل السحرة والأسماء غريبة مضحكة فمن أسماء الرجال (أمبجلى، كرع، ذيل التيس، وأبو جلمبو، الدولة (الشيطانية) ومن أسماء الاناث مهلوكة، وأم بريز وكوع القرد وفلوطة، وغيرها من الأسماء العجيبة وبعد هذه التسمية يحضر أحد أعوان الشيطان على شكل حمار كبير أو دب أو ثور عفن الرائحة فيبول على الساحر الذي يدهن كل جسده بهذه القاذورات مع إظهاره الارتياح التام لهذه الحفاوة والمقابلة الطيبة. . . ويحدث كل هذا وسط تصفيق وطرب وسرور الجميع الذين يقبلون على زميلهم الجديد مهنئين ولظهور شعورهم نحوه، ولزيادة الترحيب به والمبالغة في إكرامه يحيطون به فيصفعونه هذا

على قفاه، ويركله الثاني في بطنه بينما ينتف له الثالث رموش عينيه. . . كل هذا يدور ويحدث للساحر وهو راكع لا يتململ ولا يتضجر بل من الواجب عليه الابتسام دليل الارتياح والمتعة بهذه الاكراميات العديدة، ويتقبل الصفح والركل ونتف شعره بمزيد من الاغتباط.

والحق أن الركلة الأولى التي يركلها له مندوب الشيطان تفقده الوعي بما يدور حوله. . . ويهم مندوب الشيطان وهو يتأبط صور العقود التي وقع عليها السحرة الجديدون أمامه بالانصراف وقبل انصرافه يكيل لكل منهم ركلة أخرى على سبيل التحية والمبالغة في الكرم، وبعد انصراف المندوب يبدأ جميع السحرة بالاحتفال الكبير هم ومن معهم من الشياطين والأرواح الخبيثة فيأكلون ويشربون ويسكرون ويسودهم الهرج والمرج ويرتكبون من الآثام والمعاصي ما تأنف منه أحط العاهرات حتى تنتهي الحفلة قبل انبثاق الفجر بقليل، وتكون قد بدأت منذ الساعة العاشرة ليلاً فينصرف الجميع عائدين إلى ديارهم بعد ارتداء ملابسهم مخمورين مبطوحين ولكن في غاية الانشراح والسرور لأن كل منهم صار الآن ساحراً حقيقياً يمكنه أن يقوم بخدمة الأبالسة وإطاعة أوامرهم وإلحاق الأذى بأكبر عدد ممكن من الأشخاص الأبرياء. . . ومن صباح اليوم التالي لهذه الحفل يكون كل ساحر أو ساحرة مستعداً للعمل تماماً فيتخذ الإجراءات الخاصة من تفصيل ملابس معينة مرسوم بها رموز وأشكال خاصة واحضار معدات خاصة واحضار معدات وأدوات السحر كما تفرضها القوانين واللوائح الشيطانية وكلها مذكورة في كتب السحر والسحرة، ويحتفظ الساحر أو الساحرة بصورة من العقد المبرم بينها وبين الشيطان وعليه توقيعه في حرز أمين لا يطلع عليه أحد بتاتاً ويحافظ عليه محافظته على حياته المشؤومة(١).

العقد المبرم بين الساحر والشيطان:

قد يعتقد الكثيرون هو ضرب من الخيال أو عقد مجازي، ولكن الحقيقة

(١) كتاب السحر (٨٢).

عكس ذلك بتاتاً، فهذا العقد هو عقد حقيقي كأي عقد في العالم يعقد بين طرفين لأغراض معلومة بشكل[1].

وقد ذكر المحامي الكبير «موريس جارسون» وهو أحد أقطاب المحاماة في فرنسا ويستشهد بآرائه ومبادئه الكثير من المحامين ـ كما يعتبر أيضاً من المراجع الموثوق بهم في علم السحر والسحرة وأعمالهم ـ فقد ذكر المحامي المعروف في محاضرته التي ألقاها أمام معهد (علوم ما وراء الطبيعة عام ١٩٢٩م) ما يأتي:

«إن أول عمل يقوم به الساحر عند تحالفه مع الشيطان، وظهور الأخير لمقابلته له لأول مرة هو تحرير ميثاق أو عقد ينص فيه أن يبيع الطرف الأول للطرف الثاني روحه ونفسه ومتاعه وكل ما يملك نظير أن يمنح الطرف الثاني (الشيطان) للطرف الأول (الساحر) القوة والمقدرة لإتيان الأعمال السحرية، ولكن يلاحظ في هذا العقد أن كل الالتزامات الواردة في هذا العقد يقوم بها الطرف الأول وليس فيه أية التزامات على الطرف الثاني حتى يرجع الطرف الأول في حالة إخلال الشيطان بمساعدته وأضاف جارسون قائلاً «إن لدي الآن ومعي حالاً أحد هذه العقود».

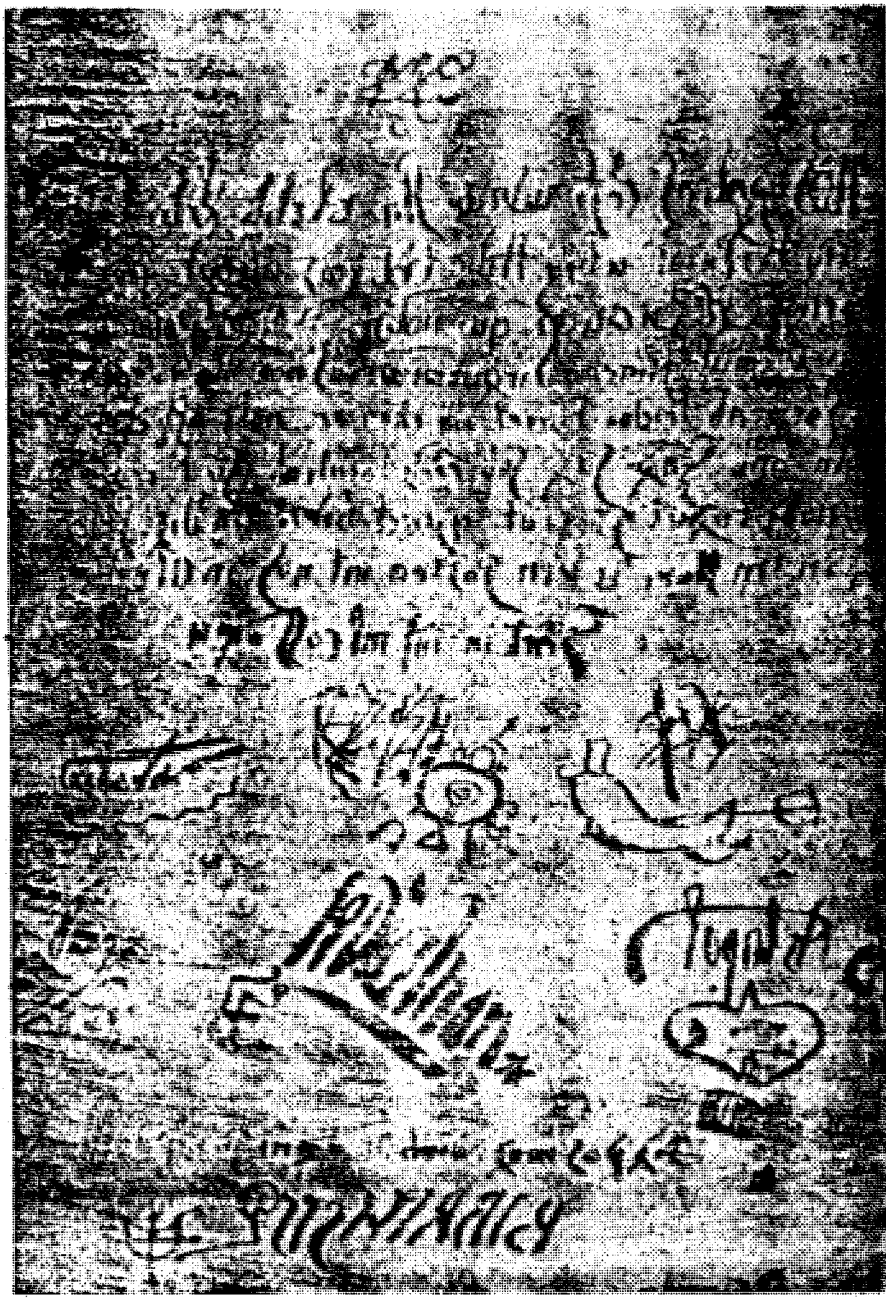
وعند محاكمة الساحرة الكبيرة (ستيفنون دي أوديرت) المشهورة بساحرة (البرنية) والتي أعدمت حرقاً عام ١٦١٩م، أظهرت لرئيس المحكمة وقتئذ وهو القاضي (بيو دي لانكر) صورة العقد الذي أبرمته مع الشيطان وهو عبارة عن قطعة قذرة من جلد القط أو الكلب ملوثة ومحررة بدماء الحيض وغيرها من القاذورات التي يستحيل على الانسان أن يتحمل رؤيتها أو رائحتها الكريهة.

ولعل أخبث وأقذر عقد تحرر بين الساحر والشيطان هو الميثاق المبرم بين الساحر العظيم (أوربان جراندييه) وإبليس شكل[2] . والذي حكم بإعدامه في ١٨ من أغسطس سنة ١٩٣٤ م. ونفذ فيه الحكم علناً بسوق لودون. . . وما زالت صوره محفوظة بالمكتبة العمومية بباريس ويوجد بمكتبة (أبسالا) صورة العقد المبرم بين الشيطان والساحر (دانيال سالثنوس) أستاذ اللغة العبرية، ولكنه باع روحه ونفسه فلقي حتفه سريعاً .



شكل (١)

عقد بين ساحر ونائب الشيطان (اسمو ديوس)



شكل (٢)

العقد المبرم بين الشيطان والساحر (اوربان جراندليه)

ومن العقود العجيبة التي يقولون عنها أنها ممهورة وموقع عليها من الشيطان الكبير نفسه ـ العقد المحفوظ بدفتر خانة ـكاتدارئية (جرجينتي) ، وقد حرره أحد القساوسة مع إبليس نفسه واللغة المحرر بها هذا العقد معقدة جداً حتى عجز للآن كل من رآه من أساتذة اللغات عن ترجمته أو معرفة أي نص من نصوصه وهو مكتوب في سطور منحدرة مائلة ولم يفهم من العقد إلا اسم القس الذي وقع عليه.

وقد كتب الكثيرون من رجال الدين والقضاء في موضوع هذا العقد وما ورد فيه من شروط نصوص والتزامات كما جاء في كتاب الأسقف (فرانسيسكو ماريا جوتشى) وعنوانه (ميثاق الساحر مع الشيطان) وقد ترجم هذا المؤلف إلى الانكليزية ونشر بانجلترا عام ١٩٢٩م.

وقد حدث جدال كبير حول العقود المبرمة بين السحرة والشياطين وصحتها أو بطلانها من جهة قضائية أو تشريعية وتعددت المناقشات وانتهت إلى لا شيء لأن الطرف الثاني وهو الشيطان لا يمكن الرجوع اليه إذا أخل بالتزاماته وبالتالي يستحيل مقاضاته كما أنه لا يوجد في نصوص العقد أي شرط جزائي في حالة تخلف الشيطان عن الإيفاء بوعده لمساعدة الساحر ولم ينص على نوع هذه المساعدة ولا مدتها، وكل ما يلزم به الشيطان وفي هذه العقود قبل السحرة (أنه ينظر في مساعدتهم إذا برهنوا له بصفة لا تقبل الشك أنهم من عباده. . . كما أنه لا يوجد في شروط العقد التزام الشيطان بمساعدة الساحر أثناء الأزمات التي يتعرض لها في حياته من مرض أو فقر أو محاكمة. . . إلخ، لأن الساحر في عقده مع الشيطان جعل على نفسه كل الغرم وعلى الشيطان كل الغنم. . . وأن الأول هو الذي يطلب مساعدة الثاني ويلح في طلبها، بل يتوسل ويستعطف ويرجو من أجلها، وذلك نظير شيء واحد وهو أنه يصير ساحراً عبداً للشيطان وأعوانه، فعلى الساحر إذن تقع جميع المسؤولية وعليه أن يتحمل وحده جميع النتائج المترتبة على إبرامه هذا العقد(١).

---

(١) السابق بتصرف (٦٥).

تعميد الانثى:

سبق وصف طريقة تعميد الساحر الرجل وما يلاقيه من صنوف الإكرام والتبجيل والحفاوة بمناسبة هذا الحديث الجليل.

أما إذا كان المراد تعميدها أنثى وغالباً تكون في العقد الثاني أو الثالث من عمرها على الأكثر، فإن الشيطان يتخذ معها إجراءات شائنة سافلة، فبعد تقديمها لصورة العقد وتجديد ولائها وخضوعها للشيطان يبصق عليها بصقته الجهنمية ويدمغها بعلامته أو ختمه... وعند ذلك تقدم له خصلة من شعرها عربوناً للمحبة والإخلاص.

ولذا كانت الساحرة عند اعترافها بمزاولة السحر وتحريرها العقد اللازم مع إبليس وقبل تنفيذ حكم الإعدام حرقاً عليها (أي الساحرة ستيفنون دي أوديرت) (المشهورة بساحرة «البرنية»)... كانت تؤخذ إلى غرفة التعذيب حيث ينزع أو ينزع المكلفون بعذابها كل شعرة في جسدها بواسطة مقابض صغيرة محماة الأمر الذي يفوق طاقة البشر وأية ساحرة مهما بلغت بها الدرجة من التبجح والإصرار والمكابرة والصبر... فكانت بمجرد أن تنزع من جسدها أو شعرها بضعة شعرات تصرخ وتستغيث من شدة الألم وتعترف بما عملت وما لم تعمل وتكيل لنفسها التهم جزافاً حتى ترحم من عملية النتف المذكورة ويتم حرقها في الحال... ولكن إمعاناً في تعذيبها كان المكلفون بأمرها يطبقون قانون التعذيب عليها حرفياً، ولا يتركونها إلا بعد إزالة كل شعرة من جسدها وتكون الساحرة خلال هذه العملية قد قاست من الآلام الدامية والأوجاع المرعبة ما يجعلها في شبه غيبوبة ثم تؤخذ للحريق.

وبعد أن تقدم الساحرة خصلة الشعر يأمرها بارتكاب الفاحشة مع أحد أعوانه علناً أمام الجميع وكانت معظم الساحرات يحملن نتيجة هذا التلقيح ويلدن.

وبعد الانتهاء من تعميد جميع السحرة وانصراف مندوب الشيطان حاملاً عقودهم، يجتمع الساحرون والساحرات والأرواح الشريرة التي تحضر هذه الحفلة بصور مختلفة من إنسان وحيوان وغيرها حول موائد الأكل التي تعد أثناء حفلة

تعميد الشياطين والأرواح الخبيثة ويقدم الجميع طعاماً قذراً مكوناً من فضلات الطعام التي يحضرها الساحرون والساحرات معهم مساهمة منهم في تكريم السحرة الجدد، وكذلك بقايا من جثث الحيوانات والمشروبات المزدوجة بالدماء، وروث البهائم ويقضي الجميع ليلتهم في أكل وشرب ورقص وطرب وما إليها من أنواع الفجور حتى مطلع الفجر.

وفي صباح ليلة التعميد يجب على كل ساحر جديد أو ساحرة التوجه لمقابلة (عمدتهم) لتلقي التعليمات الجديدة وعليهم الاتصال به يومياً للوقوف على آخر القرارات التي اتخذتها الجمعية الشيطانية القاصرة انعقادها على أئمة السحرة وكبار الشياطين وليسلموا للعمدة تقريراً كتابياً عن أعمال السحر التي قاموا بها. . . وعلى العمدة مسؤ وليات كبيرة وجسيمة منها إقامة حفل كل أسبوع مرة على الاقل يجتمع فيه من سحرة منطقته، وبعض الأرواح الشريرة الخبيثة للتشاور في أمور المنطقة وبحث حالة سكانها الأغنياء منهم والفقراء وانتخاب من يقومون بإيذائه ونوع الأذى، ومن تقع عليه القرعة من السحرة لتنفيذها.

وكان السحرة في كل بلد ومملكة يختارون لحفلاتهم أو اجتماعاتهم الأسبوعية الأماكن المنعزلة المتوحشة حسب طبيعة البلاد. . . فكان السحرة الاسبانيون يلجأون إلى أحد الكهوف أو المغـاور والفرنسيون يقيمون حفلاتهم الاسبوعية في الغابات وفي كل من انجلترا واسكتلندا في الخرائب أو القصور أو المعابد القديمة المهجورة.

ومما هو جديد بالذكر أن الأشياء المحرمة على الساحر والساحرة (الخبز والملح) فلا يقربها بتاتاً طول حياته من وقت التوقيع على الميثاق. . . كما أنه جرت العادة أن يحضر كل ساحر أو ساحرة إحدى جماجم الموتى بعد تهيئتها على شكل إناء يستعملونه لتعاطي الخمور.

وعليهم المحافظة على هذه الجمجمة وعدم التفريط فيها أو استعمالها بتاتاً إلا في كل سنة مرة واحدة عند اجتماعهم في الحفل السنوي الكبير.

أعمال الساحر:

تتوقف قوة الساحر على عوامل كثيرة منها المدة التي قضاها في خدمة الشيطان، القربة أو (القرائن) التي يخصصها الشيطان لخدمته ومساعدته، ومركز هذا القرين ودرجته في دولة الأبالسة.

ومن أول واجبات الساحر أن لا يتردد أو يتورع أبداً عن أذية أي مخلوق مهما عظم شأنه وبلغت سطوته... ويحدثنا تاريخ انجلترا عن محاولة السحرة قتل الملك جيمس السادس بطريقة السم، وقد دبر مع السحرة خطة موته الدكتور (فيان) الذي كان يعمل سكرتيراً خاصاً للأمير فرنسيس ستيوارت (ايرل موذويل) وقد كانت خطة جهنمية... فقد لجأ الساحر إلى أحد الكلاب العزيزة التي يعتز بها الملك ومسح على ظهره ببعض السم اعتقاداً منه أنه متى لمس الكلب انتقل إليه السم ومات لوقته، ولكن يظهر أن الساحر الذي قام بهذه العملية أخطأ في قراءة وتعاويذه للهفته أو سرعة في الإنجاز لعمله نسي تلاوتها أو أن الكلب كمخلوق يتأثر بالسم فمات الكلب بعدما صار يتلوى بضعة دقائق وهاجت الحاشية وارتاب الملك في الأمر، وشهد بعض جنود الحراسة أنهم رأوا أحد خدام القصر يمسح على ظهر الكلب قبل موته ببعض دقائق، وقبض على هذا الخادم وجرى عليه العذاب المألوف في مثل تلك الأحوال وأقر بالحقيقة وأنه أتى كل ما عمل بناء على أوامر الدكتور فيان المذكور فأعدم الاثنان.

ومن فعل الساحر هلاك الحرث والزرع والبهائم وإشعال الحريق وإصابة التجارة والبضائع بالتلف أو البوار والكساد والصفقات المالية بالفشل والخسارة. وحل الزوج وإصابته أو إصابة الزوجة بالعقم، وعمل المراهم والدهانات والمشروبات الخاصة بإثارة الغرائز الجنسية أو تقويتها أو إضعافها، وكذا إجهاض الحامل وإصابة الأفراد باللوثة العقلية أو التوهان والسرحان وعمل مسحون أو بودرة للحب أو الكراهية. ومن أهم ما يعمله الساحر التعاويذ والطلاسم أو الأحجبة التي تجعلك تتزوج بمن تكرهك إذا صممت على أذيتها عندما تكون

بكنفك، وكذلك فسخ الخطوبة أو عقد الزواج قبل الدخول وغير ذلك مما يقصد به التعب والنصب».

ولكل ساحر أو ساحرة بمنزله أو محل إقامته مهما كبر أو صغر محل خاص دنس ورجس لا يقربه غيره يقوم فيه بعبادة إبليس وبرياضته الشيطانية وبه معمله الذي يجهز فيه أعماله السحرية وموادها، وهذا المكان لدى الساحر مقدس جداً لا يسمح لأي أحد بالدخول إليه مهما كان. . . ويتناسب هذا المعبد وهذا المعمل مع درجة الساحر المالية.

فإن كان فقيراً اكتفى بعمل ستائره من قماش أسود رخيص، ومفارش من نفس النوع، وعمل بأدوات زهيدة بسيطة وإن كان غنياً وجب عليه أن لا يبخل بأية مبالغ في سبيل إعداد هذا المعبد من أغلى وأحسن الأقمشة وأغلى المعدات. . . ولكن سواء كان فقيراً أو غنياً فعلى الساحر أن يراعي في رسم النقوش والرموز على الستائر والمفارش وغيرها كما جاء في التعليمات السحرية والقوانين الإبليسية.

أدوات السحر:

للساحر أدوات يستخدمها في سحره وعليه أن يحتفظ بهذه الأدوات محافظة على روحه بل أكثر، لأنه يجب استعمالها لأطول مدة ممكنة وإن كان طول عمره يكون أحسن لأنه كلما قدمت الأدوات كلما حست بالأرواح الشريرة، وحست بالساحر نفسه وصارت جزءاً من حياته فيزيد تأثيرها في العمل، وملابسه المحرم عليه غسيلها بتاتاً أو تنظيفها إن بليت أجزاء منها فعليه أن يرقعها من نفس القماش، وإذا اتسخت جداً (وهذا أفضل وأحسن) وصار لها رائحة كريهة حتى يجير الناس القاصدين إليه على شمها والتمتع برائحتها النتنة ـ طالما كانوا راغبين في علمه وفنه ـ نقول إذا اتسخت لدرجة يخشى منها على تمزيقها أو تآكلها ولا ينفع فيها الترقيع والتشتيك فعليه أن يقلبها على ظهرها على شرط أن يلبسها دون ملابس داخلية، أي تلتصق الرسوم والمعدات التي بها بجسده، لأن الواجب عليه

أن يشتري أو يصنع هذه الملابس والمعدات جديدة ولا يغيرها أبداً مهما تآكلت واتسخت وإذا انكسرت مثلاً زجاجة مصباح فعليه أن يرقعها بورق من نفس اللون، أما إذا انكسرت جميعها فعليه أن يجمع باحتراس بقاياها ويذهب لمقابلة العمدة ليأمر له بشراء غيرها بعد فتح محضر تحقيق لسؤاله عن سبب كسرها ومتى وكيف وبعد توبيخه ونهره وسبه يأمر له بشراء غيرها، ولا يصدق كلامه لأن من عادات السحرة عدم الثقة في أي مخلوق كان حتى بعضهم البعض... وفي مثل تلك الحالات لا بد من أخذ الأمر من الشيطان الكبير الذي يسمح له بشراء زجاجة غيرها بعد ما يصيبه ببضعة أمراض يمنعه عن العمل بضعة أسابيع يندم خلالها ويتحسر ويعلن توبته عن الإهمال الذي تسبب عنه كسر الزجاجة.

وكل هذه التعليمات مشروحة ومستوفاة في كتب السحر وعلى الساحر أن يفهمها جيداً ولا توجد كلمة تأسف في قاموس الأبالسة وليس هناك رحمة أو شفاعة أو خواطر أو محسوبية ومحاباة.

أما الملابس ومدتها المقدرة للاستعمال عشرين عاماً، فإذا ما أصبحت مهلهلة ممزقة مخرمة فضلاً عن نتانتها فعلى الساحر إن أراد تغييرها حتى لا يتأثر عمله من ضياع أو طمس الرسوم والعلامات التي بليت من عليها فعليه أن يقدمها في الحفلة السنوية إلى السيد الشياطين لاستئذانه في تغييرها، وهذا السيد له الخيار بعد الاطلاع على الملابس أن يأمر الساحر بتغييرها أو الاستمرار في لبسها عاماً آخر أو عامين ولكن مهما كان الأمر فالشيطان لا يعفي الساحر من بضعة ركلات في وجهه ورأسه حتى يكون أشد حذراً وحرصاً عند استعمال هذه الملابس. وبطبيعة الحال مهما طال عمر الساحر عليه ألا يغير ملابسه أو أدواته إلا مرة واحدة لأن هذا مما يؤثر في عمله السحري كثيراً لما يستلزمه من تدريب وترويض الأرواح الشريرة التي تساعده على الأشياء الجديدة التي يستبدل بها المكسور أو الهالك من معداته[1].

---

(١) المرجع السابق بتصرف (٨٩).

الأغرب في السحر:

الأغرب في أمر السحر والسحرة أنه مع ما يبذله الساحر من جهد وتعب وما يقدم عليه من تضحيات في سبيل اتباع التعاليم الشيطانية ورضاه بالذل والخنوع وارتكابه المعاصي والمخازي وبيع روحه، وكل ما يملك لإبليس فإن جزاءه من الشيطان لا يتناسب البتة مع كل هذا الجهد وتلك التضحيات لأن عمل الساحر لا يدوم بصفة مستمرة، فله مدة يبطل ويفسد تأثيره خلالها أو بعد انتهائها، فمن الأعمال السحرية ما يدوم ثلاثة أيام فقط، وهي أقل مدة، ومنها ما يمكث أسبوعين أو شهراً، ومنها ما يمكث سنوات، وذلك حسب مقدرة الساحر والقرين الذي يساعده ومركزه ونوع عمل السحر ذاته، والمواد المستعملة فيه، والغرض منه، فإذا ما أراد الساحر استمرار تأثير سحره ـ وغالباً يريد ـ فعليه إعادة العمل وتكراره ـ وهذه حيلة شيطانية غريبة تدل القارىء على مدى سعة حيلة الشيطان وعظم دهائه ـ يربط بها الساحر إلى عجلته طول حياته ويجبره على طلب مساعدته طول عمره ويشعره بحاجته إليه دائماً أبداً لنجاح أعماله واستمرار هذا النجاح.

والأغرب من هذا أن الساحر إذا مرض أو جاع أو افتقر ـ وغالباً ما يحدث هذا ـ أو حلت به أو بأحد أقاربه مصيبة فإن سيده الشيطان يتنكر له ويدعي عدم معرفته به ويتخلى عنه كلياً . . . وأذا ما توسل إليه الساحر واستدعاه ليخلصه من كربه فإنه يظهر إليه ويهزأ من بليته ويلوح له بصورة عقده المحرر بنفسه والموقع عليه بدمائه ويخبره أن العقد المبرم بينهما لا ينص على مساعدته له أو تخليصه إذا حلت به نائبة أو أكثر وأن الشيطان غير ملزم إلا بشيء واحد فقط هو مساعدة الساحر في تحقيق أغراضه لأذية الغير أو لنشر الفساد بين الناس وإصابتهم بالضرر والمكروه، أما أن الشيطان يشفي الساحر إذا مرض أو يعيد اليه ماله إذا خسر، أو يخلص رقبته من حبل المشنقة فهذه كلها أمور مفيدة لا يفهمها الشيطان ولا يقرها لأن كل عمله وهمه موجه للأذية والضرر.

ومن جهة أخرى فإن الشيطان لا يميل للوفاء بوعده لأنه مخادع منافق كاذب

محتال، وقد أقر كثير من السحرة أنه عند مقابلتهم للشيطان في أول مرة ظهر لهم بوجهين أعني على حقيقته شأنه شأن المنافقين المضللين. كذا من المشهود عن الشيطان أنه الخبث والدهاء والخيانة مجسّماً فكيف تنقلب هذه الصفات إلى ضدها لخاطر ساحر ماكر باع روحه ونفسه طائعاً مختاراً دون مقابل... ولا يكتفي الشيطان بهذا، لأنه عند استلامه العقد من الساحر يحتم أن ينص فيه الأخير على بيع روحه وكل ما يملك للشيطان أثناء حياة الساحر وبعد موته، فبعد حرق الساحر أو إعدامه تذهب روحه إلى جهنم حيث ترتع الأرواح الشريرة الضالة كما أن ماله يذهب مهما كان كثيراً وهو ما زال على قيد الحياة، فإن كان الساحر متزوجاً أصابه الشيطان وأصاب عائلته بكل ما يتصوره العقل من أمراض ومشاكل تأتي على ماله كله وإذا كان عزباً خالياً سلط عليه الشيطان من يمهد له طرق المضاربة والميسر حتى يفقد كل ثروته، وللآن لم يمت ساحر جمع مالاً عظيماً من سحره وترك وراءه أية ثروة مهما كانت ضئيلة، بل كلهم ماتوا فقراء مرضى مهمومين مغمورين.

ومن أول يوم يدمغ الشيطان فيه الساحر بعلامته ـ بعد تعميده وبذلك يصبح الساحر شيطاناً رسمياً مثبوتاً اسمه في سجل الدولة الإبليسية ـ يتناول الشيطان سحنة الساحر فيقلبها بشكل قبيح مكروه ثم يستلم جسده مهما كان غليظاً مهلكاً مرهوطاً مترهلاً فيغيره إلى هيكل عظمي يكسوه بجلد خشن صفيق ثم ينقش على جبينه ووجهه التجاعيد ثم يصيبه بإحدى العاهات الظاهرة وغالباً يجعله (أعرج) ثم ينزل على قلبه فينزع منه كل معاني الحب والرحمة والعطف والجمال وكل صفة جميلة أو عاطفة نبيلة ويستبدلها بالخبث والحقد والنهم والطمع والبغضاء... ويمسك عقله فيلويه ليّة لولبية فيجعله لا يفكر إلا في الرذيلة والمعصية والأذى... وعلاوة على كل هذه الهبات التي يغدقها الشيطان على الساحر أو الساحرة فإنه يعطيه حاسة للنظر وأخرى للشم لا مثيل لها حتى بين الحيوانات، فالساحر أو الساحرة لا تستعمل النظارات مهما طال بها السن وتستدل بحاسة الشم على أي شخص غريب أو قريب على أي بعد، وأيضاً فإن حاسة السمع فيها تقوى لدرجة مدهشة فتسمع كل خافتة وكل همسة وفضلاً عن كل هذا

يمنح الشيطان للسحرة شهوة بهيمية فائقة تجعلهم عرضة للتهتك والفضيحة.

وبطبيعة الحال عندما يشعر الساحر أن كل هذه الصفات غير الحميدة صارت كل كيانه ويدور عليها عمله وحياته ونشاطه فإنه يحس بأنه شخصاً من غير بني آدم مبغوضاً منبوذاً من الجميع، وهذا مما يدعوه إلى أن يبغضهم ويعاديهم ويسعى في هلاكهم فيميل للعزلة والوحدة والبعد عن الناس ومعاملاتهم.

ولعل أهم صفة يدفع بها الشيطان عبده الساحر هي صفة (الشك)، فالساحر يشك في كل شيء ولا يثق بشيء ولا يصدق أي شيء أو أي إنسان وتتأصل هذه الصفة الممقوتة في روحه وعقله وقلبه حتى يخشى منها على قدرته ومقدرته في انجاز واجبه وعمله... فلذا نجده عند القيام بأعمال السحر يعملها في تؤدة تامة وحذر شديد وهو طول الوقت يتلو تعاويذه وكلماته متملقاً الشيطان متوسلاً إليه لنجاح عمله وقد غرس الشيطان صفة الشك في قلب الساحر وعقله حتى تضطره دائماً أثناء عمله إلى ذكر الشيطان والتقرب إليه ورجائه لنجاح عمله وهذا مما يؤثر صلته بالشيطان فيصبح الساحر عبداً ذليلاً ينام ويصحو ويفكر والشيطان على لسانه وفي قلبه وفكره والعياذ بالله[1].

القرين

عندما ينتهي الشيطان أو مندوبه من تعميد جميع السحرة والساحرات ويختار لكل واحد منهم اسماً يقيده في سجل الأرواح الشريرة ويصبح اسمه الرسمي في كل ما يتعلق بالسحر والسحرة ويختفي اسمه العادي من الوجود ـ يهب الشيطان لكل منهم على سبيل الهدية قريناً أو قرينة واحدة.. ولا يشترط بتاتاً أن تكون الهدية من مقام المهدي إليه، فهذا لا اعتبار له بتاتاً عند الشيطان كما أنه لا يشترط أن يهدي قريناً ذكراً إلى ساحر ذكر أو العكس فكل هذا متروك أمره للشيطان فهو صاحب الاختيار والفضل.

---

(١) السابق (٣)

والقرين عبارة عن إحدى الأرواح الشريرة الضالة ويختارها الشيطان من حثالة المملكة الشيطانية لتقوم على خدمة الساحر ومساعدته وتعليمه اللغات السحرية وإرشاده في طريقة أعماله وقضاء مصالحه وغيرها من الأعمال التي يسخره فيها الساحر.

ولذا كان مركز القرين الأدبي أو الاجتماعي في الدولة الإبليسية في منتهى الاحتقار والتفاهة لا تعلو عن وظيفة العبيد والارقاء فطبيعة العمل بين القرين والرق واحدة من حيث التعب والكد والتعرض للاهانة.. بل إن وظيفة القرين أثقل وأتعب من وظيفة العبد لأنه على القرين يتوقف كل نجاح الساحر، فهو الذي يحضر الاعشاب اللازمة للعمل من أية جهة كانت وعليه توصيل الرسائل بين السحرة بأخبار الناس ونتيجة السحر الذي عمله لهم وغير ذلك مما يحتاج إليه الساحر احتياجاً تاماً في عمله.

وكل ساحر أو ساحرة عند استلام القرين لا بد أن تعطي عنه إيصالات للشيطان لأنه (عهدة) ملك للشيطان أو أحد الأبالسة الكبار وله حق استرداده أو استبداله من الساحر أو حرمانه منه... إلخ.

وكل ساحرة عند استلام القرين بعد تعميدها مباشرة يطلع لها في إحدى الأجزاء في جسدها وغالباً تحت الإبط وخن الورك وغيرها من الأماكن الكثيرة العرق والمعرضة للتلوث والقذارة أكثر من غيرها من أعضاء الجسد وتنبعث منها رائحة كريهة إذا لم تباشرها بالغسل والنظافة يومياً ـ تطلع لها حلمة كحلمة الثدي يرضع منها القرين يومياً قبل ابتداء عمله اليومي حتى إذا ما أخذ قسطه من الرضاعة أخذت الساحرة دبوساً برأس صغيرة دائرته سوداء وتنخس به قدمها أو بدنها حتى ينبثق الدم فيمص القرين منه بضعة قطرات على سبيل (التحلية) من بعدها يكون مستعداً للأوامر.. لأن أحب الأشياء إلى الأرواح الخبيثة الدماء والروائح الخبيثة المنبعثة من الأجساد القذرة ومجمع القاذورات والرمة والجيفة وهم ملتفون حولها يلتهمونها بشراهة ومتعة.. كما أنهم يفرون ويولون الأدبار من الروائح

الزكية ، ولذا جرت العادة في بعض المنازل باستعمال البخور الزكي الرائحة لطردها من المنزل . . فإذا كان هذا أمر القرين وحبه للقاذورات والروائح الكريهة فتصور انبساطه وسروره وزيادة متعته عند رضعته من الساحرة من هذه الأماكن إذا علمت أنه محرم على الساحر والساحرة الاستحمام أو النظافة من ساعة التعميد .

وفي معظم الحالات يظهر القرين على شكل كلب أو أرنب أو ضفدعة أو عنكبوت . . . إلخ من الحيوانات الأليفة الحقيرة كما أنه في بعض الحالات المتقدمة التي يكون فيها الساحر أو الساحرة قد زاولا المهنة لسنين طويلة يظهر القرين على شكل أسد أو غيره من الحيوانات المفترسة . وفي بعض الحالات النادرة يظهر القرين على شكل صبي أو فتاة أو شاب أو رجل كباقي الآدميين وفي هذه الحالات يظهر لابساً من لون واحد فاتح من لونه لباس سيده الشيطان الكبير التابع لفرقته .

وفي بعض الحالات النادرة التي يهمل فيها الساحر القرين بالانصراف أو يسهو عن باله صرفه لانشغاله بأعمال أخرى يجد القرين الفرصة سانحة للاختفاء والهروب كما يريد وعلى الساحر أن يقدم حساباً عسيراً للشيطان عن هذا الإهمال الذي سبب خسارة جسيمة للدولة ويستعد للعذاب الأليم الذي سيصيبه ويصيب أفراد عائلته (إذا كان له عائلة) بسبب هذا التقصير . . . وفي أول حفلة يقيمها السحرة يصر مندوب الشيطان على أخذ أحد أولاد أو بنات الساحر مكان القرين المفقود فيطيع الساحر الأمر ويسلم نجله إلى الشيطان الذي يخفيه ويحيله إلى روح شريرة يأمرها بالخدمة في جهات نائية جداً بحيث لا يراه ولا يسمع بخبره الساحر طوال حياته . . أما في الحالات التي لم يكن فيها للشيطان ذرية ، وكثيراً من يفضل البقاء دون زواج أو يتخذ رفيقة من نساء الأبالسة ـ يخطف الشيطان روح الساحر لتقوم مقام القرين.

ومن أول يوم يستلم القرين عمله عند الساحر يفهم حالته المالية والنفسية والثقافية . . . الخ ، وكل ما يتصل به وبأفراد عائلته . . فإذا كان الساحر فقيراً ـ وهذا الأغلب ـ فإن القرين يصف له الوصفات المركبة من مواد رخيصة لاستعمالها

في أعماله وبالعكس إذا كان الساحر غنياً فإنه يصف له المواد الباهظة الثمن النادرة الوجود ومنها بعض الأحجار الكريمة لأن من أول واجبات القرين أن يأتي على مال الساحر الغني بكافة الطرق. . حتى في الأحوال التي يغتني فيها الساحر من السحر ويجمع ثروة منه فإن القرين يدله على الطرق الشيطانية التي يخسر فيها أمواله قبل وفاته.

وعندما تحين الفرصة للقرين للهروب من الساحر ويغتنمها فإنه لتلهفه على النجاة يدخل أي منزل به أطفال صغار في سن الرضاعة ويتسرب إلى جسد الرضيع ويسكن فيه فتنقلب سحنة[1] الطفل فوراً ويصير شكله مثل القردة والعياذ بالله حتى يصعب على أهله معرفته عند رؤ يته وتسميه بعض الناس (مبدول) أعني أخذته الشياطين واستبدلته بأحد غلمانهم، وهذا اعتقاد فاسد باطل لأنه لا حاجة للشيطان من خطف طفل واستبداله بغيره من أبنائهم. . والحقيقة أن الروح الخبيثة التي حلت بجسده هي المسؤ ولة عن تغيير سحنته إلى ذلك الشكل المرعب وتبقى ساكنة في جسد هذا الطفل سواء كان ولداً أو بنتاً طول عمره. . وعندما تحل الروح الخبيثة بجسد طفل تعوق نمو جسده فيحتفظ بحجم أعضاء جسمه ولكن تكبر هيئته. . وسنبحث إن شاء الله كيف نطرد روحاً خبيثة حلت بجسد آدمي.

والقرائن المخصصة للفتك بالأشخاص أو إصابتهم بمرض يستعصي شفاؤ ه لا يحضرون للساحر بمفردهم بل لا بد من حضور رئيسهم الشيطان الكبير الخاص بهذه العلمية. . وهو عادة يقوم بعدما يؤدي الساحر جميع الفرائض التي تتطلب حضوره بتغيير القرين إلى شكل ممرضة تستخدم في تمريض المرضى، وبهذه الوسيلة تدس لهم السم في الدواء أو الطعام فيقضي عليهم دون أن يعثر لهم على أثر وقد تسببوا بهذه الوسيلة في موت الملك إدوارد السادس عند مرضه[2].

---

(١) سحنة الطفل بفتحتين: الهيئة وقد تسكن.

(٢) كتاب السحر (١٣٥) بتصرف.

قصة السحر في القرآن والسيرة النبوية

قال تعالى:

﴿ فلما آتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين، وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين، أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوماً فاسقين. قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون، وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون، قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ، فلما جاءهم موسى بآياتنا قالوا : ما هذا إلا سحر مفتري ، وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار أنه لا يفلح الظالمون ، وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين ، واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ، فأخذناه وجنوده فنبذناهم في أليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾(١) .

وقال جل شأنه فيما ترتب على ذلك من مناظرة بين موسى والسحرة:

﴿ قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين، قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم، يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون، قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين، يأتوك بكل سحار عليم، فجمع السحرة لميقات يوم معلوم، وقيل للناس هل أنتم مجتمعون، لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين، فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين، قال نعم وأنكم إذاً لمن المقربين، قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم

---

(١) القصص: ٣٠ ـ ٤٠ .

وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون، فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون، فألقي السحرة ساجدين، قالوا آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون، قال: آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين ﴾[١].

لأن السحرة كانوا يرون حبالهم وعصيهم حبالاً فسحرهم سحر أعين الناس، لأنه كما قلنا إن الساحر لا يستطيع أن يغير من حقائق الأشياء وإنما يحولها من صورة إلى أخرى، فلما رأوا أن عصا موسى لم تكن سحراً لأنهم رأوها حية.. آمنوا وعلموا أنه من عند رب العالمين.

وقال تعالى:

﴿ واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾[٢].

في هذه الآيات دلالات ظاهرة على قبح السحر وأنه إما كفر أو كبيرة كما يأتي في الأحاديث.

والشياطين هنا مردة الجن لأنهم كانوا يسترقون السمع من السماء ويضمون إليه أكاذيب يلقونها إلى الكهنة دونوها في كتب وعلموها الناس، وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام، وقالوا: إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم ملكه إلا به وبه سحر الجن والإنس والطير والريح التي تجري بأسره ومردة الجن لما روي أن سليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان قد دفن كثيراً

---

(١) الشعراء: ٣٠ ـ ٤٩.
(٢) البقرة: ١٠٢.

من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه خوفاً على أنه إن هلك الظاهر من تلك العلوم يبقى هذا المدفون منها فبعد مدة توصل منافقون إلى أن كتبوا في خلالها أشياء من السحر تناسب تلك الأشياء من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب أوهموا الناس أنه من عمل سليمان وأنه ما وصل إليه إلا به .

ثم إضافتهم السحر لسليمان إما لتفخيم شأن السحر لتقبله الناس وإما لقول اليهود إنه ما وجد ذلك الملك إلا بالسحر وإما لأنه لما سحرت له الجن وكان يخاطبهم ويستفيد منهم أسراراً عجيبة غلب على الظنون الفاسدة أنه حاشاه الله من ذلك استفاد السحر منهم وذلك السحر كفر ولذلك برأه الله تعالى بقوله:

سليمان الدال على أنهم نسبوه للكفر كما روي عن بعض أحبار اليهود أنهم قالوا: ألا تعجبون من محمد يزعم أن سليمان كان نبياً وما كان إلا ساحراً.

وروي أن سحرة اليهود زعموا أنهم أخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله من ذلك وبين أن ذلك الكفر القبيح إنما هو لاحق بهم لقوله تبارك وتعالى:

﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾[1].

ابن حجر المكي في حديث عن السحر:

قال في الزواجر: «والسحر لغة كل ما لطف ودق من سحره إذا أبدى له أمراً فدق عليه وخفي ومنه فلما ألقوا سحروا أعين الناس»[2].

وهو مصدر شاذ إذ لم يأت مصدر لفعل يفعل بفتح عينه فيهما على فعل بكسر فسكون إلا هذا الفعل والسحر أوله الغذاء لخفائه والرئة وما تعلق بالحلقون وهو يرجع لمعنى الخفاء أيضاً ومنه قول عائشة رضي الله عنها «توفي رسول الله ﷺ بين سحري ونحري». وقوله تعالى: ﴿ إنما أنت من المسحرين ﴾[3] معناه من

---

(١) السابقة.

(٢) سورة الأعراف: ١١٦.

(٣) سورة الشعراء: ١٨٥.

المخلوقين الذين يطعمون ويشربون بدليل قوله: ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾[1]. أي وما أنت إلا ذو سحر مثلنا.

وشرعاً: يختص بكل أمر يخفى سببه وعمل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع وحيث أطلق فهو مذموم، وقد يستعمل مقيداً فيما ينفع ويمدح، ومنه قوله ﷺ: «إن من البيان لسحراً»[2]، أي لأن صاحبه يوضح المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه وبليغ عبارته، والقول بأنه خرج مخرج الذم للفصاحة والبلاغة إذ شبهه بالسحر بعيد.

واستدل له بما لا دلالة فيه وهو قوله ﷺ: «فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض». وقوله: »إن أبغضكم إلى الثرثارون. والثرثرة كثرة الكلام وترديده يقال ثرثر الرجل فهو ثرثار مهذار والمتفيقهون نحوه، ويقال فلان يتفيهق في كلامه إذا توسع وتنطع، نعم نقل هذا القول أعني أن ذلك ذم عن عامر الشعبي راوي الحديث وصعصعة بن صوجان.

أما قوله ﷺ: «إن من البيان لسحراً»، فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وهو عليه، وإنما يحمد العلماء البلاغة ما لم تخرج إلى حد الاطناب والاسهاب وتصوير الباطل في صورة الحق وعلى القول الأول أعنى أن ذلك مدح للفصاحة المبينة للحق، والرافعه لأشكاله، فإنما سمي ما يوضح الحق سحراً وهو إنما قصد به إظهار الخفاء لا إخفاء الظاهر عكس ما يدل عليه لفظ السحر لأن ذلك القدر للطفه وحسنه استمال القلوب فأشبه السحر الذي يستميل القلوب من هذا الوجه وأيضاً فالقادر على البيان يكون غالباً قادراً على تحسين القبيح وتقبيح الحسن فأشبه السحر من هذا الوجه أيضاً.

---

(١) سورة الشعراء: ١٨٥.

(٢) الحديث أخرجه أحمد وأبو داود عن ابن عباس، وأبو داود عن بريدة. قال السيوطي في الجامع ضعيف: (٨٨) دار القلم.

حقيقة السحر عند علماء المسلمين:

واختلف العلماء في أن السحر له حقيقة أم لا. فقال بعض العلماء أنه تخيل لا حقيقة له لقوله تعالى:

﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾[1].

وقال الأكثرون: ـ وهو الأصح ـ الذي دلت عليه السنة له حقيقة لأن اللعين لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر سحر رسول الله ﷺ وأمر ﷺ بإخراج سحره من بئر أروان بدلالة الوحي له على ذلك، فأخرج منها فكان ذا عقد فحلت عقده فكان كلما حلت منه عقدة خف عنه ﷺ إلى أن فرغت فصار ﷺ كأنما نشط من عقال.

وذهب ابن عمر رضي الله عنهما إلى خيبر ليخرص ثمرها فسحره اليهود فانكتفت يده فاجلاهم عمر.

وجاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها فقالت: يا أم المؤمنين ما على المرأة إذا عقلت بعيرها؟ فقالت عائشة: ولم تفهم مرادها: ليس عليها شيء. فقالت: إني عقلت زوجي عن النساء. فقالت عائشة رضي الله عنها: اخرجوا عني هذه الساحرة.

الخلاصة:

والجواب عن الآية أنا لا نمنع أن من السحر ما هو تخييل بل منه ذلك وما له حقيقة.

وإنما أثر السحر في رسول الله ﷺ مع قوله تعالى:

إما لأن المراد منه عصمة القلب والإيمان دون عصمة الجسد عما يرد عليه من الحوادث الدنيوية، ومن ثم سحر وشج وجهه وكسرت رباعيته ورمى عليه الكرش والتراب وأذاه جماعة من قريش، وأما لأن المراد عصمة النفس عن الانتلات دون

---

(١) سورة طه: ٦٦.

العوارض التي تعرض للبدن مع سلامة النفس وهذا أولى به هو الصواب لأنه ﷺ كان يحرس فلما نزلت الآية أمر بترك الحرس(١).

وحكي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: السحر يخبل ويمرض ويقتل وأوجب القصاص على من قتل به فهو من عمل الشيطان يتلقاه الساحر منه بتعليمه إياه فإذا تلقاه منه استعمله في غيره وقيل أنه يؤثر في قلب الأعيان، وقيل: الأصح أن تخييل لكنه يؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون وللكلام تأثير في الطباع والنفوس كما إذا سمع إنسان ما يكره فيحمر ويغضب وربما حم منه ومات قوم بكلام سمعوه فهو بمنزلة العلل التي تؤثر في الأبدان.

قال القرطبي: قال علماؤنا: لا ينكر أن يظهر على يد الساحر خرق العادات بما ليس في مقدور البشر من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضد إلى غير ذلك مما قام الدليل على استحالة كونه من مقدورات العباد قالوا: ولا يبعد في السحر أن يستدق جسم الساحر حتى يتولج في الكوات والانتصاب على رأس قصبة والجري على خيط مستدق، والطيران في الهواء، والمشي على الماء، وركوب كلب وغير ذلك ولا يكون السحر علة لذلك ولا موجباً له وإنما يخلق الله تعالى هذه الأشياء عند وجود السحر كما يخلق الشبع عند الأكل والري عند شرب الماء.

وروي سفيان عن عامر الذهبي أن ساحراً كان عند الوليد بن عقبة يمشي على الحبل ويدخل في است الحمار ويخرج من فيه فاشتمل جندب على سيفه وقتله به وهو جندب بن كعب الأزدي ويقال البجلي وهو الذي قال النبي ﷺ في حقه يكون في أمتي رجل يقال له جندب يضرب ضربة بالسيف يفرق بها بين الحق والباطل فكانوا يرونه جندباً هذا قاتل السحر(٢).

قال القرطبي: أجمع المسلمون على أنه ليس في السحر ما يفعل الله عنده إنزال الجراد والقمل والضفدع وفلق البحر وقلب العصا وإحياء الموتى وإنطاق العجماء وأمثال ذلك من آيات الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) الزواجر (٥٠٠)، طبعة دار الشعب.

(٢) الزواجر (٥٠١).

والفرق بين السحر والمعجزة أن السحر يأتي به كل من تعلم طريقة وقد يكون جماعة يعلمونه ويأتون به في وقت واحد وأما المعجزة فلا يمكن لغير الله تعالى أن يأتي بمثلها ومعارضتها .

رأي للفخر الرازي:

قال الفخر: واتفق المحققون على أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور لأن العلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى.

﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[1].

ولو لم يعلم السحر لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة والعلم يكون المعجزة معجزاً واجب وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً وما يكون واجباً[2] كيف يكون واجباً حراماً وقبيحاً ونقل بعضهم وجوب تعلمه على المفتي حتى يعلم ما يقتل منه وما لا يقتل به في وجوب القصاص. أ. هـ.

ابن حجر الهيثمي يرد على الفخر الرازي:

ما قاله الفخر الرازي فيه نظر وبتسليمه فهو لا ينافي ما قدمناه فيما سبق من أن تعلمه وتعليمه كبيرتان لأن الكلام ليس فيهما وإنما هو في شخص تعلمه جاهلاً بحرمته أو تعلمه عالماً بها ثم تاب فما عنده الآن من علم السحر الذي لا كفر فيه هل هو قبيح في ذاته وظاهر أنه ليس قبيحاً لذاته وإنما قبحه لما يترتب عليه وما نقل

---

(١) سورة الزمر: ٩.

(٢) قصد الامام الفخر الرازي تعلم ما يجب علمه عن السحر، ولم يقصد تعلم لاستخدامه في أذى الناس، فما لا شك فيه أن الالمام بعلوم حقيقة السحر والوقوف على أعمال الساحر وعقد الشيطان وحياة السحر ينفر العاقل من السحر والسحرة، ويرسخ وحشية وبهيمية السحرة، وتؤكد كذب الدجالين وصانعي الألعاب، ويطمئن الناس أن الاسلام قد عالج المسحور وأبطل عمل الساحر، ولهذا وضعنا هذا الكتاب .

عن بعضهم غير صحيح لأن افتاءه بوجوب القود أو عدمه لا يستلزم معرفته علم السحر لأن صورة إفتائه إن شهد عدلان عرفا السحر وتاب منه أن يقتل غالباً قتل الساحر ، وكذا المعلم بالمعجزة لا يتوقف على العلم بالسحر لأن أكثر العلماء عرفوا الفرق بينهما ولم يعرفوا علم السحر وكفى فارقاً بينهما أن المعجزة تكون مقرونة بالتحدي بخلاف السحر فبطل قول الفخر لما أمكن الفرق . . الخ وأما كونه خارقاً فهو أمر يشترك فيه السحر والمعجزة وإنما يفترقان باقترانها بالتحدي . وقد مر عن القرطبي أن المسلمين أجمعوا على أنه ليس في السحر ما يفعل الله عنده إنزال الجراد وغيره مما سبق فهذا ونحوه ما يجب القطع بأنه لا يكون ولا يفعله الله عند إرادة الساحر .

قال القاضي الباقلاني:

«وإنما منعنا ذلك للاجماع ولولاه لأجزناه» أ. هـ.

هاروت وماروت:

قوله تعالى: ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ في أربعة أقوال أظهرها أنها موصولة عطفاً على السحر أي يعلمون الناس السحر والمنزل على الملكين وقيل نافيه أي وما أنزل على الملكين إباحة السحر وقيل موصوله محلها جر عطفاً على ملك سليمان لأن عطفها على السحر يقتضي أن السحر، نازل عليهما فيكون منزله هو الله وذلك غير جائز وكما لا يجوز في الأنبياء أن يبعثوا لتعليم السحر، فالملائكة أولى وكيف يضاف إلى الله ما هو كفر وإنما يضاف للمردة والكفرة وإنما المعنى أن الشياطين نسبوا السحر إلى ملك سليمان والمنزل على الملكين مع أن ملكه والمنزل عليهما بريئان من السحر بل المنزل عليهما هو الشرع والدين وكانا يعلمان الناس قبوله والتمسك به فكانت طائفة تتمسك وأخرى تخالف. أ. هـ.

واعترض الفخر الرازي بأن عطفه على ملك بعيد فلا بد له من دليل وزعم أنه لو كان نازلاً عليهما لكان منزله هو الله لا يضر لأن تعريف صفة الشيء قد

يكون لأجل الترغيب فيه حتى يوجده المكلف وقد يكون لأجل التنفير عنه حتى يحترز عنه كما قيل: عرفت الشر لا للشر بل لتوقيه، وزعم أنه لا يجوز بعثة الأنبياء لتعليمه لا يؤثر أيضاً لأن المراد هنا يعلم فساده وإبطاله، وزعم أن تعليمه كفر ممنوع وبتسليمه هي واقعة حال يكفي في صدقها صورة واحدة وزعم أنه إنما يضاف للمردة والكفرة إنمايصح أن أريد به العمل لا التعليم لجواز أن يكون العمل منهياً عنه وتعليمه لغرض التنبيه على فساده مأموراً به.

وما تقرر أنهما ملكان هو الأصح الذي عليه الأكثرون وقرىء شاذاً بكسر اللام فيكونان أنسيين وسيأتي ما فيه، والباء في ببابل بمعنى في سميت بذلك قيل لتبلبل ألسنة الخلق بها لأن الله تعالى أمر ريحاً فحشرتهم بهذه الأرض فلم يدر أحدهم ما يقول الآخر ثم فرقتهم الريح في البلاد فتكلم كل واحد بلغة، والبلبلة التفرقة، وقيل لما أرست سفينة نوح بالجودي نزل فبنى قرية وسماها ثمانين باسم أصحاب السفينة فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة وقيل لتبلبل ألسنة الخلق بها عند سقوط صرح نمرود وهي بابل العراق.

وقال ابن مسعود: بابل أرض الكوفة.

والجمهور على فتح تاء هاروت وماروت وهما بناء على فتح لام الملكين بدل منهما وقيل من الناس بدل بعض من كل وقيل هما بدل من الشياطين وقيل نصباً على الذم أي أذم هاروت وماروت من بين الشياطين كلها، ومن كسر لامهما أجرى فيهما ما ذكر..

نعم إن فسر الملكان بداود وسليمان كما ذكره بعض المفسرين وجب في هاروت وماروت أن يكونا بدلاً من الشياطين أو الناس وعلى فتح اللام قيل هما ملكان من السماء اسمهما هاروت وماروت وهو الصحيح للتصريح به في الحديث.. وقيل هما جبريل، وقيل داود وسليمان، وقيل رجلان صالحان على بابه من التعليم، وقيل يعلمان من أعلم إذا الهمزة والتضعيف يتعاقبان إذ الملكان لا يعلمان السحر إنما يعلمان بقبحه ومن حكى أنْ يعلم بمعنى أعلم ابن الأعرابي وابن الأنباري:

ثم القائلون بأنهما ليسا من الملائكة احتجوا بأن الملائكة لا يليق بهم تعليم السحر، وبقوله تعالى: ﴿ لو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ﴾[1]، وبأنهما لو نزلا في صورتي رجلين كان تلبيساً وهو لا يجوز وإلا لجاز في كل شواهد من آحاد الناس أنه لا يكون رجلاً حقيقة لاحتمال أنه ملك من الملائكة.

أولاً في صورتي رجلين نافٍ لقوله تعالى:

﴿ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ﴾[2].

ويجاب عن الأول بما مر أن المحذور تعليمه للعمل به لا لبيان فساده.

وعن الثاني بأن المراد لو أنزلنا ملكاً رسولاً داعياً إلى الناس لجعلناه رجلاً حتى يمكنهم الأخذ عنه والتلقي منه وما هنا ليس كذلك فلا محذور في كون الملك على غير صورة الرجل.

وعن الثالث بأنا نختار أنهما ليسا في صورتي رجلين ولا منافاة بين ذلك وتلك الآية كما بيناه وعلى أنهما في صورة رجل فإنما يجوز الحكم على كل ذات بأنها ملك في زمن يجوز فيه إنزال الملائكة كما أن صورة وحيه من كان يراها بعد علمه أن جبريل ينزل فيها لا يقطع بأنها صورة وحيه لاحتمال أنها جبريل وقد أجاب بعض المفسرين عن تلك الحجج بما لا يجدي بما فيه نظر ظاهر.

واعلم أن المفسرين ذكروا لهذين الملكين قصة تتلخص في أن الملائكة لما اعترضوا بقولهم.

﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء»[3].

ومدحوا أنفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك أراهم الله تعالى ما يدفع دعواهم فركب في هاروت وماروت منهم شهوة وأنزلهما حاكمين في الأرض

---

(١) ٨: الأنعام.
(٢) ٩: الأنعام.
(٣) البقرة: ٣٠.

فافتتنا بالزهرة مثلت لهما من أجمل النساء فلما وقعا بها خيراً بين عذابي الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما يعذبان إلى يوم القيامة...

ونازع جماعة فـي أصل ثبوت هذه القصة وليس كما زعموا لورود الحديث ، ومن جملته أنها لما مثلت لهما وراوداها عن نفسها أمرتهما بالشرك فامتنعا ثم بالقتل فامتنعا ثم بشرب الخمر فشرباها ثم وقعا بها وقتلا ثم أخبرتهما بما فعلاه فخيرا كما ذكر ، ومن المنازعين الفخر قال : هذه القصة رواية فاسدة مردودة ليس في كتاب الله ما يدل عليها بل فيه ما يبطلها من وجوه .

الأول: عصمة الملائكة من كل ذنب ويجاب بأن محل العصمة ما داموا بوصف الملائكة، أما إذا انتقلوا إلى وصف الانسان فلا على أنه يعلم من الحديث المذكور أن ما وقع لهما إنما هو من باب التمثيل لا الحقيقة لأن الزهرة تمثلت لهما امرأة وفعلت بهما ما مر دفعاً لقولهم.

﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾[1].

الثاني: زعم أنهما خيرا بين العذابين بل كان الأولى أن يخيرا بين التوبة والعذاب لأن الله خير بينهما من أشرك طول عمره فهذان أولى، ويجاب بأن ذلك إنما فعل تغليظاً في العقوبة عليهما ولا يقاسان بمن أشرك لأن الأمور التوقيفية لا مجال للرأي فيها.

الثالث: من أعجب الأمور أنهما يعلمان الناس السحر في حال كونهما يذبان ويدعوان إليه وهما يعاقبان بأنه لا عجب في ذلك إذ لا مانع أن العذاب يفتر عنهما في ساعات فيعلمان فيها لأنهما أنزلا فتنة عليهما لما وقع لهما مما ذكر وعلى الناس لتعلمهم منهما السحر.

قال بعضهم والحكمة في إنزالهما أمور:

---

(١) البقرة: ٣٠.

أحدها: أن السحرة كثرت في ذلك الزمن واستنبطت أنواعاً عجيبية غريبة في النبوة، وكانوا يدعونها ويتحدون الناس بها فأنزل الله الملكين ليعلما الناس السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك السحرة المدعين للنبوة كذباً وهذا غرض ظاهر.

ثانيها: أن العلم بأن المعجزة مخالفة للسحر.. يتوقف على علم ماهيتها والناس كانوا جاهلين ماهية السحر فتعذرت عليهم معرفة حقيقته فبعث الله هذين الملكين لتعريف ماهيته وحقيقته لأجل هذا الغرض وهو معرفة الفارق بينهما وسبب إنزال الملكين.

ثالثها: لا يمتنع أن السحر الذي يوقع الفرقة بين أعداء الله والألفة بين أولياء الله كان مباحاً عندهم أو مندوباً فبعثهما الله لتعليمه لهذا الغرض فتعلم القوم ذلك منهما واستعملوه في الشر وإيقاع الفرقة بين أولياء الله والألفة بين أعداء الله.

رابعها: تحصيل العلم بكل شيء حسن ولما كان السحر منهياً عنه وجب أن يكون معلوماً متصوراً وإلا لم ينه عنه.

خامسها: لعل الجن كان عندهم أنواع من السحر لم يقدر البشر على الاتيان بمثلها فبعثهما الله تعالى ليعلما البشر أموراً يقدرون بها على معارضة الجن.

سادسها: أن يكون ذلك تشديداً في التكاليف من حيث إنه إذا علم ما يمكنه أن يتوصل به إلى اللذات العاجلة ثم منعه من استعمالها كان ذلك في نهاية المشقة يستوجب به الثواب الزائد فثبت بهذه الوجوه أنه لا يبعد من الله تعالى إنزال الملكين لتعليم السحر، قال بعضهم وهذه الواقعة كانت زمن إدريس صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وسلم والمراد بالفتنة في الآية المحنة التي يتميز بها الحق من الباطل والمطيع من العاصي، وإنما قالا إنما نحن فتنة.. الخ بذلاً للنصيحة قبل التعليم أي هذا الذي نصفه لك وإن كان الغرض منه تمييز السحر من المعجزة ولكنه يمكنك أن تتوصل به إلى المفاسد والمعاصي، فإياك أن تستعمله فيما نهيت عنه واختلفوا في المراد بالتفريق بين المرء وزوجته في قوله إنما يكون إن أعتقد أن السحر مؤثر فيه وهذا كفر وإذا كفر بانت زوجته منه وقيل: المراد أنه

يفرق بينهما بالغواية والحيل وذكر التفريق دون سائر ما يتعلمونه تنبيهاً على الباقي فإن ركون الانسان إلى زوجته زائد على مودة قريبه فإذا وصل بالسحر إلى هذا الأمر مع شدته فغيره أولى ويدل عليه قوله تعالى :

﴿ وما هم بضارين به من أحد ﴾[1].

فإنه أطلق الضرر ولم يقصره على التفريق فدل على أنه إنما خص بالذكر لكونه أعلى مراتب الضرر قال الفخر: والإذن حقيقة في الأمر والله لا يأمر بالسحر لأنه ذمهم عليه، ولو أمرهم به لما ذمهم عليه فلا بد من التأويل في قوله إلا بإذن الله وفيه وجوه.

أحدها. قال الحسن المراد منه التخلية يعني إذا سحر الانسان فإن شاء الله منعه، وإن شاء خلى بينه وبين ضرر السحر.

ثانيها: قال الأصم إلا بعلم الله إذ الأذان والإذن الاعلام.

ثالثها: بخلقه إذا لضرر الحاصل عند فعل السحر لا يكون إلا بخلقه تعالى.

رابعها: يأمره بناء على تفسير التفريق بين المرء وزوجته بالكفر لأن هذا حكم شرعي وهو لا يكون إلا بأمره تعالى والخلاف النصيب في هذا آكد ذم وأقبح عذاب للسحرة إذ لا أخسر ولا أفحش وأحقر ولا أذل ممن ليس له نصيب في نعيم الآخرة ومن ثم عقب تعالى ذلك بقوله عز قائلاً «ولبئس ما شروا»[2] أي باع اليهود به أي بالسحر أنفسهم لو كانوا يعلمون أي لو علموا ذم ذلك هذا الذم العظيم لما باعوا به أنفسهم، وأثبت لهم العلم أولاً بقوله تعالى «ولقد علموا» ونفاه عنهم بقوله ثانياً «لو كانوا يعلموا به كأنهم منسلخون عنه أو المراد بالعلم الثاني العقل لأن العلم من ثمرته فلما انتفى الأصل انتفت ثمرته فصار وجود العلم كالعدم حيث لم ينتفعوا به كما سمى الله تعالى الكفار عمياً بكماً صماً إذ لم ينتفعوا

---

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) سورة البقرة: ١٠٢.

بحواسهم أو تغاير بين متعلق العملين أي علموا ضرره في الآخرة ولم يعلموا نفعه في الدنيا هذا كله إن كان فاعل علموا ويعملون واحداً كما هو الظاهر، فإن قدر مختلفاً كان يجعل ضمير علموا للملكين أو الشياطين وضمير شروا وما بعده لليهود فلا إشكال وبما تقرر في هذه الآية علم أصل السحر ومنشؤه وحقيقته وأنواعه وضرره وقبحه وما يترتب عليه من الوعيد الشديد فلا ينتحله إلا كل شيطان مريد أو جبار عنيد[١].

ذم السنة النبوية للسحر:

جاء في السنة أحاديث كثيرة في ذمه أيضاً.

أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات أي المهلكات» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» أ. هـ.

واخرج النسائي بسند عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه ولم يسمع منه عند أعظمهن الشرك بالله، وقتل المؤمن بغير حق، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، والسحر، وأكل مال اليتيم وأكل الربا» الحديث .

والنسائي بسند عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه ولم يسمع منه عند الجمهور من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق بشيء، وكل إليه أي من يعلق على نفسه الحروز والعوذ يوكل إليها» أ. هـ.

واخرج عن علي بن زيد عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه واختلف الحسن عن عثمان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «كان لداود بني الله ساعة يوقظ فيها أهله يقول يا آل داود قوموا فصلوا فإن هذه الساعة يستجيب الله فيها الدعاء إلا الساحر أو عاشر» أ. هـ.

---

(١) الزواجر: (٥٠٩).

وأخرج الطبراني في الكبير والأوسط بسند فيه مختلف فيه ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فإن الله يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء من مات لا يشرك بالله شيئاً ولم يكن ساحراً يتبع السحرة، ولم يحقد على أخيه» أ. هـ.

وابن حبان في صحيحه «لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم» أ. هـ.

وأحمد وأبو يعلى وابن حيان في صحيحه والحاكم في صحيحه « ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر» الحديث .

الكهانة والعرافة والطيرة والطرق والتنجيم:

قال تعالى: ﴿ولا تقل ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾[1].

أي لا تقل في شيء من الأشياء ما ليس لك به علم فإن حواسك مسؤولة عن ذلك، وقال تعالى: ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول[2].

أي عالم الغيب هو الله وحده فلا يطلع عليه أحداً من خلقه إلا من ارتضاه للرسالة فإنه مطلعه على ما يشاء من غيبه، وقيل هو منقطع أي لكن من ارتضاه للرسالة، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً، والصحيح هو الأول، لأن الله تعالى، اطلع أنبياءه بل ورائهم على مغيبات كثيرة لكنها جزئيات قليلة بالنسبة الى علمه تعالى فهو المنفرد بعلم المغيبات على الاطلاق كليها وجزئيها دون غيره.

---

(١) سورة الاسراء، الآية: ٣٦.
(٢) سورة الجن، الآية: ٢٦، ٢٧.

وأخرج البزاز بإسناد جيد عن عمران بـن حصين رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ليس منا من تطير له أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» أ. هـ.

ورواه الطبراني من حديث ابن عباس دون قوله «ومن أتى . . الخ» باسناد جيد.

ورواه البزاز بإسناد جيد قوي «ومن أتى كاهناً فسأله بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

وأخرج الطبراني «من أتى كاهناً فصدقه بما تقول فقد برىء مما أنزل الله على محمد ﷺ، ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» أ. هـ.

وأخرج الطبراني «من أتى كاهناً فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة فإن صدقه بما قال فقد كفر» أ. هـ.

وأخرج الطبراني بإسنادين أحدهما ثقة «لن ينال الدرجات العلا من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر تطيراً».

وأخرج مسلم: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً».

وأخرج الأربعة والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من أتى عرافاً أو كاهناً فصدق بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

واخرج الطبراني بسند رواته ثقات «ومن أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً يؤمن بما يقول: فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» أ. هـ.

وقال ابن حجر الهيثمي تعقيباً:

عد هذه المذكورات هو وإن لم أره كذلك صريح هذه الأحاديث في أكثرها وقياساً في البقية وهو ظاهر لأن الملحظ في الكل واحد.

والكاهن هو الذي يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضها ويخطىء أكثرها ويزعم أن الجن تخبره بذلك.

وفسر بعضهم الكهانة بما يرجع لذلك فقال: هي تعاطي الأخبار عن المغيبات في مستقبل الزمان وإدعاء علم الغيب وزعم أن الجن تخبره بذلك.

والعراف: بفتح المهملة وتشديد الراء قيل الكاهن. ولكن يرد الحديث «عرافاً» أو «كاهناً».

قال البغوي: «هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها كالمسروق من الذي سرقه ومعرفة مكان الضالة ونحو ذلك منهم من يسمى المنجم كاهناً»(١).

---

(١) الزواجر (٥١٢) بتصرف.

الباب الرابع

أحكام السحر

اختلف العلماء في الساحر هل يكفر؟

والمعلوم أنه لا نزاع في كفر من اعتقد أن الكواكب مؤثرة لهذا العالم أو أن الإنسان يصل بالتصفية إلى أن تصير نفسه مؤثرة في إيجاب جسم أو حياة أو تغيير شكل.

أما بقية أنواع السحر. . . (والتي ذكرناها) فقال جماعة إنها كفر لأن اليهود لما أضافوا السحر لسليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم قال تعالى: تنزيهاً له «وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فظاهر هذا إنما كفروا بتعليمهم السحر لأنه ترتيب الحكم على الوصف المناسب يشعر بعليته وتعليم ما لا تكون كفراً لا يوجب الكفر وهذا يقتضي أن السحر على الاطلاق كفر وكذا يقتضي ذلك قوله تعالى: « على الملكين وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر » .

وعن أبي حنيفة أن الساحر يقتل مطلقاً إذا علم أنه ساحر بإقراره أن بينة تشهد عليه بأنه ساحر ويصفونه بصفة تعلم أنه ساحر ولا يقبل قوله أترك السحر وأتوب عنه فإن أقر بأني كنت أسحر مدة وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل.

وسئل ابو حنيفة لم لم يكن الساحر بمنزلة المرتد حيت تقبل توبته فقال لأنه جمع من كفره السعي في الأرض بالفساد ومن هو كذلك يقتل مطلقاً... ورد ما قاله بأنه ﷺ لم يقتل اليهودي الذي سحره فالمؤمن مثله لقوله ﷺ لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

واحتج أبو حنيفة بما روي أن جارية لحفصة أم المؤمنين رضي الله عنها سحرتها فأخذوها فاعترفت بذلك فأمرت عبد الرحمن بن زيد فقتلها فبلغ ذلك أمير المؤمنين عثمان فأنكره فجاءه ابن عمر فأخبره بأمرها وكأن عثمان إنما أنكر ذلك لانه قتلتها بغير إذنه.

وبما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال اقتلوا كل ساحر وساحرة فقتلوا ثلاث سواحر وأجاب أصحابنا عن ذلك بأن هذين على تقرير ثبوتهما يحتمل أن القتل فيهما بكفر الساحر لوجود أحد النوعين الأولين (وهما عباد الكواكب، وسحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية) أ. هـ.[1].

خلاصة... وتعقيب:

ومما لا شك فيه أن أئمتنا الفضلاء لم يطلع - أكثرهم - على حقيقة السحر لعدم ظهوره إلا في عصورنا المتأخرة بعد تقدم الحياة وإنشاء السجلات المدنية ومعرفة السحرة ببطاقاتهم وغيرها.. وعقد المحاكمات للسحرة.. فنجم عن اعترافاتهم التي أدت إلى معرفتنا حقيقة السحر، والتي أوردناها في هذا الكتاب.

فما رأي الاسلام في إنسان سب الدين والخالق؟ وباع نفسه للشيطان بعقد أبرمه معه؟

ما رأي الاسلام في انسان لا يذكر الله مرة، والله لا يقيم له وزناً، ولا ينفذ له أمراً؟

وبكل تأكيد يمكننا أن نقول في ظل الاعترافات الجديدة للسحرة أمام

---

(١) بتصرف الزواجر (٥٠٥).

المحاكم وحكايتهم وتفاصيل جرائمهم أن الساحر كافر يقتل إن لم يتب والله أعلم .

توبة الساحر:

روي أن امرأة أتت عائشة رضي الله عنها فقالت: إني ساحرة هـل لي من توبة قالت: وما سحرك فقالت: سرت إلى الموضع الذي فيه هاروت وماروت أطلب علم السحر، فقال يا أمة الله لا تختاري عذاب الآخرة بأمر الدنيا، فأبيت فقالا لي اذهبي فبولي على ذلك الرماد فذهبت لأبول عليه ففكرت في نفسي فقلت: لا فعلت وجئت إليهما فقلت: قد فعلت فقالا لي: ما رأيت لما فعلت فقلت: ما رأيت شيئاً فقالا لي اذهبي فاتقي الله ولم تفعلي فأبيت فقالا لي: اذهبي فافعلي: فذهبت وفعلت، فرأيت كأن فارساً مقنعاً بالحديد خرج من فرجي فصعد إلى السماء فجئتهما فأخبرتهما فقالا لي: ذاك إيمانك قد خرج منك قد أحسنت السحر، قلت وما هو قالا لا ترين شيئاً فتصورينه في وهمك إلا كان فتصورت في نفسي حباً من حنطة فإذا أنا بحب فقلت انزرع فانزرع فخرج ساعته سنبلاً فقلت: انطحن فانطحن من ساعته وانخبز وأنا لا أريد شيئاً أصور في نفسي إلا حصل فقالت عائشة ليس لك توبة. أ. هـ.(١).

من الذي يمنع عبداً عن مولاه، ومن الذي يستطيع إغلاق باب الرحمة في وجه البشر فباب التوبة مفتوح لكل كافر، لكل زنديق، لكل زان، لكل قاتل، لكل ساحر، لكل البشر. .

ولن يستطيع أحد من البشر أن يحجب بين العبد وربه ما دام جاء معترفاً ومقراً بحرمه. . . وهو سبحانه وتعالى التواب الرحيم ذو الفضل العميم.

---

(١) أوردها ابن حجر الهيثمي في الزواجر ولم أقف عليها في الصحاح. والظاهر أنها مكذوبة. ولا توافق المنطق المستقيم.

هل يمكن للساحر التخلي عن سحره وفسخ العقد مع الشيطان:

الحق أنه يمكن ذلك، لأن الشيطان خلق ضعيفاً وأنه لا يستطيع التمكن على أولي الطباع المستقيمة خاصة لو كان مسلماً مخلصاً لأنه ليس له على عباد الله من سلطان.

ولقد حدث لواحد من الذين ثابوا إلى رشدهم، وتغلب فيهم عامل الخير على الشر، وصمموا على التخلص من عبودية الشيطان وقطع كل صلة لهم به خصوصاً وأنهم رأوا ولمسوا في المدة القصيرة التي مكثوا فيها تحت سلطانه وفي خدمته كثرة المساوىء والأضرار التي لحقتهم.. وأصابت غيرهم من الأبرياء فعقدوا النية على النجاة من هذا الوضع المشين وهذه الحياة التعسة مهما كانت النتائج...

ويحدثنا التاريخ عن (جيلز) البرتغالي النبيل الذي باع روحه ونفسه للشيطان في سبيل العز والجاه وزيادة المال والانغماس في الإباحية والملذات المحرمة.. وحرر مع إبليس الميثاق المطلوب واستمر في مزاولة السحر ومتابعة طقوسه وحضور حفلاته سبع سنوات حصل خلالها على كل ما أراد إلا حب فتاة قروية بريئة جميلة كانت تعمل ضمن أتباعه فهذه الفتاة الجاهلة الساذجة لم تنفع فيها أعماله السحرية ولم تخضع لتعاويذه وطلاسمه حتى أن الشك بدأ يتسرب إلى نفسه من قدرة الشيطان على الحصول على أي شيء يطلبه الساحر وكان كلما تحدث مع (قرينه) في أمر هذه الفتاة ورغبته في الحصول عليها راوغه القرين ووعده مواعيد باطلة.. ولذا صمم النبيل المذكور على اغتصاب هذه الفتاة بأي شكل كان «شيطان غير شيطان لا يهم». وقبل هذا الميعاد بليلتين رأى هذا النبيل والدته في منامه تحذره من سوء ما سيقدم عليه وأظهرته على شفا هوة عميقة معروفة له واقفاً على حافتها، ومن ورائه الشيطان يضحك ويهم بدفعه إلى هذه الهوة الساحقة.. فهب من نومه مذعوراً منزعجاً وقطع كل صلة بينه وبين الشيطان وحرق ملابسه وهدم معبده وهشم أدواته، وزهد في العالم وأمواله وتنازل عنها للفقراء، وأخذ يكثر من الدعاء والاستغفار وبينما هو في خلوته يتعبد إذ ظهر له فجأة مخلوق بشع

المنظر تظهر على وجهه علامات الغضب والسخط وألقى بصورة العقد في وجه (جيلز) قائلاً بصوت مخيف «إليك عقدك فقد أمرت برده إليك» واختفت هذه الروح الشريرة فجأة، واستمر جيلز على حاله ولم يصب بسوء إلى أن مات بقريته «سانترين» وما زال البرتغاليون يحتفلون بعيده كل عام.

لو عقل الناس لعلموا أن الشيطان لن يستطيع أن يصيبهم بسوء، وعليهم أن يدحضوه ويولوه الأدبار.. ويحدث ذلك ما التزموا بكتاب الله وسنة رسوله فلن يكون هناك من نقف أمامهم... بل ستسبح الدنيا معهم الطير والوحوش والشجر والجبال. والكل يسبح مع المؤمنين بحمد رب العالمين.. ألا ترى أن الجميع جنوده سبحانه..

الباب الخامس

علاج الاسلام للسحر.. وكيف نتقيه؟

علاج الاسلام للسحر.. وكيف نتقيه؟

لقد استطاع الاسلام بمنهجه أن يرقى بالإنسان عن مراتب الحيوانية.. أو الانسانية المجردة إلى مراتب الملائكة التي يصفو عندها قلب المسلم فلا يقع في الموقعات.. فربط الإسلام المسلم برباط وثيق يدفعه من حين لآخر.. وجعل له من حياته من يعظه ويزجره دائماً كلما اقترب من فاحشة أو أقبل على معصية.

ولقد عالج الإسلام دوافع السحر معالجة موضوعية.. فبين مكانة المال عند الإنسان وأنه متاع زائل، والآخرة خير واتقى.. وجعل الأفضلية بالتقوى والعمل الصالح وليست بالمظاهر أو المناصب أو لأصحاب الجاه والسلطان... ورغب في زينة الآخرة وحَلاوتها ورهب في زينة الدنيا جملة...

ثم ذم اتيان العرافين والكهان ـ كما سبق ـ وذم السحر والساحر وعدَّه من أكبر الكبائر.

يقول رسول الله ﷺ:

«اجتنبوا السبع الموبقات (أي المهلكات) قالوا يا رسول الله، وما هن. قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا، وأكل مال

اليتيم والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات ـ المؤمنات الغافلات» أ. هـ. (أخرجه الشيخان عن أبي هريرة).

وقوله:

«وثلاثة لا يدخلون الجنة، مدمن خمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر. .» الحديث تقدم. (وأخرجه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والحاكم في صححه).

هذا. . . وقد وضع الإسلام علاجاً للمسحور. . . ممثلاً في علاج رسول الله ﷺ للسحر الذي سحرته به اليهودية. . وأنزل الآيات الشافيات بإذنه تعالى. . وكون العقيدة عند المسلم الذي لا يذل أمام الهوى ولا يخضع لبريق الحياة.

كما وضع علاجاً للصرع . وبينه من خلال علاج رسول الله ﷺ لعثمان بـن ابي العاص .

كيف نتقيه ؟

اليهودية التي سحرت الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن القيم في الطب النبوي:

«قد أنكر هذا طائفة من الناس، وقالوا: لا يجوز هذا عليه، وظنوه نقصاً وعيباً، وليس الأمر كما زعموا بل هو من جنس ما كان يعتريه ﷺ: من الأسقام والأوجاع وهو مرض من الأمراض، وإصابته به كإصابته بالسم لا فرق بينهما[1].

وقد ثبت في الصيحين، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «سحر رسول الله ﷺ حتى إنه كان ليخيل إليه أنه يأتي نساءه ولم يأتيهن»[2] وذلك أشد ما يكون من السحر.

قال القاضي عياض: «والسحر مرض من الأمراض؟ وعارض من العلل يجوز عليه ﷺ كأنواع الأمراض، لا ينكر ولا يقدح في نبويته.

وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخله في شيء من صدقه، لقيام الدليل والإجماع، على عصمته من هذا.

---

(١) وقد ثبت أن رسول الله ﷺ احتجمه على كاهله، من أجل الذي أكل من الشاة (المسمومة).
(٢) الحديث في صحيح البخاري بشرح الفتح (١٠ ـ ٢٢١).

وإنما هذا فيما يجوز طرده[1] عليه في أمر دنياه التي لم يبعث لسببها، ولا فضل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد: أنه يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان.

والمقصود ذكر هديه في علاج هذا المرض. وقد روي عنه نوعان:

أحدهما: وهو أبلغهما ـ استخراجه وتبطيله: كما صح عنه ﷺ: في مشط ومشاطه، وحف طلعه ذكر، فلما استخرجه: ذهب ما به حتى كأنما نشط من عقال»[2]. فهذا من أبلغ ما يعالج به المطبوب وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة وقلعها من الجسد بالاستفراغ.

النوع الثاني: الاستفراغ في المحل الذي يصل إليه أذى السحر، فإن للسحر تأثيراً في الطبيعة وهيجان أخلاطها، وتشويش مزاجها، فإذا ظهر إثره في عضو، وأمكن استفراغ المادة الرديئة من ذلك العضو نفع جداً.

وقد ذكر أبـو عبيد فـي كتاب «غريب الحديث» بإسناده عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى. «أن النبي ﷺ احتجم على رأسه بقرن حين طب»[3] قال أبو عبيد «معنى (طب) أي: سحر.

وقد أشكل هذا على من قل علمه، وقال: ما للحجامة والسحر؟ وما لرابطة بين هذا الداء وهذا الدواء؟ ولو وجد هذا القائل أبقراط أو ابن سينا أو غيرهما قد نص على هذا العلاج لتلقاه بالقبول والتسليم، وقال: قد نص عليه من لا نشك في معرفته وفضله.

فاعلم أن مادة السحر الذي أصيب به النبي ﷺ انتهت إلى رأسه: إلى

(١) قال محقق نسخة التراث ـ في الأصل: طرده وهو تصحيف.

(٢) المشاطة: الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط، والجف: وعاء طلع النخل وهو الغشاء الذي يكون عليـه، ويطلق عـلى الذكـر والانثى فلهذا قيـده في الحديث «طلعـة ذكر» والطلع: نور النخلة والواحدة طلعة.

(٣) قرن: اسم موضع، وقيل هو قرن ثور جعل كالمحجنة، وقرن البقرة، وشاة قرنـاء وقرنـا الرأس: فودآه أي: ناحيتاه.

إحدى قواه التي فيه بحيث كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله. وهذا تصرف من الساحر في الطبيعة والمادة الدموية: بحيث غلبت تلك المادة على البطن المقدم منه، فغيرت مزاجه عن طبيعة الأصلية.

والسحر مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة، وانفعال القوى الطبيعية منها، وهو سحر التمريجات، وهو أشد ما يكون من السحر، ولاسيما في الموضع الذي انتهى إليه السحر، واستعمال الحجامة على ذلك المكان ـ الذي تضررت أفعاله بالسحر ـ من أنفع المعالجة: إذا استعملت على القانون الذي ينبغي، قال أبقراط: «الأشياء التي ينبغي أن تستفرغ يجب أن تستفرغ من المواضع التي هي إليها أميل، بالأشياء التي تصلح لاستفراغها»..

وقالت طائفة من الناس: إن رسول الله ﷺ لما أصيب بهذا الداء، وكان يخيل اليه إنه فعل الشيء ولم يفعله: ظن أن ذلك عن مادة دموية أو غيرها، مالت إلى وجهه الدماغ، وغلبت على البطن المقدم منه، فازالت مزاجه عن الحالة الطبيعية. وكان استعمال الحجامة ـ إذ ذاك ـ من أبلغ الأدوية، وأنفع المعالجة، فاحتجم، وكان ذلك قبل أن يوحى إليه: أن ذلك من السحر، فلما جاءه الوحي من الله تعالى، وأخبره أنه قد سحر: عدل إلى العلاج الحقيقي، وهو استخراج السحر وإبطاله، فسأل الله سبحانه: فدل على مكانه، فاستخرجه.. فقام كأنما نشط من عقال. وكان غاية هذا السحر فيه إنما هو في جسده وظاهر جوارحه، لا على عقله وقلبه، ولذلك لم يكن يعتقد صحة ما يخيل إليه: من إتيان النساء، بل يعلم أنه خيال لا حقيقتة له، ومثل هذا قد يحدث من بعض الأمراض.. والله أعلم.

ومن أنفع علاجات السحر: الأدوية الالهية، بل هو أدويته النافعة بالذات، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها: من الأذكار والآيات والدعوات التي تبطل فعلها وتأثيرها، وكلما كانت أقوى وأشد: كانت أبلغ في النشرة، وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحد منهما عدته وسلاحه، فأيهما غلب الآخر. قهره وكان الحكم له. فالقلب إذا كان ممتلئاً

من الله، مغموراً بذكره ـ وله من التوجهات والدعوات، والأذكار والتعوذات، ورد لا بخل به يطابق فيه قلبه لسانه ـ: كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له، ومن أعظم العلاجات له بعدما يصيبه.

وعند السحرة: أن سحرهم إنما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة، والنفوس الشهوانية التي هي معلقة بالسفليات؟ ولهذا غالب ما يؤثر: في النساء والصبيان، والجهال وأهل البوادي، ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية، والدعوات، والتعوذات النبوية.

وبالجملة: فسلطان تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة التي يكون ميلها إلى السفليات.

قالوا: والمسحور هو الذي يعين على نفسه، فإنا نجد قلبه متعلقاً بشيء مثيراً لالتفات إليه، فيتسلط على قلبه بما فيه: من الميل والالتفات. والأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبثة، وبفراغها من القوة الإلهية، وعدم أخذها للعدة التي تحاربها بها، فتجدها فارغة لا عدة معها، وفيها ميل إلى ما يناسبها فتسلط عليها، ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره. والله أعلم(1).

فعليك أخي إذا أردت اتقاء السحر.. أن تجلس بعد صلاة العشاء يوماً تكون قد صليتها في جماعة.. ثم تصلي السنة والوتر.. وتقرأ شيئاً من القرآن، ثم تجلس للذكر والدعاء.. وتقرأ المعوذتين (قل هو الله أحد)، و(وآية الكرسي)... وتكثر من الدعاء والاستغاثة.. يكشف الله ما بك ويبطل السحر إن شاء الله».

وقد وضع بعض العلماء طرق لإبطال السحر.. منهم الصبيري المقري في كتابه «الرحمة في الطب والحكمة» ولكنها لا تخلو من الأدوية الالهية كما ذكر ابن القيم في الطب النبوي. ومنها قوله:

---

(١) سورة يونس: ٧٧ ـ ٨١.

(ابطال السحر: قال موسى . . . إلى ﴿ المفسدين ﴾[1]؟ ﴿ وارادوا به كيد فجعلناهم الأخسرين ﴾[2] ﴿ وقدمنا ﴾. إلى ﴿ منثوراً ﴾[3] ﴿ وخسر هنا لك المبطلون ﴾[4] ، ﴿ أعمالهم كسراب بقيعة) إلى (شيئاً ﴾[5] ﴿ فوقع الحق . . صاغرين ﴾[6] ولا حول . . .)[7] .

وقوله: (إبطال السحر: قال العنهاجي رحمه الله: من كتب في ورقة صفراء خمس لامات وخاد، وأضاف إليهم «وقل جاء الحق) . . . إلى (زهوقاً ﴾[8] ونجمه ليلة واحدة وعلقه على من به سحر يبطل سحره بإذن الله»[9] أ. هـ.

ولا يخفى عليك أنه كلما كان الانسان قريباً من الله كان عجز الساحر في الحاق الضرر به، فالنفس القوية المؤمنة قاهرة للشيطان ولأعماله. . ولذا فيمكننا أن نقول أن الوقاية من السحر تكون بطاعة الله وخشيته والالتزام على نهج الاسلام. . والبعد عن معصيته.

---

(١) الطب النبوي (١٩٧١) طـ التراث.
(١) سورة يونس: ٧٧ ـ ٨١.
(٢) سورة الأنبياء: ٧٠.
(٣) سورة الفرقان: ٢٣.
(٤) سورة غافر: ٧٨.
(٥) سورة النور: ٣٩.
(٦) سورة الأعراف: ١١٧ ـ ١١٩.
(٧) الرحمة في الطب والحكة (١٣٤) للصبيري المقري وهذا الكتاب نسب للسيوطي خطـأ الحلبي.
(٨) سورة الإسراء: ٨١.
(٩) الرحمة في الطب والحكمة (١٣٥).

علاج الصرع

سبق أن قلنا أن القرين حينما تواتيه فرصة الهرب فإنه يهرب من الساحر ويدخل جسد طفل أو رجل أو امرأة.

والقرين روح خبيثة. كما تقدم . . . وقد علم ذلك عنه من خلال اعترافات السحرة عند محاكمتهم . . ولكن علماء الاسلام أدركوا بعض المعرفة عن الصرع ويوضحها ما جاء في السنة من علاج رسول الله ﷺ لحالات الصرع.

وفي الحديث ما أخرجناه في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح قال: قال ابن عباس: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وأني أتكشف، فادع الله لي. فقال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله لك أن يعاقبك ـ فقالت: أصبر. قالت: فإني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها» أ. هـ.

«وعلاج هذا يكون بأمرين: أمر من جهة المصروع، وأمر من جهة المعالج فالذي من جهة المصروع، يكون بقوة نفسه، وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان فإن هذا نوع محاربه والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدو بالسلاح إلا بأمرين: أن يكون السلاح صحيحاً في نفسه جيداً، وأن يكون الساعد قوياً، فمتى تخلف أحدهما لم

يغن السلاح كثير طائل، فكيف إذا عدم الأمران جميعاً: يكون القلب خراباً من التوحد والتوكل والتقوى والتوجه، ولا سلاحٍ له؟!

والثاني من جهة المعالج: بأن يكون فيه هذا الأمران أيضاً، حتى اية من المعالجين من يكتفي له بقوله: أخرج منه، أو يقول باسم الله، أو يقول: لا حول ولا قوة إلاّ بالله.

والنبي ﷺ، كان يقول: «اخرج عدو الله، أنا رسول الله» أ. هـ.[1].

وشاهدت شيخنا[2]: يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه، ويقول: قال لك الشيخ: أخرجي فإن هذا لا يحل لك، فيفيق المصروع وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردة، فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع، ولا يحس بألم، وقد شاهدنا ـ نحن وغيرنا ـ منه ذلك مراراً.

وكان كثيراً ما يقرأ في أذن المصروع «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً، وإنكم إلينا لا ترجعون﴾[3].

وحدثني: أنه قرأها مرة في أذن المصروع، فقالت الروح: نعم، ومد بها صوته. قال: فأخذت له عصا، وضربته بها في عروق عنقه، حتى كلت يداي من الضرب، ولم يشك الحاضرون: بأنه يموت لذلك الضرب، ففي أثناء الضرب،

---

(١) الحديث رواه ابن ماجه والحاكم، وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد. ولفظ ابن ماجه «عن عثمان بن أبي العاص قال: لما استعلمني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلى، فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ فقال: ابن أبي العاص؟ قلت نعم: يا رسول الله. قال: ما جاء بك؟ قلت: يا رسول الله عرض لي شيء في صلواتي، حتى ما أدري ما أصلي. قال: ذاك الشيطان. أدنو فدنوت منه، فجلست على صدور قدمي. قال: فضرب صدري بيده، وثفل في فمي وقال: اخرج عدو الله» ففعل ذلك ثلاث مرات. ثم قال: الحق بعملك» قال، فقال عثمان: فلعمري. ما أحسبه خالطني بعد» ا. هـ. محقق نسخة التراث د. عبد المعطي قلعجي، هامش ١٣٧).

(٢) هو شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) ١١٥: المؤمنون.

قالت: أنا أحبه، فقلت لها هو لا يحبك. قالت: أنا أريد أن أحج به، فقلت لها: هو لا يريد أن يحج معك، فقالت: أنا أدعه كرامة لك، (قال) قلت: لا، ولكن: طاعة لله ولرسوله، قالت: فأنا أخرج منه.

قال: فقعد المصروع يلتفت يميناً وشمالاً، وقال: ما جاء بي إلى حضرة الشيخ، قالوا له: وهذا الضرب كله؟ فقال: وعلى أي شيء يضربني الشيخ، ولم أذنب؟ ولم يشعر بأنه وقع به الضرب البتة.

وكان يعالج بآية الكرسي، وكان يأمره بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه بها، وبقراءة المعوذتين.

وبالجملة: فهذا نوع من الصرع وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم، والعقل والمعرفة. وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله، يكون: من جهلة قلة ونهم وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ، والتحصينات النبوية الايمانية، فتلقى الروح الخبيثة، أعزل لا سلاح معه، وربما كان عرياناً: فيؤثر فيه هذا»[1].

وكان العلامة ابن القيم قد قسم الصرع إلى نوعين..

النوع الأول: صراع الأرواح الخبيثة وهو موضوعنا.

أما النوع الثاني: فهو صرع من الأخلاط الرديئة.. وهو الذي يتكلم الأطباء في سببه وعلاجه. وقد يكون لأسباب منها: ريح غليظ يحتبس في منافذ الروح، أو بخار رديء يرتفع إليه عن بعض الأعضاء أو كيفية لاذعة.

وبالجملة.. فهو اضطراب في الوظائف المخية، وعادة يصاحب باضطراب الاحساس وينتج عن ذلك كله أن ينقبض الدماغ لدفع المؤذي، فيتبعه تشنج في جميع الأعضاء، ولا يمكن أن يبقى الانسان معه منتصباً، بل يسقط، ويظهر في فيه الزبد غالباً والله أعلم.

---

(١) الطب النبوي (١٣٩) ط التراث.

من الأدوية الإلهية

من هذه الأدوية الالهية التي يجب أن يتداوى بها المصاب بالسحر قطوف رأينا أن نقف عليها إتماماً للفائدة والمنفعة بها إن شاء الله.

أدوية عامة:

هذه الأدوية هي تحصين الانسان لترقى سريرته ويعتلي قدره، فلا يستطيع الشيطان التأثير عليه فالتأثير. كما ذكرنا حتى في السحر يتفاوت من إنسان لآخر حسب قوة إيمانه ودرجته عند مولاه.. وإذا أكثر الانسان من ذكر الله، وإذا اتبع منهجاً في حياته.. ارتقى بنفسه ونأى بها عن الشيطان وأهله ومنها:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مره لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه».

وفي صحيحه أيضاً عن ابن مسعود قال: «كان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أمسى قال: أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب النار، وعذاب القبر، وإذا أصبح قال أيضاً: أصبحنا وأصبح الملك لله».

وفي السنن عن عبد الله بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: «قل: قلت يا رسول الله ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد، والمعوذتين، حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء» قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي الترمذي أيضاً عن أبي هريرة «أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه: يقول إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا وبك نحيا، وبك نموت وإليك النشور، وإذا أمسى فليقل: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا، وبك نموت وإليك المصير». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي صحيح البخاري عن شداد بن أوس وعن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة» أ. هـ.

وفي الترمذي عن أبي هريرة «أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله ﷺ: مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن نقترف سوءاً على أنفسنا» أ. هـ. قال الترمذي حديث حسن صحيح.

وفي الترمذي أيضاً عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ـ ثلاث مرات ـ فلا يضرها شيء» قال الترمذي: حديث صحيح.

وفي الترمذي أيضاً عن ثوبان وغيره أن رسول الله ﷺ (قال: «من قال حين يمسي وإذا يصبح: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً» كان حقاً على الله أن يرضيه) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

النوم:

في الصحيحين عن حذيفة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال: باسمك اللهم أموت وأحيا، وإذا استيقظ من منامه قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».

وفي الصحيحين أيضاً عن عائشة (أن النبي ﷺ: كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما يقرأ فيهما ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات».

الأرق والفزع في النوم والفكر:

في الترمذي عن عبد الله بن عمرو «أن رسول الله ﷺ: كان يعلمهم من الفزع كلمات: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» أ. هـ. قال الترمذي: حسن غريب وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب إلى أبي داود والنسائي والحاكم.

في الرؤيا يكرهها:

في صحيح مسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم الرؤ يا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً وليتحول عن جنبه الذي كان عليه» أ. هـ.

في الخروج من البيت:

في السنن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ من قال يعني إذا خرج من بيته ـ: بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت وهديت، وتنحى عنه الشيطان، فيقول الشيطان للآخر: كيف لك برجل قد هوى وكفى ووقى؟.» أ. هـ.

دخول البيت:

في صحيح مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالـى عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت فإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء».. أ. هـ.

دخول المسجد والخروج منه:

في صحيح مسلم أيضاً عن أبي حميد أو أبي أسيد قال: قال رسول الله ﷺ «إذا دخل أحدكم إلى مسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك» أ. هـ.

الأذان:

في صحيح البخاري عن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة» أ. هـ.

أذكار الاستفتاح:

في الصحيحين أن النبي ﷺ يقول في استفتاحه: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد» أ. هـ.

وفي سنن أبي داود عن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله ﷺ قال «الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلا (ثلاثاً) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من نفخه ونفثه وهمزه» أ. هـ. قال: نفثة الشعر، ونفخة الكبر، وهمزة الموتة[1].

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض، ومن فيهن ولك الحمد أنت قيام السموات والأرض، ومن فيهن، ولك الحمد، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، أنت الهي لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك» أ. هـ.

---

(١) «هي واو ساكنة غير مهموزة؛ الجنون. قال الصغاني في العباب: الشعر نفثاً لأنه كالشيء ينفث من الفم كالرقية، وسمي الكبر نفخاً لما يوسوس إليه الشيطان في نفسه ليعظمها عنده ويحقر الناس في عينه حتى يدخله الزهو، وهمزات الشيطان خطراتها التي تخطرها بقلب الأنسان» ا. هـ. محمد منير الدمشقي في تعليقه على الوابل الصيب (٣٩) طـ مكتبة القاهرة.

الكرب والغم والحزن والهم:

في الصحيحين عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض» .

وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا حز به أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث» أ. هـ.

وفيه أيضاً عن أبي هريرة «أن النبي ﷺ كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال: سبحان الله العظيم، وإذا اجتهد في الدعاء قال: يا حي يا قيوم».

وفي سنن أبي داود عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: «دعوات المكروب، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت» ا. هـ.

وفي السنن أيضاً عن اسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات تقوليهن عند الكرب ـ أو في الكرب؟ الله ربي لا أشرك به شيئاً» . وفي رواية : أنها تقال سبع مرات أ . هـ .

وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال رسول الله ﷺ: دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له) أ. هـ.

وفي رواية له «إني لأعلم كلمة لا يقر لها مكروب إلا فرج الله عنه، كلمة أخي يونس عليه السلام» أ. هـ.

وفي مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ «ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال: اللهم إني أعبدك ابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني

وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً» أ. هـ.

لقاء العدو ومن يخاف سلساناً:

في سنن أبي داود والنسائي عن أبي موسى: «أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم».

ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان يقول عند لقاء العدو: اللهم أنت عضدي وأنت ناصري وبك أقاتل».

وعنه ﷺ «أنه كان في غزوة فقال: يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك أستعين» قال أنس: «فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ومن خلفها» أ. هـ.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إذا خفت سلطاناً أو غيره فقل: لا إله إلا الله الحكيم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، لا إله إلا أنت عز جارك، وجل ثناؤك» أ. هـ.

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال «إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم» أ. هـ .

الذكر الذي يرقى به من اللسعة واللدغة وغيرهما:

في صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول: إن أباكما ابراهيم كان يعوذ بها اسماعيل وإسحاق أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة» .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رقى لديغاً بفاتحة الكتاب، فجعل ينقل عليه ويقرأ «الحمد لله رب

العالمي» فكأنما نشط من فانطلق يمشي وما به قلبه»[1] أ. هـ.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: «إن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله: يمسح بيده اليمنى ويقول: اللهم رب الناس، اذهب البأس واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاءك، شفاء لا يغادر سقماً» أ. هـ.

الدخول بالزوجة:

في الصحيحين عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان، رزقتنا، فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً» أ. هـ.

الفاتحة:

أخرج أحمد والبخاري والدارمي وأبو داود والنسائي والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد بن المعلي قال: كنت أصلي فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه حتى صليت ثم أتيت فقال: ما منعك أن تأتيني فقلت: كنت أصلي فقال: ألم يقل الله «استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم» ثم قال: ألا أعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد فأخذ بيدي فلما أردنا أن يخرج قلت: يا رسول الله: إنك قلت ألا أعلمنك أعظم سورة في القرآن قال: الحمد لله رب العالمين، وهي السبع المثلى والقرآن العظيم الذي أوتيته» أ. هـ.

آية الكرسي:

أخرج النسائي والطبراني بأسانيد أحدها: ومن قرأ آية دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» أ. هـ. وزاد الطبراني في بعض طرقه «وقل هو الله أحد».

---

(١) وراه أصحاب السنن الأربع، وفي رواية الترمذي فقرأت عليه «الحمد لله رب العالمين» سبع مرات، وفي رواية له وللنسائي وابن ماجه أن أبا سعيد هو الذي رقاه.. واللديغ الذي لدغته الحية أو العقرب وأصابته بسمها، والقلبة بفتح القاف واللام والباء: الوجع قال الفراء: معناه ليست به علة يخشى منها عليه، وهو مأخوذ من قولهم: قلب الرجل إذا أصابه وجع في قلبه ليس يكاد يفلت منه.

وأخرج البيهقي عن أنسى رضي الله عنه: «من أدبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي حفظه الله تعالى إلى الصلاة الأخرى»

وأخرج الطبراني عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن النبي ﷺ «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت».

سورة الاخلاص:

أخرج مسلم عن أبي الدرراد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله جزأ القرآن» ا. هـ[1].

سورة يس:

أخرج الطبراني من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له من ذنبه فاقرؤ ها عند موتاكم» وكذا عن معقل به يسار رضي الله عنه.

المعوذتان:

وأخرج الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها القرآن عشر مرات» ا. هـ.

أخرج الترمذي والنسائي: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الانسان حين نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما» ا. هـ.

وأخرج مسلم والترمذي والنسائي: ﴿ أقرأ قل أعوذ برب الفلق ﴾ فإنك لن تقرأ بسورة أحب إلى الله وأبلغ عنده منها فإن استطعت أن لا تفوتك فافعل.

لن تقرأ شيئاً أبلغ عند الله من قل أعوذ برب الفلق . هـ.

(١) بتشديد الزاي المعجمة بمعنى قسمة ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزء من أجزاء القرآن وجه كونه يجوز أن يكون باعتبار الثواب يعني أن الله تعالى يعطي قارىء ثلث القرآن من غير تضعيف أجر. . . كذا ذكره النووي وقيل: أن القرآن على ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وصفات الله تعالى. وقل هو الله أحد أحد هذه الثلاثة وهو صفات الله تعالى» كذا ذكره ابن مالك في شرح المشارق أ. هـ .

القسم الثالث

إبليس

التنظيم الإداري للدولة الإبليسية من خلال القرآن والسنة

الباب الأول

الناس في زماني

الناس في زماني... انخدعوا بمظاهر كاذبة... وانجذبوا لبريق واه... وضلال زائف.. فرفعوا شعار العزة والتقدم.. وهم الأذلاء... الأغبياء... الذين ضحك عليهم الشيطان فلاهم إلى المجد قادمون... ولا إلى الحضارة ناظرون... بل إلى التأخر القاطع والجهل المعجز، والافلاس المهلك... إلا من رحم الله.

الناس في زماني... قلدوا دون وعي... وصوروا دون إدراك... فإذا ما صنع الغربيون صنعة صنعوها، فإذا تركوها خلعوها... وإذا ما سب الغرب شيئاً سبوه... وإذا ما حمدوه فضلوه... ليس لهم فكر يحكمهم... ولا سمة عامة... ولا آصالة تحدد مسيرتهم... فإلى التقليد يا قوم... لا إلى الأصالة» ذلك نداؤهم... وهذا شعارهم... فخاب مسعاهم ووهنت حجتهم... وخرج أبناؤهم ضياعاً عند مفترق الطرق... إلا من رحم الله...

الناس في زماني... ينامون على فيلم... ويصبحون على سيجارة. ويأكلون كرة القدم... ويتحدثون بأهل الفن في الطرقات... وعلى مكاتب الأعمال... وفي الازقة، والرحلات لا هم لهم... ولا شاغل عندهم... ولا قضية في حياتهم... إلا اللهو... وفرحة القلب وبشاشة الوجه... والوجوه الحسناء... والأيدي الناعمة... والبطون المهتزة... والأدوار الخلابة...

والبطولة القديرة... والهدف المسدد... فلا آمال لتحقيقها... ولا غايات لنيلها... ولا أخلاق لاكتسابها... فضاعوا... ثم ضاعوا... إلا من رحم الله.

الناس في زماني... يقدسون الأموال... ويبيعون الشرف والعرض... بل الحياء والإباء... ويتحللون من وعد... وينقضون العهد... ويكذبون، وينافقون... ويثرثرون ولا ينامون ليلهم... ويسعون طوال نهارهم... في نكد وكد وتعب ونصب... رغم إدراكهم زواله... وبقاء أخلاقهم وأعمالهم... فلم يعد عندهم وقت لله... أو التفكر في خلقه... أو لوزن نفوسهم وذاتهم... أين هي ولما...؟... فتحولوا دون أن يدركوا إلى نفوس غير آدمية... لا تعرف الرحمة... ولا تدري الاحساس... ولا تفهم الحنان... ولا تقدر الظروف... إلا من رحم الله.

الناس في زماني... ينظرون إلى أهل الصلاح بنظرات السوء... يتقولون عليهم الأقاويل... يقذفونهم بالسب... ويرمونهم بالتهم... لأنهم وزنوا الأمور بميزان الباطل... فاستحوذ عليهم الشيطان... فسلط الله عليهم المشكلات، وضيق عليهم في الأرزاق. ومكن منهم الحطام... ينهمون أقوالهم تحت شعارات زائفة... ثم يخرجون إلى المنابر لإعلان الفرج بالخير وقدومه... والوصول إلى النور... ولكنهم في الظلام قادمون... فكفى يا قومنا كفى وألف كفى...

وأنجح سبيل... وأقوم طريق... طريق رب العباد.. عنده لا تذل، وعليه لن تهلك... فمعك الله...

لقد أغر الشيطان الناس في زماني... كعادته في كل زمان... ولكن كان في هذا الزمان أكثر أغواء...

ولكن... ليعمل الناس... وليعلموا أنهم بذاتهم يستطيعون إدراك بعض أسرار الكون والتعلم منه... فيتقوا ربهم... ويقهروا هواهم... فإننا حينما نعرض لفساد الناس في زماننا لا ننكر قيمتهم... بل لهم مكانة وقيمة...

يستطيعون بها تحقيق ذواتهم ، والإقبال على الله .

فإننا لو أنكرنا مكانة الانسان وجمدنا قيمته، لم يبق لنا شيء في الأرض نلوذ به ونأسى إليه من وحشة الصمت المطلق والسكون المطبق، والبكم والصمم، والعمي التي تغمر غيره من كائنات لم تدع في الحياة حديثاً مفهوماً عن غايات الحياة. . . وإنني ما أبصرت شيئاً غيره تعمق معه الحياة وتتسع وتتركب وينبوع الاحساس بها، ولولاه لكنت صندوقاً أبكم فارغاً إلا من معاني غرائز معطلة، وتجارب شهوات قليلاً ما تتحرك. . . ولا ضطربت بي مجهولات الكون كغريق يطفو على الأمواج.

إن كل شيء في الطبيعة صامت جامد لا يعطي جواباً عن غايات الحياة إلا هذا النوع. . . فمن قلبه وعقله تنبثق المعاني المكتومة المسجونة في أطواء المواد والقوى. . . وفي بيانه أصوات ربطت الكون كله، ولاءمت بين نسبه المختلفة، ولخصته واختزلته ووضعته أمام الفكر ملموساً. .

وفيه نغمة مفهومة رقيقة وسط صخب الأمواج التي لا عدد لها في البحار، والهبوات التي لا عدد لها في الأجواء.

إنه مشبوب الحاجة وأتمها، واسع الآمال والخيال في تشكيل المواد وتنويعها وتصريفها وتسخيرها والاحتفاء بكل سر فيها.

لقد استمرت الأرض من قبله جامدة لا يتغير فيها شيء إلا الدورات الابدية المكررة، وبدا من الطبيعة أن كل شيء فيها كان ينتظر وجود هذا النوع ليقول لفكره ويده. . هأنذا لكما!

وما زالت المرآة التي فيه، وهي عقله تنطبع فيها صور الكائنات واحداً وراء الآخر، وهو يحولها وينقلها من عالم الجماد والصمت، إلى عالم الأسماء والبيان والصور والتعبير.

وما زال يدور حول ظواهر المادة وصورها وأشكالها، ويحللها وينبش فيها ويسد أغوارها، حتى وصل إلى عالم الذرة والكهارب والأثير.

وهو الآن يجري اختباراته وتحليلاته على هذه الأصول الأولى لمادة ليكتشفها أو يرفعها . . . ويتحكم في إخراج أنواعها، بعد أن وصلت يده إلى مفاتيح توجيهها .

إنه تعمق في عالم الأجسام والقوى حتى وصل إلى مصادر الحياة الآلية ومادة الوجود الأولية ، وتعمق في عالم المعاني والأفكار حتى وصل إلى الخفقات الروحية العليا ، والرياضيات العليا التي قام عليها تخطيط الطبيعة وهندستها .

وإنه ليركب ما في الكون من المعاني كما يركب ما فيه من مواد ، فيقيم الكتب العامرة ، والمقالات الحكيمة، والصلوات المطهرة، والالحان الساحرة، كما يقيم القصر الكامل الجميل، والصرح المشيد، والقاطرة والطائرة والباخرة، والصواريخ المنطلقة العابرة والأقمار الصناعية الدائرة. . .

وإنه ليسافر بفكره في الآفاق العليا كما يسافر بصوته وصورته صندوقي الراديو والتليفزيون. وهكذا هو يتوجه في عالم المادة والقوى العمياء. . كما يتوجه في عالم الروح الداعي، والفكر المميز المبصر الحاكم.

وهكذا هو رباط بين العالم الساكن الخفي، وبين العالم المتحرك المرئي مركزه فيها، ولنعطيه من تاريخه مصباحاً يرى به نفسه، أن الله أسلمه الأرض، وليس فيها شيء معقد التركيب غير الأجسام العضوية الحية، وهي أجسام، وأجسام الحيوان، والنبات.

أما الجوامد فاسلمها إليه بسيطة في صورها الأولى وخاماتها البكر، فما زال يدور حولها ويعبث فيها، وينبش ويخرج أسرارها واحداً بعد آخر، حتى حدثته أخبارها وأخرجت له أثقالها . . . واستفاد من تجاربه فيها عقله ـ والعقل هو حفظ التجارب والحكم بمقتضاها ـ وعلمه ووثائق فكره وعمله .

وكلما أنماها وعقد نحوها، أنمت هي فكره وعقدته ـ والتجاوب بين المادة والفكر قانون ـ حتى ملأ الأرض بما ولده منها، وأخرجه من كوامنها، وشاء الله أن تكون قوة الكفر في الإنسان لا حد لها، فصارت تخاريج المادة وفروقها وتمايزها لا حد لها»(١) .

(١) اؤمن بالإنسان ـ للأستاذ عبد المنعم خلاف، ط المجلس الأعلى(٤٠).

فليته يفيق ويدرك. . . وليته يندم على ما فاته من قبل. . . وليته يطهر من أخوه في الدنيا. . . فهلم أيها الإنسان إلى المجد الحقيقي، إلى العمل مقترن بالالتزام. . . هلم إلى ترك الرذائل والخبائث واللهو لتصل إلى ما وصل إليه الغربيون في زماننا متوكلا على الله.

فما في بلادنا ـ نحن المسلمين ـ مشكلات، وإنما نحن الذين أوجدناها بأعمالنا فلنرجع ولنعود. . . ولنحارب هذا الإبليس اللعين. . . ولننظر إلى الحياة نظرة من جديد. . . فننظر إلى الآلات لنتعلم منها، وإلى الكون لنسجد لله. . .

لست أدرى متى يفيق الإنسان لنفسه، ويعني بوضعه وتحولات حياته، كما يعنى بمستقبل المواد والقوى؟ ويربط ما بينه وبين الله مفيض الفكر والحياة، كما يربط ما بين نفسه وأجزاء الأرض؟!

إن الآلة لا تدركه وهو يعمل فيها ويقوم عليها، وهي لا ترحمه من السحق أو البتر أو الصعق إذا تعرض لها جاهلاً بقوانين سيرها، فلا قلب فيها ولا فكر، ولا حياة دم وعصب وروح، ولكن ما باله هو لا يفكر في الاتصال من أنشأه وركبه ونسقه وصوره، وهو ذو الفكر والروح والوجدان والنزوع والإرادة والاختيار والتطلع والحذر والقدرة.

إن الاستسلام لغيبوبة الحياة الآلية ضياع وتطبع بطبع الحديد البليد الأعمى الدائر في غير وعي وإحساس. وأخوف ما يخاف على الإنسان أن يترك هكذا فريسة وضحية للآلات والماديات يعيش معها وحدها، ويقدم لها وقودها إلى أن يفنى وقود حياته وينطفىء مصباحه، ويذهب إلى ظلمة القبور بدون بصيرة روحية منيرة، يسعى نورها بين يديه في العالم الباقي غير المنظور.

وأخيراً ينبغي أن تنشط في الناس دعوات إلى الأحساس بالنفس واليقظة الدائمة لها، وهذا لا يكون إلا بالدين والفن الرفيع: الدين العقلي الطبيعي المبني على إسلام النفس لله البارىء وللطبيعة الاستاذة أو الفن الرفيع الذي يخلق جواً يحضر للقلب بعض المعاني الغائبة التي ترى الإنسان وضعه الممتاز الفريد الطليق، وسط ما في الكون من المواد والقوى والمخلوقات السجينة!

تلك المعاني التي تتراءى وراء بيان ذوي البيان النظيف، وألحان ذوي الأصداء البعيدة، وعيون ذوي الصفاء والإدراك!

ليت الناس في زماني يعودون إلى ربهم... فيحاربوا الشيطان الذي أعد لهم كثيراً من أدوات الحروب... ليتهم يعقلون لها، ويفطنون لمداخله ومصايده ومكايده... ويضعونه دائماً نصب أعينهم... ويعملون عمله في دنياهم... ليتهم يحسنون هذه المعرفة.

الباب الثاني

عصيان ابليس

قال تعالى:

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، والجان خلقناه من قبل من نار السموم، وإذا قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، فسجد الملائكة كلهم أجمعون، إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين ﴾[١].

وقال:

﴿ وإذا قلنا للملائكة أسجدوا لآدام فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونه وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ﴾[٢].

محاجة إبليس:

ولكن الحق سبحانه وتعالى سأل إبليس ـ الذي كان بين الملائكة وقد خلق من النار وهو من الجن ـ سأله عن السبب الذي منعه من السجود إذ أمره، فاحتج

---

(١) الحجر من (٢٦ ـ ٣١)

(٢) الكهف (٥٠)

بأنه أفضل من آدم الذي خلقه من طين من صلصال من حمأ مسنون، وإن من الظلم أن يخلق هو من عنصر النار الذي هو أشرف من الطين ثم يؤمر بالسجود لتلك الكتلة، ونسب الله تعالى إلى الظلم، وأبدى غاية التكبر، فاعلمه الله بأنه من أهل النار لاستكباره، وبأنه مطرود من الجنة، لذلك السبب وهو الكبر.

انظار إبليس:

ولكنه بتكبره وتعنته... طلب من المولى سبحانه أن ينظره إلى يوم الدين، وتوعد آدم الذي طرد بسببه من الجنة بأنه يغوي ذريته ويفسدهم على الله، وأن يسعى في أن يجعل أكثرهم غير شاكرين لله، إلا عباد الله المخلصين، فوعده الله هو ومن أطاعه من ذرية آدم النار.

فقال تعالى:

﴿ قال: ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك، قال أنا خير منه خلقتني من نار، وخلقته من طين، قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين، قال أنظرني إلى يوم يبعثون، قال إنك من المنظرين، قال فبما أغويتني لأقعدنه لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ولا تجد أكثرهم شاكرين، قال أخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿ قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين، قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمـأ مسنون، قال فاخرج منها فإنك رجيم، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين، قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين، إلى يوم الوقت المعلوم، قال رب بما أغويتني لأزين لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين،

---

(١) الأعراف من (١٢ ـ ١٨).

إلا عبادك منهم المخلصين، قال هذا صراط عليَّ مستقيم، إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من تبعك من الغاوين، وأن جهنم لموعدهم أجمعين ﴾[1].

وقال في سورة الإسراء:

﴿ وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً، قال أرأيتك هذا الذي كرَّمت عليَّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلا قليلاً، قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً، واستفزز من استطعت منهم بصوتك، واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد، وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً ﴾[2].

وفي صورة ص:

﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين، قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، قال فاخرج منها فإنك رجيم، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين، قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون، قال إنك من المنظرين، إلى يوم الوقت المعلوم، قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين ﴾[3].

خروج آدم من الجنة:

قال تعالى:

﴿ ويا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من

(١) الحجر: من (٣٢ - ٤٣)
(٢) الإسراء: من (٦١ - ٦٤)
(٣) ص (٧٣ - ٧٥).

الخالدَين، وقاسمهما إني لكما من الناصحين، فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين، قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، قال أهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾[1].

وقال في سورة طه:

﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً، وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى، فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى، إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى، وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى، فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى، ثم أجتباه ربه فتاب عليه وهدى، قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾[2]

الوسوسة: حديث النفس والصوت الخفي، وبه سمي صوت الحلى وسواساً، ورجل موسوس بكسر الواو، ولا يفتح فإنه لحن، وإنما قيل له: موسوس: لأنه نفسه توسوس إليه، قال تعالى:

﴿ ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾.

وعلم عدو الله أنها إذا أكلا من الشجرة بدت لهما عوراتهما، فإنها معصية والمعصية تهتك ستر ما بين السوأة الباطنة والظاهرة، ولهذا رأى النبي ﷺ في رؤ ياه الزناة والزواني عراة بادية سوآتهم، وهكذا إذا رؤ ي الرجل أو المرأة في منامه مكشوف السوأة فإنه يدل على فساد دينه، قال الشاعر:

إني كأني أرى من لاحياء لـه ولا أمانة وسط النـاس عريـاناً

فإن الله سبحانه أنزل لباسين: لباساً ظاهراً يواري العورة ويسترها، ولباساً

---

(١) الأعراف: (١٩: ٢٥)

(٢) طه: من (١١٦: ١٢٣).

باطناً من التقوى، يجمل العبد ويستره، فإذا زال عنه هذا اللباس انكشفت عورته الباطنة، كما تنكشف عورته الظاهرة بنزع ما يسترها. ثم قال بعضها: ـ

قال: ﴿ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين ﴾.

أي: إلا كراهة أن تكونا ملكين، وكراهة أن تخلدا في الجنة، ومن ها هنا دخل عليهما لما عرف أنهما يريدان الخلود فيها، وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم، فإذا عرفه استعان بها على العبد، ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك علم إخوانه وأولياءه من الانس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضاً أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه، فإنه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول من غيره، فالباب عليه مسدود، وهو عن طريق مقصده مصدود.

فشام عدو الله الأبوين، فأحسن منهما إيناساً وركوناً إلى الخلد في تلك الدار في النعيم المقيم فعلم أنه لا يدخل عليها من غير هذا الباب، فقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين.

وكان عبد الله بن عباس يقرؤها ملكين بكسر اللام، ويقول: لم يطعما أن يكونا من الملائكة، ولكن استشرقا أن يكونا ملكين فأتاهما من جهة الملك، ويدل على هذه القراءة قوله في الآية الأخرى.

﴿ قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد، وملك لا يبلى ﴾.

وأما على القراءة المشهورة فيقال: كيف أطمع عدو الله آدم عليه السلام أن يكونا بأكله من الشجرة من الملائكة، وهو يرى الملائكة لا تأكل ولا تشرب؟ وكان آدم عليه السلام أعلم بالله وبنفسه وبالملائكة من أن يطمع أن يكون منهم بأكله، ولاسيما مما نهاه الله عز وجل عنه؟

فالجواب: أن آدم وحواء عليهما السلام لم يطمعا في ذلك أصلاً، وإنما كذبهما عدو الله وغرهما، وخدعهما بأن سمى تلك الشجرة شجرة الخلد، فهذا أول المكر

والكيد، ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها، فسموا الخمر، أم الأفراح، وسموا أخاها بلقيمة الراحة، وسموا الربا بالمعاملة، وسموا المكوس بالحقوق السلطانية، وسموا أقبح الظلم وأفحشه شرع الديوان، وسموا أبلغ الكفر، وهو تجريد صفات الرب، تنزيهاً، وسموا مجالس الفسوق مجالس الطيبة فلما سماها شجرة الخلد قال: ما نهاكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تأكلا منها فتخلدا في الجنة ولا تموتا فتكونان مثل الملائكة الذين لا يموتون، ولم يكن آدم عليه السلام قد علم أنه يموت بعد، واشتهى الخلود في الجنة، وحصلت الشبهة من قول العدو، وأقسامه بالله جهد إيمانه، أنه ناصح لهما، فاجتمعت الشبهة والشهوة، وساعد القدر، فأخذتهما حسنة الغفلة واستيقظ لهما العدو، كما قيل: -

واستيقظوا وأراد الله غفلتهم لينفذ القدر المحتوم في الأزل

إلا أن هذا الجواب يعترض عليه قوله: ﴿أو تكونا من الخالدين﴾

فيقال: الماكر المخادع لا بد أن يكون فيما يمكر به ويكيد من التناقض والباطل ما يدل على مكره وكيده، ولا حاجة بنا إلى تصحيح كلام عدو الله، والاعتذار عنه، وإنما يعتذر عن الأب في كون ذلك راج عليه ودلج سمعه، فهو لم يجزم لهما بأنهما إن أكلا منها صارا ملكين، وإنما ردوا لامر بين أمرين: أحدهما ممتنع، والآخر: ممكن، وهذا من أبلغ أنواع الكيد والمكر، ولهذا لما أطعمه في الأمر الممكن جزم له به ولم يردده، فقال:

﴿يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾.

فلم يدخل أداة الشك ها هنا كما أدخلها في قوله:

﴿إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ فتأمله، ثم قال: ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾.

فتضمن هذا الخبر أنواعاً من التأكيد:

احدهـا: تأكيده بالقسم:

الثاني: تأكيده بأن.

الثالث: تقدم المعمول على العامل، إيذاناً بالاختصاص، أين نصيحتي مختصة بكما، وفائدتها إليكما لا إلي.

الرابع: اتيانه باسم الفاعل الدال على الثبوت واللزوم، دون الفعل الدال على التجدد.. أي النصح صفتي وسجيتي ليس أمراً عارضاً لي.

الخامس: اتيانه بلام التأكيد في جواب القسم.

السادس: أنه صور نفسه لهما ناصحاً من جملة الناصحين، فكأنه قال لهما: الناصحون لكما في ذلك كثير، وأنا واحد منهم، كما نقول لمن تأمره بشيء: كل أحد معي على هذا وأنا من جملة من يشير عليك به.

سعى نحوها حتى تجاوز حده وكثر فارتابت، ولو شاء قللا

وورث عدو الله هذا المكر لأوليائه وحزبه عند خداعهم للمؤمنين كما كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا جاؤوه.

﴿ نشهد أنك لرسول الله ﴾(١).

فأكدوا خبرهم بالشهادة وبان وبلام التأكيد، وكذلك قوله سبحانه:

﴿ ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ﴾(٢).

ثم قال تعالى: ﴿ فدلاهما بغرور ﴾.

قال أبو عبيدة: خذلهما وخلاهمـا، من تدلية الدلو، وهو إرسالها في البئر وذكر الأزهري لهذه اللفظة أصلين: أحدهما قال: أصله الرجل العطشان يتدلى في البئر ليروي من الماء فلا يجد فيها ماء فيكون قد تدلى فيها بالغرور. فوضعت التدليل موضع الأطماع فيما لا يجدي نفعاً، فيقال: دلاه: إذا أطعمه، ومنه قول أبي جنذب الهزلي:

---

(١) المنافقون: ١.

(٢) التوبة: ٥٦.

أحص، فلا أجير ومن أجره فليس كمن تدلى بالغرور

أحص: أي قطع.

الثاني: فدلاهما بغرور، أي جرأهما على أكل الشجرة، وأصله: دللهما من الدلّال والدالة وهي الجراءة، قال شمر: يقال: ما دلك عليَّ: أي ما جرأك عليَّ، وأنشد لقيس بن زهير:

أظن الحلم دل على قومي وقد يستجهل الرجل الحليم

قال ابن القيم قلت: أصل التدلية في اللغة الإرسال والتعليق. يقال: دلى الشيء في مهواة، إذا أرسله بتعليق. وتدلى الشيء بنفسه ومنه قوله تعالى: ﴿ فأرسلوا وأردهم فأدلى دلوه ﴾(١).

قال عامة أهل اللغة، يقال: أدلى دلوه إذا أرسلها في البئر ودلاها بالتخفيف إذا نزعها من البئر.

قال عامة أهل اللغة، يقال: أدلى دلوه إذا أرسلها في البئر، ودلاها بالتخفيف إذا نزعها من البئر، فأدلى دلوه يدليه إدلاء إذا أرسلها، ودلاها يدلوها دلواً، إذا نزعتها وأخرجها، ومنه الأدلاء، وهو التوصل إلى الرجل برحم منه، ويشاركه في الاشتقاق الأكبر الدلالة وهي التوصل إلى الشيء بإبانته وكشفه، ومنه الدال وهو ما يدل على العبد من أفعاله، وكان عبد الله بن مسعود يشبه برسول الله ﷺ في هديه ودله وسمته، فالهدي الطريقة التي عليها العبد، من أخلاقه وأقواله وأعماله، والدل ما يدل من ظاهره على باطنه، والسمت هيأته ووقاره ورزانته.

والمقصود: ذكر كيد عدو الله ومكره بالأبوين.

قال مطرف بن عبد الله... قال لهما إني خلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتبعاني أرشدكما وحلف لهما، وإنما يخدع المؤمن بالله، قال قتادة «وكان بعض أهل

---

(١) يوسف: ١٩.

العلم يقول: من خادعنا بالله خدعنا» فالمؤمن عز كريم، والفاجر خب لئيم، وفي الصحيح «أن عيسى بن مريم عليه السلام رأى رجلاً يسرق، فقال: سرقت؟ فقال: لا والله الذي لا إله إلا هو، فقال المسيح: آمنت بالله وكذبت بصري»

وقد تأوله بعضهم على أنه لما حلف له جوز أن يكون قد أخذ من ماله، فظنه المسيح سرقة، وهذا تكلف، وإنما كان الله سبحانه وتعالى في قلب المسيح عليه السلام أجل وأعظم من أن يحلف به أحد كاذباً، فلما حلف السارق دار الأمر بين تهمته، وتهمة بصره، فرد التهمة إلى بصره لما اجتهد له في اليمين، كما ظن آدم عليه السلام صدق إبليس لما حلف له بالله عز وجل، وقال: ما ظننت أحداً يحلف بالله كاذباً أ. هـ[1].

---

(١) إغاثة اللهفان (١٢٥) طـ الحلبي.

مسائل حول عصيان إبليس ومحاجته

المسألة الأولى:

* إن ابليس لم يكن من الملائكة فهو غير مأمور بالسجود لآدم، فكيف يعاقب على مخالفته أمراً لم يوجه إليه؟

والجواب: إن إبليس لو لم يكن مأموراً لقال لله: إنك لم تأمرني حين قال الله له: ﴿ ما منعك أن تسجد إذ أمرتك ﴾ ولكنه أظهر التكبر ولم ينف الأمر، ففهمنا أنه كان مأموراً، وأنه وإن كان من غير الملائكة ولكن الله تعالى كان قد أمر الشاهدين لنفخ الروح في آدم بالسجود وابليس كان حاضراً، وإنما عبر الله تعالى بالملائكة لأنهم كانوا الجمهور الأعظم في الحاضرين. ووجود فرد من غيرهم لا يغير في صدور الأمر على هذه الصورة، فهو كان من الحاضرين المأمورين حقيقة وإن كان غيرَ ملك، وليس لأحد أن يكون أقوم بحجة ابليس من ابليس نفسه.

وهناك رأي آخر: وهو أن في الملائكة صنفاً يقال لهم الجن، فلفظ الملائكة يشمله.

المسألة الثانية:

*** نعلم أن إبليس طرد من الجنة عقب إبائه السجود، فكيف وصل إلى آدم في الجنة حتى أغواه ودلاه وزوجه بغروره؟**

والجواب: أن طرده من الجنة لا يجعل دخولها مستحيلاً عليه، وأنه قد دخلها عاصياً آثماً لإغواء من حسده من أول يوم، على أن ابليس تصل وسوسته إلى النفس وإن كان بعيداً، كما يصل تأثير السحر إلى الغائب والبعيد، وكما يصل صوت البعيد بوساطة التليفون واللاسلكي، فلا مانع من أن يصل تأثير وسوسته إلى آدم من خارج الجنة إلى داخلها. وإني أميل إلى أنه دخلها آثماً وعاصياً أمر ربه، بدليل قوله تعالى: ﴿اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو﴾[1][2].

المسألة الثالثة:

* أكان إبليس وقت امتناعه عن السجود منافقاً أم كافراً؟

والجواب: قال تعالى: ﴿إلا إبليس أبى وأستكبر وكان من الكافرين﴾[3] وفيه قولان: أحدهما أنه وقت العبادة كان منافقاً، والقول الثاني أنه كان مؤمناً ثم كفر، وهذا قول الأكثرين فقيل في معنى الآية وكان من الكافرين في علم الله أي كان عالماً في الأزل أنه سيكفر، والذي عليه الأكثرون أن إبليس أول كافر بالله فرد إلى ماهية تقتضي وجودها. أو يقال معنى الآية أنه صار من الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك. واختلف الناس بأي سبب كفر إبليس لعنه الله، فقالت الخوارج إنما كفر بمعصية الله، وكل معصية كفر، هذا قول باطل بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وقال آخرون كفر بترك السجود لآدم ومخالفته أمر الله. وقال: السجود في الصلاة ركن واحتج به طائفة على كفر تارك الصلاة كما هو مذهب أحمد.

وحكى إجماع الصحابة، وقال أبو هريرة «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون من الأعمال شيئاً من تركه فقد كفر إلا الصلاة» رواه الحاكم.

وقد جاء تكفير تارك الصلاة عن أحد عشر نفساً من الصحابة وسبعة من التابعين وعامة فقهاء الحديث. وقال آخرون: كفر إبليس لأنه خالف الأمر الشفاهي من الله، فإن الله خاطب الملائكة وأمرهم بالسجود ومخالفة الأمر

(١) الأعراف: ٢٤.
(٢) قصص الأنبياء للشيخ النجار (٨) ط إحياء التراث ببيروت.
(٣) ص: ٧٤.

الشفاهي أشد قبحاً.

وقال جمهور الناس: كفر إبليس لأنه أبى السجود واستكبر وعاند وطعن واعتقد أنه محق في تمرده، واستدل بأنه خير منه فكأنه ترك السجود لآدم تسفيهاً لأمر الله وحكمته، وهذا الكبر عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» أ. هـ.

وقال الميموني: ذكر أبو عبد الله بن حنبل ابليس فقال: إنما أمر بالسجود فاستكبر وكان من الكافرين والاستكبار هو كفر، وقد حكى الشهرستاني في أول كتابه: الملل والنحل عن شارح الأناجيل الأربعة قال: أعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس ومصدرها استمراره بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على الطين، وتشعبت عن هذه الشبهة سبع شبهات، وسارت في الخليقة، وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل الأربعة ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل المناظرة بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه.

وقال إبليس لعنه الله للملائكة يتوجه على مساق حكمته سبحانه أسئلة سبعة، قال شارح الأناجيل، فأوحى الله من سرادقات الجلال والكبرياء يا إبليس ما عرفتني ولو عرفتني لعلمت أنه لا اعتراض علي في شيء من أفعالي فإنني أنا الله لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل. أ. هـ.

وهذه القصة والمناظرة هي من نقل أهل الكتاب، ونحن لا نصدقها ولا نكذبها وكأنها والله أعلم مناظرة وضعت على لسان إبليس ولا ريب أنها من كيده، وقد أخبر الله سبحانه أن كيد الشيطان كان ضعيفاً وأسئلته وشهادته من أضعف الأسئلة عند أهل الإيمان، وأن ضعف موقعها عند من أصل أصولاً فاسدة كانت سداً بينه وبين ردها[1]. أ. هـ. وفي ذلك كلام لا يسع لهذا الموضع.

وبذلك عصى إبليس ربه، وأخرج من الجنة، فحشد جنوده وأتباعه، وجمع طاقاته، واستعد للإغواء والإضلال..

---

(١) مصائب الانسان مكايد الشيطان ـ لابن مفلح المقدس طـ الناشر: على رحمى (٣٢).

الباب الثالث

دولة اللعين ابليس

لنا معشر الآدميين دول وممالك، قسمت إلى طبقات وطوائف حسب مكانتها العلمية والأدبية وأوجه النشاط التي تتطلبها سفينة الحياة. . . ولدولة اللعين إبليس دولة وملوك وأمراء وشياطين وخدم. . . وكلهم من الأرواح الخبيثة الذين يدينون بالولاء والطاعة لزعيمهم الأكبر وملك ملوكهم الشيطان الرجيم. . .

فحقاً إنها دولة عجيبة كل العجب، غريبة ضعيفة قوية، تحتاج إلى دراسة وتفحص لمعرفة طرق إفساد أعمالها، والحذر منها، ووضعها نصب العيون، وإعلان الحرب عليها. . .

يحكم دولة الشياطين سبعة ملوك ينفرد كل منهم بحكم جميع أنحاء وأفراد الدولة، والتصرف في أمورها، وأفرادها يوماً في الأسبوع، أما باقي أيام الجمعة فإنه يقضيها في إعداد خططه وبرامجه وأعماله اللازمة ليومه في الأسبوع المقبل وهي كثيرة متشعبة متعددة هذا علاوة على ما يهتم بدراسة أو بحثه من التقارير التي يرفعها إليه وزراؤه ومديروه وأعوانه ومنها أعمال السحرة وما أتوه وأتموه من أعمال وحاجات ومطالب أفراد المملكة، وما لاحظوه من أعمال الخير التي قام أو يقوم بها الإنسان وما يقترحونه لمقابلة هذا الخير بما يليق به من الأذى والشر.

ونجد بين الشياطين طائفة من العظماء، وما يليها من كبار وعظماء الموظفين وما تحتها من الطبقات المتوسطة ثم الطبقات الصغيرة ثم الحثالة. . ولكن ما تمتاز

به مملكتهم عن ممالك الإنس أنه لا يوجد بها مكان لعاطل أو متسكع أو ضائع، فالعمل ضريبة محتمة على كل فرد حسب قدرته ومركزه مهما كان عظيماً أو صغيراً لأن من فضل المولى على البشر أن عدد أفراد هذه الدولة الملعونة صغير قليل محدود بالنسبة لتعداد البشر، ونظراً لكثرة وتعداد الأعمال المؤذية المضرة المطلوبة منهم تنعدم بينهم العطلة والراحة فحياتهم عمل متواصل مستمر، ولا حساب للوقت عندهم كما نفهمه نحن معشر الآدميين لأنهم يعيشون في ظلام دامس ووقتهم كله ليل حالك.

وللشياطين فلاسفتهم وعلماؤهم وذو الخبرة والاخصائيين في كل علم وفن وحرفة وصناعة ومهنة وعمل فلا يخفى عليهم القليل من الأشياء مما يقوم به البشر، وتختلف أشكالهم ومناظرهم باختلاف مسؤولياتهم ومراكزهم وكلما علا مركز الشيطان، وعظمت مسؤولياته أو تعددت نواحي واجباته كلما زادت صورته كآبة وقساوة وقد روعي في انتخاب وتعيين الملوك السبعة المذكورة الحاكمة المتسلقة على المملكة الإبليسية مطابقة أعمالهم ومسؤولياتهم للسبعة الكواكب التي تتحكم في أيام الأسبوع، واتخذ كل ملك منهم رموزه وملابسه وشعائره وألوانها حسب ما تمليه طبيعة وقوة كوكب هذا اليوم..

ولذا كانت أعمال السحرة في منتهى الخطورة والنصب لما تتطلبه من عناية فائقة ودقة متناهية واحتراس أحد من هؤلاء الملوك أو أي عظيم آخر من الشياطين... لأن أقل هفوة يرتكبها الساحر في عمله ينتج عنها إثارة أو استدعاء شيطان غير المقصود فإنه يزوره هذا الشيطان الخطأ ويقضي عليه في الحال... فالشيطان لا يعفو ولا يرحم بتاتاً ولا يفهم كلمة إعتذار ولو أنه مخترعها.

وملوك الشياطين السبعة المقسمة حسب أيام الأسبوع هي:

١ - (ميمون) ليوم السبت وكوكبه (زحل) .
٢ - (فاركان) ليوم الأحد وكوكبه (الشمس).
٣ - (أركا) ليوم الاثنين وكوكبه (القمر).
٤ - (سماكس) ليوم الثلاثاء وكوكبه (المريخ).

٥ - (مودياك) ليوم الأربعاء وكوكبه (عطارد).
٦ - (سوث) ليوم الخميس وكوكبه (المشتري).
٧ - (سارابوترس) ليوم الجمعة وكوكبه (الزهرة).

ولفظه (ركس) في كل حال تعني (ملك).

ولكل ملك من هذه الملوك رئيس وزراء ملقى على عاتقه واجبات ومسؤوليات جسيمة جداً وله مطلق التصرف بمرسوم ملكي شيطاني فيما يشاء كيفما شاء وهو يعمل طوال الأسبوع... وهو موظف دائم غير قابل للعزل أو التغيير أو الاستبدال أو الإحالة على الاستيداع أو الفصل ويتحكم في مجموعة هائلة من الشياطين على مختلف طبقاتهم ومراكزهم وكفاءتهم يخضعون له خضوعاً تاماً وينفذون أوامره حرفياً ويكفي للدلالة على خطورة رئيس الدولة سعة معلوماته ومعرفته وإلمامه بكل صغيرة وكبيرة في العلوم والفنون والحرف المكلف بفسادها وله دراية كبيرة بأسرارها وأوجه الخير والشر فيها، وله وسائله الشيطانية في توليد الشر من هذا الخير، ونص وإصدار القوانين واللوائح التي تساعد على نشر الفساد، وتعطيل الأعمال وقيام الثورات والاضطرابات... وله قدرة فائقة في قلب الحقائق وتزييفها وإظهارها بمظهر الباطل وبالعكس وهو مختص بغرس بذور الشقاق بين أبناء المهنة أو العائلة الواحدة، وبين جميع الأفراد والطبقات، وبث روح الجشع والطمع والغيرة والحقد فيمن يريد؟ وفتح طرق الغواية وتمهيدها لتسير فيها النفوس البشرية الضعيفة وتأتي من أنواع الشر والضرر ما يرتاح إليه... وهو كفء جداً في إيجاد الفرص اللازمة التي تساعده على تحقيق جميع أغراضه، وله من الذكاء الشيطاني ما يفوق جميع البشر (من الرجال) مجتمعين فيعرف كيف يدبر مصايد الغواية ويرسم الخطط التي تكفل عذاب البشر، واضطراب حياتهم وتعطيل أعمالهم... ونسبة إلى مركزه الممتاز فإنه يفهم تماماً كيف يستفيد من صلات ومعاملات الناس مع بعضهم فيفسد هذه المعاملات ويقطع هذه الاتصالات فتكثر المنازعات وتنتشر المنافسة والحقد والعداوة والانتقام بين الناس...

وقد راعى الشيطان الأكبر في تقسيم العمل بين رؤساء الوزارات أن يشمل جميع نواحي الحياة التي يعمل فيها الإنسان، وخصص لكل رئيس وزراء

الدور الذي يقوم به، ولا يتعداه حتى يتقن عمله تماماً، ومن خططه الابليسية إصراره على دوام رئيس الوزراء في منصبه بصفة مستديمة أبدية حتى يكون ملماً بجميع نواحي أعماله وواجباته، ويؤديها على ما يرام وهو مطمئن إلى نتيجتها، وما تعود به على الدولة الشيطانية من فوائد عظيمة في صورة خسائر جسيمة وأضرار بليغة تصيب بني الإنسان.

ورؤساء الوزراء عددهم أيضاً سبعة وهم:

١ - باعل - Bael:

وهو رئيس وزراء الملك ميمون... ويظهر بثلاثة رؤوس يتوسطها رأس آدمي هرم عبوس عن يمينها رأس قط كبير، وعن يسارها رأس ضفدعة غليظة. وهو يسيطر على سياسة الدولة الانسانية، والممالك سواء السياسة الداخلية أو الخارجية فيها، ووظيفته حبك الدسائس التي تؤدي إلى الحروب، وتحريض الجواسيس والخونة وأعضاء الجمعيات الإرهابية والثورية وما شاكلها.

وهو شيطان الاستعمار، وأهم ما يمتاز به (النحس) وكل إنسان يسلط عليه أحد أعوانه يستهدف إلى نحس مكعب مربع دائر مستطيل مزاحم ملازم متاخم يحيط به من جميع الجهات فيفقده كل أمل في الحياة... أما ملوك الدول وساداتها وكبار رجالها ونسائها فهو يتولى (نحسهم) بنفسه فتطير مملكتهم أو تسوء صحتهم أو تفنى ثروتهم وسلطتهم أو تنتشر فضائحهم أو يسلط عليهم من يغتالهم من الجمعيات الارهابية ويحول حياتهم جحيماً.

ولما كان ذكاؤه المفرط في رسم الدسائس لا يقاوم ولا تدركه عقول البشر. ولما كان فناناً بارعاً في تشكيل النحس وتهيئته في أوضاع وأشكال مختلفة...

ولما كان يختار الدول الكبيرة ورؤسائها وكبار ساساتها ميداناً لأعماله الخاصة... فإننا نرى أساليبه الملتوية التي يوحي إليهم باتباعها وتحريض البعض على البعض وحقن الملوك والرؤساء بجرثومة النفاق والغدر والخيانة... ونشر الفساد في محيطهم حتى أنك لا تجد ملكاً من ملوك الأرض إلا وهذا (النحس)

ملازمه في أكثر من ناحية من نواحي حياته. . . ولا يقتصر عمل هذا الشيطان على نحس الملوك وعائلاتهم بل عندما يتشبعوا (بالنحس) ولا يمكنهم التحمل أكثر من ذلك، فإن نحسهم يطفو ويطغي على أفراد شعوبهم فيتدهور اقتصادهم وتسوء صحتهم، وتذهب معنوياتهم. . . حتى إذا ما رحل عنهم ملكهم بنحسه استعادت الشعوب رخاءها وصلح حالها بعد إجراء عمليات النظافة والتطهير اللازمة لمخلفات هذا النحس.

أما الأفراد العاديين فمثل هذا الوزير الخطير لا يتنازل بنحسهم ويكتفي بإرسال شيطان من حثالته لينحس من يقصدهم في أرزاقهم وأعمالهم وعائلاتهم ويحكم عليهم بالعذاب الدائم المستديم.

ولهذا الوزير طرق غريبة في إلحاق الأذى بالدول والشعوب والأفراد. . . ففي حالة الدول يجلب لها المتاعب والمشكلات الداخلية التي تؤدي إلى الاضطرابات والثورات حتى تتفاقم حالتهم فيسلط عليها إحدى الدول الأخرى لاستعمارها. . . وليمعن في نحسها يشجع الدولة المستعمرة على نهب خيراتها ومواردها واستخدامها كمخلب القط للاحتكاك بالدول المعادية ودسائسها السياسية مع تقديم أبنائها أول لقمة سائغة لاعدائها في حالة الحروب.

وهو المسؤول الوحيد عن مساوىء الاستعمار وتقسيم الدول إلى صغيرة وكبيرة وقوية وضعيفة، ومن عجائب دهائه ومكره وضغينته التي يحملها للإنسان أنه يقلب الحق قلباً محسوساً، فيجعل الأمم الكثيرة العدد والأفراد تابعة خاضعة للامم القليلة العدد ويعكس نظام الكون ويجعل الأقلية الحاكمة تتحكم في مصير الأكثرية وهذا منتهى الظلم والقسوة. ولكن هذا الظلم وتلك القسوة هي كل ما يتمناه الشيطان ويعمل لأجله وهو في الواقع وأول واجباته ومسؤولياته.

ولما كانت جميع الشياطين مهما اختلفت أغراضهم ومراكزهم وأعمالهم مغرمون بدماء الإنسان الذي هو عصب الحياة ومنبع قوامها فقد فرضوا على الدول المستعمرة نتيجة لدهائهم ومكرهم ضريبة الدم إذا ما أرادوا التخلص من براثن الاستعمار. . . وبناء عليه لا تجد ولن تجد أية أمة مستعمرة تخلصت من قيود

إبليس الاستعمارية إلا بعدما طهرت أرضها بدم أبنائها. . .

ويتحكم ويتسلط هذا الشيطان في الخونة الذين يبيعون أوطانهم لأعدائهم وهو الذي يوحي إليها بتدبير المؤامرات وإعداد خطة الاغتيالات السياسية التي تسيء إلى سمعة بلادهم وهو الذي يدل رجال السياسة الدولية على ارتكاب الأخطاء الحمقاء التي تؤدي إلى تعكير العلاقات الدولية وما عساه أن ينتج عن ذلك من حروب باردة أو ساخنة حسب ما يرى الشيطان نفسه ويقرره . . . فأمر هذه المجازر البشرية يستحيل أن يترك الشيطان أمر تدبيرها أو تنفيذها للإنسان فيتولى أمرها بنفسه ويوقدها ويطفئها أين ومتى شاء ؟ .

ورئيس الوزراء هذا مسؤول عن تكوين جمعيات القتل والتهديد بعد أن يضيف عليها أسماء وعناوين شيطانية وكلها تتبع تعاليمه وتعمل مثله في الخفاء والظلام لإثارة الخوف والفزع ونشر القلق بين الجماعات ونجده يختار دائماً من يعملون في هذه الجمعيات وينفذون أغراضه من طائفة المنحوسين الذين أصابهم أحد أعوانه بنحسه . . . فيوهمهم أن سبب نحسهم يرجع إلى أنظمة الحكم أو إلى أشخاص معينين ولا يزال يحرضهم ويغريهم ويشجعهم حتى يرتكبوا جرائمهم الطائشة، ويقبض عليهم فيوليهم ظهره لأنه قرر مبدئياً عند نحسهم أن يلاقوا مصيرهم المحتوم .

ويؤكد لنا التاريخ حياة كل هؤلاء الفوضويين أو الإرهابيين صدق ما نقول فحياتهم كانت عبارة عن حلقات متماسكة من النحس والبؤس والخيالات السقيمة العقيمة التي أودت بهم إلى بئس المصير.

وهذا الوزير هو شيطان السياسة الداخلية وأحزابها المختلفة المتناقضة ورجالها المذبذبين المتأرجحين المهزوزين الذين لا مبدأ لهم ولا أخلاق. . . يميلون مع الهوى كيف وأين مال. . . وهو الذي علمهم تكوين الأحزاب السياسية وتسميتها بأسماء جوفاء لا معنى لها بتاتاً. . . وحرضهم على إصدار قوانين الحزب ودستوره ولوائحه ويرمي بذلك إلى مد ومط وشد أساس المبدأ الواحد فبدلاً من أن يكون مبدأ الفساد ويفسره كل حزب كما يشاء حسب عقائده. . . لأنه لا يوجد بتاتاً

ما يسمى بالوطنية الحرة أو الوطنية الدستورية أو الأهلية أو الشعبية... الخ... إنما هناك وطنية واحدة فقط لا تقبل الاشتقاق والانشقاق وكثرة النعوت والصفات ولكن هذا الشيطان له القدرة على تقسيم ما لا ينقسم ويهيء لك العدد الفردي زوجي حتى تقسمه فتقع في الخطأ وتتحمل النتيجة.

وبكثرة الأحزاب وتلونها يجد الشيطان الفرصة لبذر الشقاق والخصام بين صفوف وأبناء الأمة الواحدة ويشجعهم على التمادي في الخصام وتنكيل بعضهم للبعض، ويحرضهم على إعلان كراهيتهم وضغينتهم بكل الوسائل ملوحاً لهم طول الوقت بكراسي الحكم وفوائدها الجزيلة وخيراتها العميمة فتتولد العداوة بين الأب وابنه والأخ وأخيه... وتجد المقاطيع المناطيع الفرصة للانضمام إلى هذه الأحزاب، وتتباهى بالسير في ركابها والانتساب إليها والتهليل والتصفيق لكل صغير وكبير من رجالها، وينفخ الشيطان في أوداجها ويغرس في عقولهم المغلقة فوزهم يوماً (بكرسي) في البرلمان أو الوزارة فيزداد حماستهم ومعه تصفيقهم وصفاقتهم.

ولعل أعظم وأظرف هدية يقدمها الشيطان للأحزاب السياسية هي ما يطلقون عليه (اسم مجلس الادارة الذي لا هم له إلا الاضرار بحضرات الأعضاء الأبرار والأبناء الأخيار وفرض الضرائب الشهرية والموسمية والسنوية عليهم تحت اسم اشتراكات تارة وتبرعات طوراً أو مساعدات وهبات خلاف الإكراميات والهدايا التي تقدم في كل مناسبة وبدون مناسبة مما يعتبره هذا العضو واجباً عليه تأديته... ولماذا... ؟ لا يفهم ولا يدري أبداً... وكل ما يتمناه هؤلاء (السفلة) أن يستمروا معلقين في ذيل أحد أعضاء هذا المجلس سارحين في عالم الخيال والآمال الكاذبة التي يلوح بها الشيطان لهم... حتى إذا ما جاء وقت الانتخابات قام العضو بدفع وتأدية الإتاوة اللازمة لرئاسة الحزب وتزود منه بالنصائح الغالية، والتوصيات التي تحقق انتخابه... وفي هذه اللحظة بالذات وقبل بدء الانتخابات يرسل هذا الشيطان الماكر بعض حثالة جنوده ومع كل منهم صورة مكبرة في برواز أنيق لكرسي البرلمان أو مقعد في الوزارة وعند رؤيتها يطير فرحاً، وتنحل روابطه الذهنية فيلهث وراء تلك الصورة المزيفة ولا

يبخل بأية تضحية في سبيل الفوز في الانتخابات فيقيم الولائم والحفلات الكبيرة التي يتبارى فيها الخطباء بعد امتلاء بطونهم فوراً، وتتوالى الخطب الجوفاء، وتدفع صاحب الحفل بصفات ومزايا لو صحت إحداها أو تحققت فيه لكان من عداد الملائكة حتى إذا اعتدل مزاجه وانفرج فمه عن ابتسامة بلهاء قام بدوره ليخطب بضع كلمات كتبها غيره بأجر ما، فيعطي فيها الوعود، ويؤكد العهود، ويصمم على أن يأتي بحلائل الأعمال... حتى إذا ما خانه شيطانه وفشل في الانتخابات بعدما تكبد فيها من ماله وجهده ما يقطع أنفاسه وموارده يضحك الشيطان ويسخر منه، ومن عقليته فلا يجد إلا الحسرة والندم على ما أنفقه فيها ويتحسر على أمواله التي يقول عنها أنها (ذهبت مع الشيطان الرجيم) وذلك منتهى الصدق والحق، وغاية ما يأمله الشيطان فإذا ما شكا هذا الخائب لحزبه، وشرح لهم ما قاساه من إفلاس فإن رئيس الحزب أو سكرتيره يهدىء من روعه بتلك الكلمات الشيطانية السحرية التي هي من ابتكاراته واختراعاته. وهي كلمات الأسف والاعتذار... وهي حقيقة بلسم سحري يدع صاحب الحق يتغاضى عن حقه والمعتدى عليه يتنازل عن إهانته... وهي كلمة يتخذها الشيطان وسيلة للتمادي في الأذى والضرر دون الخوف من النتيجة... ولا أدري معنى هذه الكلمات إلا إذا كانت تعني (ليس عليه شيء) أو ما عليه شيء، ولكن إذا نطقها هكذا ـ مثلاً كلمة (معلهش) ـ حسب ما فسرتها فلا يهتم بها ولا يتأثر لها أحد الباتة . .

وحتماً من أن تنطقها كما رسمها وكتبها وصورها إبليس نفسه... فيرضخ العضو، وتكون تلك الكلمة الإبليسية هي كل ما استفاده ودفع ثمنه هذه الآلاف من الجنيهات ربما يكون قد باع لأجلها أطيانه أو عقاره أو استدانها .

ورئيس الوزراء (باعل) هذا هو الذي يجعل من الأحزاب السياسية أداة إلى فساد الحكم «حكاماً ومحكومين» فتتوالد المحسوبيات وتكثر الرشوة، وتباع الذمم ويكثر السلب والنهب... ومتى تملك هذا الشيطان من أية دولة ورماها بذيول دسائسه ودهائه وسلط عليها الأحزاب السياسية البغيضة التي لا هم لها ولا غاية إلا

التربع على كرسي الحكم. . . فإنه يحيل هذه الدولة إلى ساقية تدور على الهواء، وتملأ من دماء أبنائها ونصب في الخرائب والبوار حتى يتهدم كيانها المالي ويتدهور اقتصادها وتعتل صحتها وينحط تعليمها فتذهب هيبتها وتقضي أيامها ذليلة عليلة. . . وهذه الساقية الجهنمية رابضة على قلبها وصدور أبنائها ولا يتغير فيها إلا الثور أو البغل الذي يديرها وهو مغمض العينين حتى لا يرى ما يدور حوله ويتغاضى عن جرائم أعوانه ومحاسيبه ويذهب ثور ويأتي آخر لا يقل عنه غباء وفساداً. . .

ومتى أعتلى أحد الأحزاب السياسية الحكم تألبت ضده جميع الأحزاب الأخرى مع شدة كراهيتها لبعضها والتفوا حوله يهذونه ويلكزونه ويحركونه حتى يسقط فيحل غيره من حظيرة (التيران) والبغال والحمير إدارة هذه الساقية وكل يفسد في الأمة حسب قدرته ويتنوع الفساد وتشتد الأضرار والشرور وبهذه السياسة يقضى على الشعوب وأبنائها وهذا غاية ما يرجوه ابليس .

ولما كان عمل الشيطان وأعوانه هو عين الشر فإنه لا يدوم بتاتاً. . . وإن عوامل الخير أشد قوة وأكثر عدداً من الشيطان وجنوده، ولذا نرى في جميع الأمم والممالك التي لعبت بها الأهواء السياسية الفاسدة أن المولى عز وجل يهيء أحد أبنائها، ويهيء له الظروف المناسبة، ويعده بقوة الخير اللازمة لغلبة الكرة فيبعد عن هذا الميدان فوراً ويولي الأدبار لأن كل قوته تنحصر في هذا الدهاء والمكر والغش والخديعة والإغواء وغيرها من الرذائل. . . ومع كل هذه النقائض المجتمعة نجده شديد الجبن. . . ولذا تراه عندما يدفع السحرة والساحرات (والتي ذكرناها في كتابنا: السحر) تسرى في عروقهم ودمائهم جراثيم الخوف والفزع فيخشون العنف ويرهبون القسوة ويتحملون الإهانة والعذاب والضرب والمذلة حتى الإعدام دون مقاومة أو دفاع.

ويتعرض لسلطة هذا الوزير جميع الدول التابعة لبرجي الجدي والدلو، وجميع الأشخاص المولودين في البرج الثاني خصوصاً أيام السبت والأربعاء.

٢ ـ الشيطان (بوير: BUER).

(الشيطان بوير رئيس وزراء الملك فاركان، شكله مرعب لـه وجه شيطاني يجمع بين الانسان ووحشٍ كاسر. . . وهو الشيطان الوحيد الذي ليس له جسد وتقوم رأسه ووجهه على خمسة قوائم بهيمية في منتهى القوة يرفس ويلكز في كل اتجاه في وقت واحد، ولذا يمكنه أن يوجه خبطاته الشديدة لجملة أمم وأفراد بكل سهولة، ولا تدري من أي جهة أصابتها ضربته القاسية. . . يلف ويدور حول هذه القوائم في حركات قوية وسريعة جداً فينشر الأوبئة والمجاعات والجراثيم على أوسع نطاق في زمن قصير، فيصيب بها جملة دول خلال فترة بسيطة مهما طالت المسافة بينها ويتدخـل في الحروب الطاحنة عند اشتدادها فينزل ضرباته وخبطاته دون وعي على المتحاربين. وبالنسبة لوضع وجهه لقوائمه فإنه لا يدري أين ولمن يوجه شره وضرره فيأخذ البريء بذنب المجرم. ومركز هذا الإبليس خطيراً جداً لأنه يكلف بإفساد الصحة وشؤون العالم عن طريق اتصالاتهم ومعاملاتهم، ويسيطر على الطب والجراحة والصيدلة وأعمال المحماة.

وهو المسؤول عن أخطاء الأطباء التي تسبب الكوارث العائلية وإزهاق الأرواح، ويعمل جهده في الإقلال من تعدادهم وتجديد ميدان أعمالهم وكفاءتهم بما يسميه (الاختصاص) حتى تعجز المرضى عن الانتفاع بأكبر عدد منهم. . . وهو شيطان الطائفة الملعونة من الأطباء الذين يعملون على أجهاض الحوامل أو التصريح باستعمال المواد المخدرة أو إصدار شهادات طبية مزورة حانثين في يمين (ابقراط) الذي هو ضرورة لازمة لحصولهم على بكالوريوس الطب، ومخالفين قانون مهنتهم وكل ما تشمله معاني الإنسانية. . . وهو صاحب الأسماء العجيبة والاصطلاحات العلمية الغريبة التي لا يمكن تحويرها أو ترجمتها إلى أي لسان والتي يبلغ طول الكلمة أو الاصطلاح منها بضعة سطور يهتم بعض الأطباء بحفظها عن ظهـر القلب، ويدرسونها لمرضاهم في كلامهم حتى يوهمونهم بسعة مداركهم وغزارة معارفهم. . . ولذا وضع الشيطان شروطاً قاسية لمن أراد تعلم الطب منها فداحة المصاريف وكثرة العلوم وكتبها التي لا تقل أي منها عن الألف صفحة، ومدة الدراسة والتمرين بين المرضى والمستشفيات، ومناظر الدماء حتى يألفها

الطبيب فتزول من قلبه كل معاني الشفقة ويرى المريض يتلوى من الألم ولا يسعفه إلا إذا تناول أجره كاملاً قبل إجراء العملية. . . وفي بعض الأوقات يدرك الجراح تماماً أنه لو أجرى العملية للمريض هلك ولكن ماذا يعنيه ما دام قد حصل على حقوقه سلفاً. .)[1] أ . هـ .

وأقوى برهان على طبيعة عمل الشيطان التي تنحصر في أذى العالم نجدها في عمل المحامين ولذا كان عددهم وتعدادهم متناسباً مع عدد المتخاصمين والمتقاضين. . . وانظر إلي أي حد بلغ دهاء إبليس لتحقيق أغراضه فقد وهب هذه الطائفة قدرة على الكلام بطريقة ينقلب معها الزور حقاً، والحق باطلاً. . . وهذا غاية ما يرجو. . . ومن حيلته أنه سهل أعمال المحاماة عن غيرها كالطب ففيها نظام الانتساب مثلاً بخلاف كلية الطب أو الكليات العملية.

ولما كانت وظيفة المحامي تتطلب منه أن يعمل حراً مستقلاً ولا سبيل للمحامي الناشىء من بلوغ هذه الغاية إلا بعد التمرين في مكاتب كبار المحامين، فقد رأينا هذا الشيطان يتفنن في عذاب هذه الفئة الناشئة وهم الوحيدون بين جميع الطوائف المؤهلين الذين فرض عليهم التمرين بأجر من المال مع تكليفهم بأعمال المكتبة . . . حتى إذا بلغ المحامي أشده، (تلطع) على أبواب المحاكم من أول ساعات النهار يتلهف على عملائه. . . وقد وهب المولى هذه الفئة موهبة نادرة وهي معرفة طبائع البشر وبالتالي من أين تؤكل الكتف. . . فهم أمهر بني الإنسان في انتهاز الفرص واستغلالها. . . ومن وقع في أيدي بعضهم فلا خلاص له من كثرة النفقات والاتعاب التي لا تنضب. . . فكلما خطأ المتقاضي خطوة نحو باب مكتب المحامي لا بد وإن تكون حافظته عامرة حتى يرضى الكاتب والساعي وكل من له صلة بقضيته.

ومن بدائع حيل الشيطان مع فئة المحامين أنهم مع كثرتهم الهائلة لا يعرفون بخدمة المتقاضين لأنه دسائس الشيطان لإيقاع الضغينة بين الناس كثيرة متعددة، ولا تجعل للمحامي وقتاً للدفاع في قضية واحدة أو الاقتصار على قضية واحدة. . .

---

(١) كتاب السحر ـ محمد جعفر-الانجلو المصرية (١٦٤).

ولذا فرض عليه إبليس العمل في جملة قضايا دفعة واحدة وفي وقت واحد. . . ولما كان للمحامي جسداً واحداً، ولا يمكنه إلا أن يشغل حيزاً واحداً من الفراغ فإنه يوكل أحد زملائه في نظر قضيته بمحكمة ما بينما يكون هو مشغول في قضية أخرى في نفس الوقت أمام محكمة أخرى، هذا يوكل ذلك، وذاك يتوكل عن هذا، وتؤجل القضايا جملة مرات وصاحب القضية على أحر من الجمر في انتظار النتيجة وكثيراً ما يوافيه الأجل ويتركهالورائه، والمحامي مشغول هنا وهناك وبكل شيء وبلا شيء. . .

وبديهي فإن هذا التأجيل لا يعود بالضرر إلا على المتقاضين فدوراً تؤجل لغياب المحامي، ومرة لتقديم مذكرات، ومرة للدفاع، ومرة للرد على المذكرات . . . الخ ، وهكذا حتى يصدر الحكم ويعقبه الاستئناف الأمر الذي يستغرق أحياناً بضعة سنوات تضيع خلالها الحقوق وهذا ما يبغيه الشيطان للتمادي في أذى الإنسان .

هذا ولما كانت أرواح البشر وصحتهم أغلى بكثير من قضاياهم ومنازعاتهم، فإننا نرى الشيطان بتداخله في المهنتين (الطب والمحاماة) عكس الأمور تماماً وجعل عدد الأطباء الذين تقف عليهم صحة الأبدان والعقول أقل بكثير من عدد المحامين المكلفين بالمنازعات، وهذا نظام إبليس لا تتمخض عنه إلا العبقرية الشيطانية كأنه يغري الناس ويشجعهم على الضرر بوضع المحامين بكثرة في طريقهم حتى يأمن استمرار النزاع والمشاكسة. . . أما ما ينفع الناس ويعود عليهم بالخير فمن أهم واجبات الشياطين منعه عنهم بكافة الوسائل.

والشيطان (بوير) هو الذي نوع الأطباء وأعمالهم مع العلم بأن جميع علومهم واحدة، ومدة دراستهم واحدة، فجعل هذا طبيب نساء، وهذا للأطفال، والثالث للعيون، والرابع للمسالك البولية، والخامس للأنف والأذن والحنجرة. . . وهذا للحميات، وذاك للعظام. . . الخ حتى يطمئن الناس على صحتهم ويعلمون أنهم معرضون لكل هذا البلاء منرداً أو مجتمعاً. والغريب في دهاء الشيطان أن هذا التخصص يستحيل أن يتغير فلا ترى طبيب العيون تحول

إلى العظام أو طبيب الباطني إلى المسالك البولية. . . الأمر الذي لا نراه في فئة المحاماة التي يتدرج فيها المحامي من القضايا البسيطة إلى الكبيرة حتى يصبح محامياً أمام محكمة الجنايات العليا، والاستئناف والمجالس الحسبية والنسبية، كما تشير إليه لوحاتهم الطويلة التي يضعونها في أماكن تلفت الأنظار من نوافذ مكاتبهم، ولا ينقصهم إلا إضاءتها حتى تصبح إحدى عجائب المدنية الحديثة.

ويحكم هذا الشيطان الممالك الواقعة في مدار برج الأسد. والمولودين فيه خصوصاً أيام الأحد والثلاثاء.

٣ ـ الشيطان (بيهيموت BEHEMOTH):

الشيطان (بيهيموت) رئيس وزراء الملك آف. . . وهو على هيئة فيل صغير ببطن كبير منتفخ مستدير محشو بأدران وأقذار الفلسفة والآداب والفنون والشعر والكتابة والجرائد والمجلات، وهو مسؤول مباشرة عن كل ما يصيب كل من يعمل فيها بالتعاسة والشقاء والارتباط وعما تتمخض عنه خيالاتهم من أوهان وأمور مستحيلة وما يعلق بحياتهم الخاصة من فضائح وله مزاج مخصوص في إصابة معظمهم (بلمسة) فلسفية أو شعرية أو فنية تلازمهم حتى يظهرون مخالفين للأشخاص العاديين، فيسهل التعرف عليهم وتميزهم. وهو الذي يغذي نفوسهم وعقولهم بجراثيم الشك والتشاؤم وما يعتقدون فيه من حسد وحقد أو غيرة فيجبرهم على حب الوحدة والانفراد بأنفسهم للتأمل والمناجاة فيتيهون ويسبحون وترتسم على وجوههم علامات الحيرة ودلائل العبقرية الشاذة أو الغادرة. . . ويخصص لكل منهم شيطاناً يلازمه ليل نهار ويشجعه ويغريه على الاتيان بأعمال وتصرفات أو حركات مدهشة عجيبة، ويجعلهم يؤمنون بالخرافات، والخزعبلات والتعاويذ والأحجية. . . ويتحكم في أمزجتهم ومداركهم ومواهبهم فلا يتفلسفون ولا يشعرون ولا يؤلفون أو يلحنون ويكتبون إلا إذا نزل عليهم (الوحي) ويحدث ذلك لهم في أي وقت وأي مكان وأحياناً فجأة دون استعداد سابق. . . وهذا الوحي هو همس وغمز الشيطان قرينهم فإذا صادف وكنت في حضرة أحدهم وجدته اعتدل فجأة في مكانه وصار مأخوذاً مسحوراً ومتى ولزه

شيطانه هب وانصرف دون أن يجيبك . . . أو تناول (أي شيء) قريب منه، وانكب على التأليف والكتابة سواء كان شعراً أو فلسفة أو لحناً . . . فتجد الأوراق في جيوبهم مختلفة الأحجام مكتوبة بلهفة وسرعة كحروف الاختزال .

وهذا الشيطان هو المسؤول الوحيد عن إثارة المتاعب والمشكلات في حياتهم الزوجية والعائلية وفضائحهم فلا تجد واحداً أو واحدة منهم تخلو من هذه الفضائح وما يدور حوله أو حولها من الإشاعات. . . وهو الذي يبث الأنانية والبغضاء بينهم وينفخ في قلوبهم ريح الكبرياء (والعجرفة) الجوفاء ويمسهم بلمسات من الغرور والاستهتار فلا تجد بينهم من يوفي بوعده أو يحافظ على مواعيده ولا ترى فيهن من تحافظ على شرفها أو سمعتها أو صحتها ومالها كل هذا وأعوانه من شياطين الجرائد والمجلات تراقب حركاتهم وأعمالهم وتتجسس على حياتهم العامة وأسرارهم الخاصة، وتتخذ منها مادة دسمة للتشنيع على من أرادت ومهاجمة من ترغب .

حتى أصحاب الجرائد والمجلات، فإن هذا الإبليس الفيلي لا يعفيهم من شروره، فيحكم على بعضهم بالذبذبة وعدم الثبات على أي مبدأ يهزمهم ويركزهم إلى اليمين واليسار وإلى أعلى وأسفل حسب الظروف وحاجة البطون، فأصدقاء الأمس هم أعداء اليوم وأحباء الغد، ونظير هذه الذبذبة يهبهم لساناً وقلماً لا يتعب ولا يكل ولا ييأس ولا يمل ومن يتسلط عليه هذا اللسان وهذا القلم الشيطاني يصيبه من هز حتى يدوخ. .

ولما كانت الشياطين تعمل باستمرار دون راحة أو هدنة فإننا نجد هذه الطوائف المحكومة بهذا الفيل الأبليسي لا يعدون للوقت أي قيمة، ويعملون في الليل والنهار وبعضهم من يسلط عليه هوى المزاج، ويهيء له تأثيره على العقل الباطن وإيقاظ العبقرية التي تأتي روائع النغم أو الشعر. . . الخ، ومنهن من ينغمس في هذا المزاج حتى يفقد صحته وماله وعقله.

وهو شيطان البخل والتقتير والطمع والجشع الذي تنتج فيه عنه حياة اللهو

والعبث، فتجد البعضِ منهم يغوى الحفلات والمآدب ولا يتأخر عن أي دعوة يدعى إليها، بل يفرض نفسه فرضاً على أصحاب السينما والملاهي فله حق الدخول مجاناً هو ومن يريد من الأصدقاء... فهو مغرم بالثرثرة واللهو والصخب...

وهذا الشيطان الغليظ (الملهلط) مسؤول عن كل أنواع الرقص الشرقي الخليع والأوروبي الرفيع الذي لا فائدة منه إلا إثارة الغرائز وتهييج الشهوات وامتهان الراقص أو الراقصة...

وهو مبدع ملابس الرقص الخاصة التي تظهر مفاتن الجسد، وهو الذي أخترع حركاته وموسيقاه، وما ينتج عنها من انقصاع وتثني وتلوي وغير ذلك مما يؤثر على حاسة الإنسان... ومن غرائب وبدائع هذا الشيطان أنه ينتقي الراقصات من مستنقع الأوساط المعروفة بالانحلال الخلقي ويأخذ بأيديهن إلى الملاهي التي هي محلاته المختارة، والتي أنشأها كأسهل وأحسن وسيلة لنشر الفساد ويضع الراقصة في مكانها المناسب، ويمهد لها الطريق، لترتفع إلى العلا، فمن متشردة ممزقة الثياب إلى سيدة أنيقة تتحدث عن العربات الفارهة، وناطحات السحاب، ولكن مع كل هذا الانقلاب، وكل هذا الترف الذي يحيطها فإن تحتفظ بروحها تماماً وطبائعها وغرائزها وأخلاقها التي نشأت عليها أو اكتسبتها من بيئتها زمن الجوع والعري والتبذل.

فالشيطان في منتهى الذكاء، وقمة الانتباه، لا خيال له بتاتاً فهو عملي للغاية ولم يوجد وسطنا ليتخيل أو يتهيأ بل ليعمل ويعمل تماماً، وفي كل لحظة لا يهدأ ولايرتاح لأنه يعلم مركزه الضعيف، وتعداد مملكته المحصور، فإذا أراد أن يتم رسالته ويحقق أغراضه من وجوده وهو إلحاق الأذى والضرر ونشر الفساد والخسارة بمختلف الأشكال والألوان ـ من ألد أعدائه وهو الانسان ـ محتماً من أن يعمل هو وأعوانه ليل نهار ويختار من الآدميين من يساعده على تحقيق رسالته فكل مايقوم به وضع له خطته سلفاً... وإذا صادفه الخيال؟ فإنه يرسله فوراً مع أحد أعوانه إلى فيلسوف أو أستاذ أو شاعر أو فنان... الخ فيصيبه بالتوهان، والاغراق في

الخيال. . . والذي يدهش حقاً أن يدعي الشيطان ـ بعد كل ما قدمناه من مفاسد ومساوىء الرقص والطرب الفاضح على حياة الكثيرين ـ أنه (فن جميل) ومتى أتى أو أنتج الجمال عن الجرائم وإثارة الشهوات وخراب البيوت. . .؟

ولا بد للشيطان أن يوهم هذه الطوائف بأنهم خلقوا من طينة غير بشرية ـ وهذا حقاً لدرجة ما ـ وأن عبقريتهم تحتم عليهم فرض إرادتهم وميولهم على الغير حتى ينالوا الشهرة فالمال، وهما أصعب وأشق ما يحصل عليه الإنسان في حياته. . .

ولذا فإننا نجد أهل اللهو (الفن) يضحون بكل ما يملكونه في سبيل هاتين القوتين، ولكن مع كل ما يحبوهم به من الشهرة والثروة فإنه يفتح لهم ثقباً صغيراً جداً لا يشعرون به ولا يحسون به بادىء الأمر، وهو يؤدي بهم إلى هوة عميقة لا قرار لها من الانحلال الخلقي والمرضي أو الحاجة خاصة عندما يتقدم بهم السن حتى تكون ضربته قاسية. . .

ويسطر التاريخ قصة تلك الراقصة الشهيرة (ش. . .) لقد نالت من الشهرة والثروة، أنها كانت تحتذي بالملوك في حياتها المترفة، وقد ماتت متسولة. . . ويذكر التاريخ عن المطربة الشهيرة (س. ح) وطرقها الأبواب للتسول فلا تجد إلا طرداً. . .

فكم من عابث كهؤلاء أتت عليه وعلى ما يدعيه من فن المخدرات أو الميسر وكم من كاتب أو شاعر طوته الملذات والانغماس فيها، وكم من (برنسيسة) جرى وراءها آلاف الرجال فأهداها رئيس الوزراء شيطاناً صغيراً بحبوحاً فأتى على مالها وجمالها وصحتها وتركها حطاماً كان لم تغن بالأمس. . .

وكم من عابث عجوز ركبه شيطانه الغرور وهيأ له (قاتل قلوب العذارى) (فعاش في الأرض فساداً) ينتهك البيوت، ويطغي على شرف العائلات. . . ويكيل له الشيطان نفس الكيل في أفراد عائلته وذريته. . . وما ربك بظلام للعبيد. . .

وكم من شاعر رأى في نفسه أنه معجزة زمانه، ووحيد قرنه، وفريد عصره،

فشرخ بأنفه وتعاظم حتى عرف الجوع، وألف البرد، فمات كمداً. . . فالبر لا يبلي، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت. . .

ومن مكايد هذا الشيطان مع طائفة الفلاسفة والكتاب والشعراء وغيرهم أنه يسلط عليهم خيالاً غريباً عنهم ـ وهم ليسوا في حاجة إليه ذلك أنهم غارقون في خيالات، ولكن هذا الخيال الغريب عندما يتداخل ويتسرب إلى عقولهم وأفكارهم يجعلهم يظنون أو يعتقدون أنهم ـ ما داموا إناساً متميزين عن باقي البشر فلا بد لهم على الأقل أن يظهروا لعوام الناس بمظهر غريب حتى يسهل التعرف عليهم، ولا يزال بهم حتى تمسهم بجمرة من جمرات الشذوذ التي تولدت عنها فكرة (المخالفة للشهرة) فتجد لكل فيلسوف أو شاعر أو ما يدعي الفن سمة في ملبسه أو حركاته أو حديثه وتصرفاته وأعماله. . . إلا من رحم الله. . .

وتظر هذه السمة بحيث تسترعي الأنظار وإلا فقدت قيمتها حتى يحكم الرائي على صاحبها أنه من أهل الطبقة المميزة.

فتجد واحداً منهم يرخي ذقنه بطريقة ملفتة، فهذا إبليس (طاقية الفلاسفة) حتى يتشبه بأفلاطون أو أقليدس وغيرهما فيبدو غريباً سمحاً. . . وثالث يجالسك فيهتز ويترنح. . . الخ.

أما أهل التمثيل فهم أعز ما يتباهى بهم الشيطان ويعتبر عمله فيه إحدى روائع فنه، فالممثل أولاً شخص يتقمص شخصية أخرى مغايرة له تماماً يؤديها على المسرح أو أمام كاميرات السينما فيوماً تجده أميراً ويوماً غفيراً، وتارة سائلاً، وأخرى مسؤولاً، ومرة محبوباً ومراراً مكروهاً، ويوماً شجاعاً، ويوماً جباناً، وتارة سلبياً عاملاً، وأخرى مجنوناً جاهلاً. الخ. . .

وهكذا يضفي عليه هذا الإبليس من ألوان وتعدد الشخصيات مما تنعدم معه شخصيته، فالممثل الذي يفنى يوماً بعد يوم شخصيته بانتحال شخصيات أخرى فسيصبح بلا شخصية، وهذا ما يثبته التاريخ من عدم استقرار الحياة الزوجية غالباً بين أهل التمثيل، وعربدتهم وسكرهم حتى الذين يقومون بأدوار

الطيبة والابتعاد عن الفتنة تراهم متقلبين المزاج. . . ولا ينكر منكر ما يحدث فيما يسمى بالوسط الفني.

وقد أخترع الشيطان التمثيل ليعيد ويكـرر على الناس مآسي وفواجع الحياة التي مرت بهم، وينتحل أعذاراً غريبة لهذا العمل منها أنها (دروس ومواعظ). . . ولكننا لم نر من اتعظ من التمثيل لأن الإنسان إنسان فهو يرى البطولات والاقدام وصانع العجائب. . . ويحاول التشبه به بل ويتحسر إذا ما أصابه مكروه، ويترحم عليه. . . فمن هذا الذي يذهب إلى السينما أو المسرح للاتعاظ وأخذ الدرس والعبرة؟. . .

ولا عجب. . . فكل هذه المآسي تدور على نغمة (الحب) وما يصيب المحبين من شقاء وعذاب. . . ويخرج المشاهدون ومنهم من يريد مذاق الحب وعذابة وهجر الحبيب وصده. . . ومنهم من يريد التشبه باللص الجريء ويختبر طرق احتياله.

حتى بعض الأعمال والتراجم الأدبية والتاريخية تراها قد ركزت نحو الحب فعلى سبيل المثال، لم يخرج مشاهد (سنة أولى حب) إلا بحب بطله ببطلته وموته. . . ولم يخرج مشاهد (قاهر الظلام) إلا بحب صاحبه بزوجته. فالتاريخ في السينما حب، والبطولة في السينما حب، وقهر الظلام فيها حب. . . فانتكست عندهم موازين الأشياء.

والذي يدهش حقاً أن جمهور المشاهدين يبكون ويتأوهون ويتألمون، فهل هناك دهاء شيطاني أكثر من الدفع للبكاء والألم والأصابة بالصداع؟ وهل يوجد أبرع من هذه الحيلة الشيطانية التي تجعل الإنسان في هم وغم بما له من إنسانية تنصب للغم، وتحزن للهم. . . فلماذا. . .؟

أعلى خيال كاذب لا يمسك بأي سوء البتـة ، ولا صلة له بك أو بأي ناحية من حياتك؟ ولذا فإنك ترى أن الأعمال الضاحكة قليلة ما تعرض ذلك أنه يريد للناس أن يبكوا دائماً فيزيدهم غماً. . . أو إثارة.

ولما كان التمثيل أهم ما يشغل هذا الإبليس فإنك تراه يغرس الأنانية، وروح الحقد والكراهية في نفوسهم، فتجدهم ينشرون الفضائح المخزية في أوساطهم فهم أصحاب رفع الدعاوي أمام القضاء... والاتجار بالحرام... الخ.

ونظراً لما يبهر به (الفنانات) من بريق الشهرة والمال فإنك تجدها تجري وراءها على حساب شرفها وكرامتها حتى تكون غداً (نجمة) تجر وراءها ذيول الفضيحة... وليتها بعد وصولها تسكن إلى الطهارة فتراها هدفاً لمنتج أو مخرج أو ممثل أو سلعة رخيصة تتقاذفها أهواء الكتاب وأصحاب النقود والمجلات. ! وتراها لا تبخل بدعوات ونفقات وسهرات وإنفاق الكثير في سبيل إرضاء الجميع، ولكن تجدها عند قمة البخل إذا طلبت منها مساعدة لمريض أو عطية لأسرة مسكينة... فتشمخ وتتكبر.

ومن أخطر ما تمخضت عنه عبقرية هذا الشيطان الفنان ربط الفن بالمال فلا حياة ولا قوام للأول إلا بالثاني الذي يقوم بخدمة وتهيئة الجو اللازم لنموه وتغذيته، ولذا فإنه يلفت أنظاره إلى المال فتجده مهماً أعطى ومهما اكتسب لا يقنع ولا يشبع ويجعل فنه (كما يدعي) عبداً للمال، كما نشاهد من دخول الأغنياء الجهلة ميدان الانتاج وهذه أيضاً إحدى حيل الشيطان... ما دام هؤلاء الأغنياء أثروا فيغريهم بدخول هذا الميدان الجديد الجالب للزرق والسعادة، فيلوح بما له للفنانين فيتهافتون عليه ويرضخون لمشيئته ويملي عليهم إرادته وهو لا يعرف حتى كتابة اسمه، ويطغى بريق المال على قدرة الفن، ويستنزف المؤلفون والمخرجون والممثلون دماء هذا الجاهل حتى لو أثرى من وراءه فلا تجد فناً وتلك شهادة كبار رجال الأعلام والصحافة، بل وبعض الممثلين مما حسنت طويتهم.

ولا بد للشيطان حتى يتم عمله على أكمل وجه أن يعد هؤلاء الفنانات بأسلحة الاغراء وكلها أسلحة ماضية من دم خفيف إلى خلاعة وقوام ممشوق، وحسد بديع، وعيون زائفة وتقاطيع تتحدث من تلقاء نفسها وحركات لولبية شيطانية... ولا شك أن هذه الستائر المغرية تخفي تحتها قلة الحياء، وانعدام

الضمير، وبذاءة اللسان، وحب النفس، ونكران الجميل، وخلف الوعود، والحقد، والغيظ، وشهوة الانتقام، وبلادة القلب والاستهتار، وحب التمرغ في الوحل، والانغماس في الشهوات، والوصول ـ غالباً ـ إلى الشذوذ الجنسي . . . وغير ذلك من الرذائل التي يغـري بها الشيطان لتحقيق مآربه عن طريق فنها الجميل.

ويتعرض لهذا الإبليس ورذائله البلاد الواقعة في مدار السرطان والأشخاص المولودون فيه خصوصاً أيام الأحد والاثنين. . . والله تعالى أعلم. . .

٤ ـ الشيطان استاروث ـ ASTARALH :

(الشيطان أستاروث) رئيس وزراء الملك (ساماكس) يظهر على شكل شاب له جناحان وذراعان ينتهيان بمخالب قابضاً بها على أفعى رقطاء ممطياً (دراحون) وهو حيوان على شكل الوزن أو البورص الكبير وهو شديد البطش، جلده سميك ممتلىء بالقشور والغضاريف التي في صلابة الصخور، ونرى صورة هذا الحيوان كثيراً عندما يهم القديس (جورج) بقتله من على صهوة جواده.

ويتحكم هذا الشيطان في العلوم الهندسية والميكانيكية والطبيعة والكيمياء والاختراعات ومن يعمل فيها. . .

ولتوافر معلوماته وسعة أطلاعه نراه ملماً إلماماً تاماً بأسرار العناصر والماديات وكل ما يتعلق بطاقتها وقوتها وحركتها ومنافعها وأضرارها ويدل الانسان على استعمال الجانب المهلك فيها بقتل أخيه الانسان ويشجعه على التفنن في انتاج وسائل ومعدات التدمير. ولكي يشجعه على التمادي في عمله وشره يهيء له من أعوانه الشياطين الانسيين المتنكرين في زي العلماء والأساتذة من يشكره ويمدحه، ويخلع عليه الرتب والألقاب، ويخصص له من حكام بلاده من يغدق عليه الأموال الطائلة، ويسخر له كافة الامكانيات اللازمة لتحسين اختراعه المدمر المميت وإنتاجه على أوسع نطاق . . .

وهو يسخر منه، ومن غيره طول الوقت ويفرك يديه مسروراً لأن جمرته

الخبيثة التي أصابت هؤلاء القوم لوثت عقولهم، فاعوج تفكيرهم، وصاروا لا يفكرون إلا في كل شيء مدمر مميت وهذا غاية ما يتمناه. . .

وللشيطان عين فاحصة لا تخطىء أبداً عند اختيار الأشخاص القلائل الذين ينتخبهم لأداء رسالته، ويسخر عقولهم وعبقرياتهم ومواهبهم في صنع المخترعات ويقصر جهودهم عليها دون غيرها من المخترعات والمصنوعات فلا ترى بتاتاً عالماً أو مخترعاً يصنع قنبلة مثلاً أو صاروخاً وبجواره جهاز ما، يعود بالخير والفائدة على البشرية لأن الشيطان لا يرضى ولا يقبل ولا يعي شيئاً يسمى فائدة أو خير. . . ومن فرط ذكائه ودهائه الذي نعجز عن سد غورهما، وإدراك عمقهما أو فهمهما أنه رغبة منه في تعميم الأذى والضرر بكافة الجنس البشري لا يقصر بث روحه الخبيثة على أشخاص قلائل في حيز ضيق معلوم بل يمهد الطريق ويرسم الخطط لتسرب الأسرار المخيفة الخاصة بهذه المخترعات الابليسية، وطريقة حسابها وصنعها إلى دول أخرى ومتى تم له ذلك أوقد نار التنافس والمزاحمة بينهم فتهرول ويسرع علماء كل أمة ومخترعوها إلى ميدان المباراة الجهنمية. والتسابق الإبليسي لانتاج أقوى وأشد معدات الهلاك، ومن ورائهم الشيطان يسوقهم بسوط وقعه أليم فيبذلون جهدهم في صنع أشد الآلات دماراً وتخريباً ويتباهون بها ويعلنونها على العالم ليزيدوا من تعاسته وفزعه.

والنتيجة التي رسم لها الشيطان خطته بكل اتقان إلى زيادة التسليح، وتهديد المماليك بعضها البعض واستعدادها لحروب ساحقة ماحقة. . . ولا يغفل إبليس بتاتاً بل يعمل ترتيبه لإخراج هذه التهديدات إلى حيز التنفيذ ويغذي رؤساء الممالك وساساتها بالحجج الواهية التي يتذرعون بها للاستمرار في هذا أساطيلها الجوية والبحرية وجيوشها ومعداتها وصرف المبالغ الخيالية في هذا السبيل، وأفراد الأمم الذين ستصيبهم هذه المعدات بويلاتها يكونون في أشد الحاجة إلى كل مبلغ يصرف عليها. . . ومن الأعذار السخيفة التي يصطنعها الشيطان ويدلي بها للأمم للتنافس في ميدان التسليح قولهم «إن الاستعداد للحروب يمنع نشوبها» وهي فكرة خبيثة، ولم نر أي دليل على صحتها بل الواقع والحقائق تؤكد عكس هذه النظرية

تماماً، والحروب الماضية والقادمة تؤكد لنا ذلك فالاستعدادات الهائلة التي أعدتها (ألمانيا) في الحرب العالمية الثانية لم تمنع الحروب بل على العكس أسرعت في اشتعالها وكي الملايين الأبرياء بنيرانها. . . فاستعداد الدول الآن لمنع الحروب قول مأفوك ويستحيل أن يمنعها. . وهل يصدق أي إنسان له ذرة من العقل أن كل هذه الاستعدادات ستوضع في المخازن حتى تتآكل وتصدأ وتصبح لا فائدة لها، وأنهم يوماً سيلقونها في اليم للتخلص منها. . .؟[1].

ولننظر نظرة واحدة إلى الاختراعات المفيدة التي تقوم عليها المدنية. واستقرار البشر نجد من نفس نوعها وشكلها ما يفوقها أضعافاً مضاعفة سواء في الشكل أو العدد لفرض الإهلاك والشر. بينما نجد طائرة واحدة لنقل الركاب. . . نجد هناك من آلات الشر طائرة لقذف القنابل الثقيلة وأخرى للمحرقة، وثالثة للصواريخ، ورابعة للمطاردة وأخرى للقتال، وأخرى للاستكشاف، ونوع نفاث ونوع لهاث. . . مما لا يتوافر البته في أنواع طائرات الركاب أو غيرها: . .

أما الباخرة فتقف لها بالمرصاد البارجة والدرنوط والمدمرة والطوافة والغواصة وواضعة الألغام وزوارق الطوربيد، وللسيارة نجد المدرعة والمصفحة وقاذفة اللهب وغيرها. . . وكلها على أشكال وأحجام مختلفة.

وهكذا كلما يجهد الانسان نفسه بضع سنوات في اختراع شيء مفيد يسرقه الشيطان ويحيله إلى ضار مهلك.

فهذا إما يتبعه هذا الشيطان الممقوت عندما يوجه ضرباته القاسية إلى الدول والشعوب.

أما الذين يعملون في هذه العلوم، فقد أوجد الشيطان بينهم كثيراً من الدسائس والحروب وذلك بتقسيمهم إلى درجات الإحتقار. . . وبالتالي اللامبالاة في العمل لعلم أقلها شأناً أنه أقذر من الثاني فليقم ويعمل هو. . .

(١) كتاب السحر ـ محمد جعفر (١٨٠) ط الانجلو المصرية.

وتجد وسائل المواصلات في زماننا قد انعدمت منها كافة وسائل الراحة، وحلت بها طرق التعذيب ولا حيلة ولا طريقة لهذه الأغلبية من استعمالها في سفرهم وانتقالاتهم...

فتجد الركاب بين جالس وواقف ومتعب، حتى يدع الشيطان الفرصة للاحتكاك والتشابك والصراخ والسب، ويتيح لأعوانه من النشالين والخطافين ميداناً فسيحاً لمزاولة نشاطهم، وللعامة الذين لا يعرفون عن النظافة شيئاً مزاولة عملهم...

فحقيقة لا يوجد بيننا الإنسان الذي يمكنه استعمال ذكائه ومعارفه ومواهبه لغلبة الشيطان، وإفساد خططه عليه، أو معرفة نواياه مع كثرة الأمثلة التي يضعها الشيطان أمام الناس...

فالناس في نوم عميق... ولعلهم ينتبهون يوماً إلى هذا الإبليس فيشهرون السلاح في وجهه...

وبعد:

فالحق أن العلم يخيب صاحبه إن يكن متوجاً بالعمل الصالح، وتقوي الإله الخالق، ولقد عاش أسلافنا علماء اتقياء فسادوا الأمم وبلغوا قمة العلم، وما زالت كتبهم تدرس حتى الآن في جامعات أوروبا، وصدق القائل حينما قال:

يا ويح قومي من سخر المولى لهم
ما في الورى لكنهم جهلاء

أسلافنا فهموا الكتاب فدققوا
في الكون حتى برز العلماء

في الطب في الأفلاك في الجغرافيا
في الكيمياء فطاحل نبغاء

تركوا لنا في كل فن ثروة
من كدهم وأضاعها الأبناء

جــدوا المســير وقــد تــوقف سيــرنــا
هــل يــرتجــى لــلخــامــلين ثــراء
ذهــبــوا بعــلم ثــم بــؤنــا بعــدهــم
بــالجــهــل وهــو مــعــرة وشــقــاء
الــغــرب ســار بــضــوئــنــا حتى أتى
بــعــجــائــب دهــشــت لهــا الحــلماء
فخـذوا من الغرب الجـديـد ولا تنـوا
فــالــكــون يــدرك ســره الخــبــراء
لا بــأس بــالــتــقــليــد في عــلم وفي
فــن يجــد لــنــيــلــه الــعــظماء
أمــا المــراقص والمــهــازل فــهــي لا
تجــدى ولــيــس بهــا يــقــوم بــنــاء

ويتحكم هذا الشيطان في الدول الواقعة في مداري الحمل والعقرب، ومواليد البرجين خصوصاً أيام الأحد والثلاثاء...

والله تعالى أعلم.

٦ ـ الشيطان فوركاس ـ FARCAS:

* الشيطان (فوركاس) رئيس وزراء الملك (مودياك).

فإن جميع المساوىء والمتاعب التي تصيب رجال التعليم والتجار على مختلف طبقاتهم، والموظفين العموميين أو الخصوصيين مسؤول عنها هذا الإبليس الذي يظهر على شكل رجل مسدول الشعور له ساق وقدم قرد كبير وجسم ناحل ضامر، يمتطي جواداً هزيلاً أعجف وبيده حربه ينحس بها أعوانه ليحثهم على تنفيذ أوامره والسير في الطريق الذي يختاره لهم دون انحراف وإلا فالحربة على استعداد لردهم وردعهم، ويدل وجهه الأغبر القبيح على منتهى الخبث، وغاية الدهاء والحيلة التي يستعين بها في إنجاز أعماله. كما أن فراسته المؤسسة على التجارب والاختبارات

والمعرفة التي اكتسبها طوال عمره الرذيل لا تخطىء أبداً فيسهل عليه اختيار فريسته من الآدميين كما يحلو له.

ويجد هذا الشيطان ميداناً فسيحاً لبذر شروره في المدارس التي يديرها أو ينتظر عليها صاحبها وهو عادة من الأشخاص الجهلاء الأغبياء الغير مؤهلين، ويساوهم بزملائهم المتعلمين المتنورين أصحاب الشهادات والكفاءات، وهذا من نكد الشياطين. والشيطان هو صاحب فكرة المدارس الخاصة التي ينشأها الجهلاء والمسعورون. والتي تكون نتائجها في الشهادات العامة غالباً (لا ينجح أحد)، فالمسؤول جاهل، والمدرس مهان، فيكون الطالب فاشلاً.

إن هذا الإبليس العتيق في الشر والخسارة والإضرار بالبشر يتصرف في العلوم كيف شاء، فيأخذ العلم ويحوره، ويغيره كل عام بدليل أن سادتنا الأساتذة العلماء يؤلفون كتاباً في أي علم هذا العام فيشتريه الطلاب، وفي العام التالي يطبع نفس الكتاب بعض الحواشي والتغييرات لإجبار الطلاب الجدد على شراء طبعة العام الجديد.

وأسأل هذا الشيطان: ما السبب في عدم الاستفادة بكتاب وضعه نفس المؤلف العالم من مدة بسيطة... فالعلم واحد، والمؤلف واحد، ولم يتغير إلا الطلاب، فهل العلم يتغير بتغير الطلاب أم ماذا..؟

ولكن كيف يرضى الشيطان بطالب أو طالبة فقيرة أن تستعير أو تنتفع بكتاب مطبوع في العام الماضي...؟ ولا أدري أين تذهب كل هذه المؤلفات القديمة التي تجدد كل عام أو عامين؟ وماذا يفعل بها الطلاب بعد تخرجهم، وما الفائدة التي تعود عليهم عند تطبيقها على أعمالهم في الحياة العامة إذا كان العلم يتكون ويتغير كالحرباء كل عام أو أكثر..؟.

أما الموظفون العموميون والخصوصيون فإن معاملة هذا الشيطان لهم ظالمة غاشمة لأنهم يكونون العدد الأكبر من الطبقة المتوسطة وما دونها وأغلبهم متزوجون ويعولون أسرهم...

ومن غريب صنع هذا الشيطان أنه سن لهم قانوناً شيطانياً يسري على الجميع كبيرهم وصغيرهم وهو (الافلاس التام) من أوائل الشهر حتى يجبر الموظف على التفكير في مطالب الحياة مدة لا تقل عن عشرين يوماً في الشهر الواحد)[1].

ومن دهاء هذا الشيطان أنه حدد السن التي يعمل فيها الموظف بخروجه على سن الستين... وليدلني هذا الإبليس على أي جهاز مصنوع من أجود أنواع الصلب يعمل أربعين عاماً مثلاً دون أن تجري له (عمليات تجديد وإصلاح... ولكن من أين نأتي للإنسان بقطع غيار...

ويدخل الموظف شاباً قوياً عفياً فتياً ويخرج من وظيفته محطماً مطحوناً شبه أعمى ولا يلبث بعد معاشه حتى يصاب بأنواع الأمراض والعلل.. لماذا لا نترك الإنسان حسب إمكانياته وطاقاته الخاصة...؟

لماذا نحدد عمراً لذوي العطاء والصحة الجيدة...؟ فيكاد يقتل كمداً وحزناً... فلا يجد إلا المقاهي غالباً...

لماذا لا نعفي من لا قدرة له على العمل ونحيله إلى عمل أخف... أو نعطيه اجازة غير محدودة حتى يمكنه من العطاء بعد ذلك...؟

أما التجارة فهي أوسع وأفسح الجهات التي يمارس فيهم هذا الشيطان خباثته، لأن كلمة تاجر تعني صاحب المحلات التجارية التي تتعامل بالآف من الجنيهات، وكذلك صاحب المحل الصغير الذي يتعامل بالقروش... الخ فكليهما وظيفته حرة مستقلة... والجميع يتساوى في مبدأ المعاملات التجارية وهو مبدأ (أعطني أعطيك) (ولذا يجد الشيطان ثغرات كثيرة ملتوية متعرجة معوجة في هاتين الكلمتين، ويجعل الأمر مقصوراً على كلة واحدة منهما فقط والأغلب (أعطني) فتتولد المنازعات والخصوومات ويسعفها بالحجوزات ثم الإفلاس للطرفين، ولا يبقى أعطني ولا أعطيك... وقد احتاط الشيطان لجميع الاحتمالات الممكنة لكساد الأسواق في ناحية ونشاطها في ناحية أخرى وسلط على هذه الأسواق فئة من

---

(١) السابق بتصرف (١٨٧).

أعوانه يتلاعبون بها تحت حجة (العرض والطلب)... كما اخترع لهم (قنبلة) ألقاها في وسطهم على هيئة (بورصة العقود) فترى ثروات تجمع وتفنى في لحظة...

ففي هذه البورصة يتعاقد التجار على أشياء لا يملكونها ولم يرونها ولم يلمسونها ولا يعلمون مصيرها وهذا أشد أنواع الخبث... وهل يوجد مكر أشد من المضاربة على أشياء خيالية تذهب فيها الأموال الطائلة دون سبب، وتعود نتيجة المضاربة فيها إلى عوامل خارجة تماماً عن سيطرة وقوة المتضاربين...؟ وهل هناك أغبى من رجل يعرض ماله وحياته لأمر لا يدرك عواقبه ويعجز عن الاحتياط له... وما أغناه عن كل ذلك...

ولكن هذا الإبليس يهيء له سبيل الثراء الفاحش في بضعة ثوان وهو جالس مستريح عن طريق هذه البورصة فيسرع إليها منتفخ الأوداج مرفوع الرأس شامخ الأنف، ويخرج منها بعد لحظات مخلوق آخر مطاطيء الرأس، ذليل النفس، كسير القلب مفلس...

أما أصحاب المحال التجارية فلا يمحوا لأغلبهم الكسب إلا عن طريق الغش، والاختلاس في السلع والميزان، فلا بأس من دس البضائع المخزونة التالفة مع الجديدة، ولا بأس من خلط الشحم بالسمن، ولا ضرر من دس البضائع المخزنة التالفة مع الجديدة ولا ضرر من غسيل اللبن بالماء، حتى الخبز تدخل في صناعته الرمال والدوبارة وقطع غريبة. والطيور تنفخ بالحب وتغرق بالماء أو تحشى بالزلط لتزيد في الميزان، والفواكه يتعجل المزارع في جنيها خضراء وغير ناضجة لتباع في الحال، ولتؤذي الانسان بنزلات معوية وغيرها من الأمراض مع قلة الأطباء...

أما محلات المزادات العمومية التي تباع فيها الأشياء القديمة الهالكة بعد محاولات إصلاحها ودهانها ولفها بورق براق، فهي أحط ما اخترعه هذا الابليس فيهيء لها أخصائيون يمشون بالشوارع وينادون طوال النهار، ويخصصون الأعلانات الكاذبة، والدعاية المغرية، فهناك تكتب تصفية، وهنا تكتب تضحية،

وكل هذا غش وتمويه لإيقاع الناس في حبائل الشيطان. وابتزاز أموالهم... وقس على ذلك بائع الخضار الذي يشحنه بالماء، وغيره من الباعة المتجولين المملوءة بهم الحارات والأزقة بسلعهم المغشوشة)[1].

فتلك من وسوسة الشيطان، ومكايده في تجارة بني البشر، فنجم من فسادها الأضرار بالناس... فقلما تسلم من تاجر...

فمتى يعلم الناس مصايد الشيطان ومكايده التي كادها لهم. ورسمها لإذلالهم، وخططها لإحلال غضب الله عليهم...؟

ومتى يعلمون أنهم بالإسلام يبلغون غاياتهم، ويحققون مآربهم ويصلون إلى القوة التي لا تغلب؟

ويحكم هذا الإبليس الممالك الواقعة في مداري برجي الجوزاء والسنبلة والمولودين في البرج الأخير خاصة أيام الأربعاء والاثنين... والله تعالى أعلم...

٦ ـ الشيطان مارشو كياس:

الشيطان «مارشو كياس» رئيس وزراء الملك سوت.

(ذنب أسود جائع لا يشبع ولا يقنع يلفظ من فمه اللهب، يلعق به النساء، فتشتعل في أجسادهن نيران الغيرة، وتظهر عليهن أقبح الصفات الكامنة.. له جناحان عظيمان يحملان جسمه النحيل بسرعة فائقة إلى أي مكان، وهو لا يسير كباقي فصيلته على قوائمه الأربع، بل يغير ويقفز على فريسته ويضربها بذيله الطويل القوي فيلهب عاطفتها، ويجمع خيالها، فتثور وتهذي ويصيبها بنوع من «الهستريا» الشديدة التي تهيء لها الموت في كل لحظة، فتبكي من لا شيء، وتثور من لا شيء، ولا تعرف لها سبيلاً، ولا تفعل ما يدور حولها، ولا تقدر ظروفاً ما، فتنقلب حياتها، ومن يعيش معها جحيماً لا يطاق. ويتحكم هذا الشيطان بصفة كبيرة على نساء العالم والملاك أصحاب العمارات، ومحلات الزينة وصالونات (فن

---

(١) كتاب السحر (١٩٠).

التجميل) وله تأثيراً على (الجزارين) وتجار الأعلاف التالفة)[1].

وله تلبيس واضح على ملاك العمارات سواء في عقود الإيجار، أو عقود التمليك، ومكايده شكلت عبئاً على الناس في عصرنا إذ أن المالك يستطيع بطريقة أو بآخر النفوذ من ثغرات القانون... فيحقق مآربه، ويفلت من عقاب الدنيا.

ومن بدائع هذا الشيطان محلات الزينة والأزياء التي تتبدل، وتتغير بعدد ساعات الليل والنهار الذي يأخذ على كل النساء تفكيرهن ووقتهن... ولما كان هذا الإبليس يعلم حق العلم أن النساء ناقصات عقل ودين. (وهذا لا يسيء إليهن) فقال صنع لهن ما يبهر هذه العقول من مجوهرات زائفة تباع بأثمان باهظة، عبارة عن قطع من النحاس المركب عليها بضعة قطع من الزجاج الملون المرقط أو المنقوش... والغريب أن السيدة المهذبة المثقفة تدفع لهذا المزيف مع علمها بحقيقته.

وله عجائبه في أنواع «موديلات» الملابس الداخلية والجوارب والقبعات والشنط والأحذية وغيرها مما تهتم به النساء كل الاهتمام لأنه متعلق بأهم ما تعنى به في هذه الحياة حتى أصبح شغلها الشاغل جمالها وجاذبيتها وأناقتها ـ إلا من رحم الله ـ ولما كن صديقات الشيطان فقد اخترع لهن حديثاً المساحيق والدهانات والزيوت والعطور بأنواعها المتعددة، فترى نساء كثيرات ممن بلغ أجلهن وكبر سنهن، وأصبحن جدات يسرن متزينات متعطرات... ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن مكايده عليها أنه يزين لها دائماً أنها ما زالت «صبية» ما زالت تتمتع بالجمال والأناقة والجاذبية... رغم أنها تنظر في المرآة وترى سحنتها كل يوم... ولكنهاتصر على صبغ وجهها وطلاء أظافرها وغص حاجبيها... الخ.

ولتخصص هذا الشيطان في التلبيس على المرأة، فإنه قد استطاع أن يلم بنقط ضعفها والمنافذ إليها... كما تقولون في الأمثال: «الشيطان لعبته المرأة» كما

---

(١) كتاب السحر (١٩١)

أن بعض الرجال لعبته المرأة، ولذا قيل «الشيطان هو المرأة» وأخالفهم في هذا المثل».

فكم رأينا عفيفات طاهرات ناقيات حافظات لدينهن، صالحات بلغن ما لم يستطع كثير من الرجال أن يبلغوه . . .

ولكن. . . رأينا بعض النساء أشد من الشيطان دهاء، وأكثر منه تلبيساً وفكراً وخبثاً. . . وأقوى منه كيداً ولؤماً، فهي شيطان يمشي على الأرض. . . ذلك أن الرجل أحياناً سواء أكان أباً أو أخاً أو زوجاً. . . يلبس الخنوع ثوباً، ويقلب موازين الأخلاق. . . فيرخي الحبال تحت ستار الرحمة. . . ويتجاوز تحت كلمة الانسانية. . . فهذا التيس المستعار. . . فإذا ما فلت الزمام ترى المرأة نفسها قادرة على المضي في سبيل المجد كما تراه، فإذا ما غوت وصلت إلى الفجور والعصيان. . . ولقد قلنا قبل ذلك «لولا الرجال ما فسد النساء».

والحق. . . إن الرجل قد أخطأ خطأ فاحشاً، وأخطأ معه المسؤولون الذين صرحوا بمحلات التجميل «الكوافير للسيدات» فليست مهنته ولا حرفته ولذا فإن الشيطان قد عاقبه ـ وهو صاحب التلبيس عليه ـ فسلط عليه أقوى ما تملكه المرأة وهو لسانها. . . فهذا الشيطان هو المسؤول الوحيد عن إصابة الحلاقين بداء الثرثرة وتقصعهم وتمايلهم أثناء تأدية أعمالهم، كما يقال أن (قرقعة) المقص بدون فائدة التي صارت عند حلاقي العالم من باب «لزوم ما لا يلزم» فيتهيأ له أن الحلاقة لا تتم إلا بها.

ولقد قيل عن طائفة الحلاقين أنهم أكثر الناس (برودة) لتداخلهم فيما لا يعنيهم، وتلفظهم لأخبار الناس، وأسرارهم ثم إفشائها. . . إلا أننا نخالفهم فالحكم على طائفة حكماً قاطعاً دليل الجهل والغباء. . . كالحكم على أهل بلدة أو مدينة بصفة مبتذلة أو بغيرها. . . فالناس يتباينون ويختلفون من إنسان لآخر.

ولأن الحلاق لا بد وأن يشغل (زبونه) ببضع كلمات فقد تعود عليها خلال قيامه بعمله. . .

ولكن الغريب حقاً في أمر هؤلاء الرجال الذين يعملون في تزيين النساء،

فكيف يعيشون، وبأي شيء يشعرون؟ وهل هم متزوجون؟... ومن تكون نساؤهم. الله أعلم.

ويحكم هذا الشيطان الممالك الواقعة في برجي القوس والحوت ومواليد الجنس اللطيف في البرج الأخير خصوصاً أيام الخميس والجمعة... والله تعالى أعلم.

٧ ـ الشيطان ثيوتوس:

الشيطان «ثيْوتوس» رئيس وزراء «سارايوتروس»

وهو ذرية نساء الشياطين من رجال الإنس لـه شكل آدمي التكوين هائل الجسم شديد البأس، وجهه غليظ كئيب يكسوه الشعر الكثيف الغزير الذي يعم سائر جسده... له قرنان عظيمان يمتاز بهما عن باقي الأبالسة، ولهما مغزى خاص... وله ابتسامة هزيلة مغرية وخبث وضرر يستعين بها على تخدير ضحاياه حتى يطمئنون إلى جانبه فيوردهم موارد الهلاك...

ويسوس هذا الإبليس على أصحاب البارات، وما شاكلها وعلى البنوك والشركات الوهمية المزيفة، والمرابين والموسرين، شيوخاً وشباباً الذين يخلدون للراحة، فكل تفكيرهم متعة النفس وإشباع الغِريزة، وهو شيطان المجرمين واللصوص، وتجار المخدرات والمهربين والدجالين والمشعوذين، وكل من يلجأ في كسبه بطريقة ملتوية، كما يختص بالوسوسة إلى النساء المستهترات العابثات الماجنات.

والمشاهد في أعمال هذا الشيطان أن خططه تنفذ سراً... لأنها ضد كل قانون وعرف وشرف...

أما أصحاب البارات فهم فعلاً شياطين الإنس، اختلطت بهم لتسومهم سوء الأذى والعذاب، فقد جاءوا إلى الدنيا للهلاك... وعندما اخترع الشيطان الخمر اخترعها على شكل سائل لا أجساماً صلبة يرمي بذلك إلى سهولة استعمالها وهذا يؤدي إلى استهلاك أكبر كمية منها في وقت قصير، وأيضاً سرعة

هضمها، وتسربها إلى الدم، ومنه إلى أعضاء الجسد فتتلفها، وحتى تلائم جميع الطبقات فيقبل عليها الغني والفقير.

ولما كان اليهـود الأعظم بين الناس عوامهم «الطبقة الكادحة» المثقلة بأعباء الحياة وكثرة مطالبها، فقد زين لهم الشيطان تعاطي الخمور بحجة أنها تمنع الفكر وتزيل الانشغال وتعطيه انبساطاً ومزاجاً طيباً. . ووضع لهم أعذاراً يقولونها لتزييف الحقائق وعكس الوقائع. .

فالمهموم أو المكروب أو المحزون عندما يشرب الخمر لينسى همه أو غمه فإن أول ما يحدث هو العكس تماماً فتزيد من همومه وغمومه، وكلما ازداد شراباً ازدادت صورة غمه أو همه فتراه يتفوه بها ويقاتل وهو سكران من أجل إزالتها. . . ويظن أنه يزيلها. .

ويغري الشيطان الإنسان بشرب الخمر ليظهر ما خفي من عيوبه، ورغباته الجامحة، لأن أول مفعول الخمر يسري إلى العقل، فيضعف قوة الإرادة ويقوي العاطفة، ويثيرها، ويهيجها ويدفع المخمور وراءها فيأتي أعمالاً لا يمكنه إتيانها وهو في حالة طبيعية. . . وبعد ذلك نلتمس لهذا الكادح الذي حرم زوجته وأولاده متاعاً من متاع الحياة ليشرب الخمر ويقول «يريد نسيان الهم». فينسى ما يصنعون. . . وساء ما يفعلونه. . .

وهناك قوم من ضعاف الأخلاق والشخصية أمام المال والشباب والفراغ، وهي أقوى وسائل الشيطان التي يستخدمها في الإغراء لارتكاب جميع الموبقات. . . نراهم يعكفون على الخمور لا لسبب البتـة سوى ما يهيئه لهم هذا الإبليس من دواعي (الفرفشة، والنغنشة) حتى تنقلب إلى ادمان يفقدون معه صحتهم وكرامتهم. . .

ويروق لهذا الشيطان الكبير مصاحبة الموسرين من الشباب والفتيان والشيوخ .

فترى الشاب الثري ينفق كل وقته وماله على النساء، حتى يهديه هذا الإبليس بلعبه من لعبه تذهب بكل ما يملك. . . ويلذ لهذا اللعين التلاعب

بالشيوخ الموسرين، ويطعنهم في هيبتهم وسمعتهم التي حرصوا عليها طوال حياتهم، وكانت سبباً في ثرائهم عن طريق المراكز الخطيرة المتميزة التي شغلوها، فتجد شيخاً ثرياً محطماً وقد أخلد للراحة من عناء نصب السنين، ومشكلات الدهر ـ تراه يفكر في متعته ولذته التي ضاعت أيام شبابه فيتزوج من فتاة في سن أحفاده، فتأتي على البقية الباقية من عمره، ويترك وراءه فضيحة أسرته، وتلوث سمعته وقضايا يورثها لأهله...

ومن عملائه وأعوانه أصحاب البنوك المزيفة، والشركات الوهمية التي لا أساس لعملها إلا النصب والاحتيال، ولها طرق عجيبة في اصطياد وضحاياها من بين الفقراء، وطلاب الوظائف وما يشترونه يومياً للفت أنظار الفقراء من إعلانات، ودعايات باطلة، ومكافآت مزعومة، ومزايا عجيبة غريبة وكلها مصايد مخططة للاحتيال والنصب...

أما المرابون وهم أحط طائفة الأبالسة فهم شياطين من الإنس فلا تقتصر حياتهم وأعمالهم على الربا، بل (الربا الفاحش) وهذه الصفة ألعن، ما يمكن أن تنعت به أي رذيلة... وهم مولعون بتعذيب عملائهم، والحط من كرامتهم، وإشعارهم بأنهم محتاجون لهم يتلذذون عندما يتمسح بهم صاحب الحاجة، ويتوسل ويستعطف ويسترحم وهم عنه معرضون ويرفضون رافعين أنفوهم...

ويدخل في تخصص هذا الشيطان جرائم العمل، فهي أبشع جريمة ينفر منها الإنسان والحيوان، وقد حرمتها جميع الأديان والشرائع السماوية، وعملت الحكومات على دفع ضررها بكل الوسائل.

ولما كان القاتل يقدم على جريمته وهو يعلم تماماً أن مصيره إلى الإعدام وذهاب روحه إلى الجحيم... فإن القتل جريمة من نوع خاص بخلاف باقي الجرائم كالسرقة والنصب والتزوير... الخ. حتى الدعارة التي تولدها الظروف في نفس خبيثة.

فاللص يمتنع فوراً متى قطعت يده، والعاهرة متى شاخت... ولذا لا تجد قاتلاً يعيش إلى سن متقدمة... وهذا لا يمنع أن يتحول اللص قاتلاً...

وأهم صفات القاتل انعدام العاطفة فلا يشعر ولا يتألم البتـة، ومن صفاته الأنانية والشك في كل ما حوله ، ومـن حـوله ، والغبـاء ، والعمـل في الخفاء ، والجبن الشديد، لأن القاتل إذا علم أن الذي يريد قتله مستعد لمقابلته يمتنع عنه فوراً. . . فهو لا يعمل إلا في الخفاء والظلام بعد تدبير الخطة لها. . .

وإذا كان القاتل شجاعاً فلماذا يهرب بعد ارتكابه جريمته. . . ؟ ربما يجيب البعض بأن هربه حفاظاً على حياته. . ؟ ولكن هذا التعليل يستحيل عليه مهما أمعن في الهرب لأن سيده الشيطان بعد ما دفعه إلى الجريمة يهيء كل الأسباب للقبض عليه حتى يعدم «ويقال أنه يستلم روحه الخبيثة في أغراضه الخاصة»[1].

وفي الأحوال النادرة جداً التي يتمكن فيها القاتل من الهروب فلا بد أن يلقى مصرعه مقتولاً .

والقاتل نجده في جميع الطبقات فلا تأثير للتربية ولا الثقافة أو الوسط عليه. . . فلا دواعي الغضب أو الشرف ولا الانتقام وغيرها وهي أمور معرض لها الإنسان في حياته يمكنها أن تجعل من الشخص قاتلاً[2].

واللص يسرق ليعيش، والقاتل يقتل ليعدم. . . فهناك فرق بين من يطلب الحياة ومن يطلب الموت. . . وعندما يقوم اللص على السرقة لأول مرة ترتعد فرائصه، ولكن صديقه الشيطان يشجعه ويدله على طريق الخلاص حتى إذا ما (تمرن) عليها احترفها، فيقبض عليه ويسجن ثم يعود وهكذا حتى تثقل يداه فيتسول.

ومن تخصص هذا الشيطان إغراء النساء على الفساد، فهو سبب تعاسة الأزواج، وعناد الزوجة مع زوجها، وهو الذي يتسلط على لسانها فتقذف بكل قبيحة زوجها وتتفنن في مضايقته وهو الذي يغريها بالطلاق منه حتى تتزوج ممن

---

(١) راجع كتابنا (السحر في ظلال القصص القرآني والسيـرة النبويـة) ص ٨٥ « القرين » طـ مكتبـة القرآن .

(٢) راجع كتابي د- س- لامبروزو.
«The Maleoffender and The fenale offender».

يعرف مكانتها وقدرها. . . حتى إذا ما طلقت ونالت بغيتها ضحك عليها وتركها فريسة للحسرة والندامة. . .

وهو الذي غرس الكراهية بين والدة الزوج وزوجته بدل إنماء الحب والمودة حرصاً على العلاقات الزوجية والهناء العائلي، ولعلك إن بحثت عن سر عداوة ما تراها بينهما لا تجد لها سبيلاً أو داعياً. . . لكنه دهاء هذا الإبليس.

وهو المسؤول عن روح الغيرة بين النساء فلا تجد سيدة تمتدح أخرى بل العكس حتى ولو كانت شقيقتها أو أعز صديقاتها. . . إلا من رحمة الله. . .

وهو شيطان الدجالين والمشعوذين، وكلهم يشبهونه في حركاته وسكناته، وإذا أمعنت النظر إلى وجه أي دجال أو مشعوذ تراءى لك الشبه العجيب بينه وبين الهيئة الشيطانية. . .

فلا تعجب عندما تسمع عن رجال استدرج سيدة مهذبة وسلبها مالها برضاها، ولما كان أغلب البشر يرون هذا الدجال أنه على اتصال بالجن والعفاريت يسخرهم لصالحه فإنهم يتهافتون على خدمته لصلاح زوج أو مجيء محبوب. . . ويبلغ في فن وقدرة هؤلاء الجهلة أنهم يعدون وسائل خاصة تبدو غريبة لعقول الأبرياء حتى يجزم صحة ادعائهم واتصالهم بالشياطين.

فتسمع وأنت في جلستهم أصواتاً من تحت الأرض أو ركن الغرفة وكل هذه حيل أعدوها بتوصيل أنابيب في الحائط فيتكلم فيها أعوانهم، أو بطرق الوهم، فيتوهم الجالس أنه في حضرة الشياطين، فتأخذه غمرة الرهبة والرغبة لقضاء حاجته فلا يؤخر لهم طلباً، ولا يزالون به يحتالون عليه حتى يفتضح أمرهم. وتأكيداً لقدرته. . . لا بد للدجال من الاستعانة بطلاسم وأحجية، وتعاويذ لإتمام الخدعة. . . فهذه ورقة مكتوبة بحبر الشيطان، وتلك بيضة منقوشة بخاتم إبليس الأزرق، وهذه ورقة تتبخر بها السيدة، وهذه أخرى تدقها، وثالثة «تبلها وتشربها». . . الخ.

ويحكم هذا الشيطان الممالك الواقعة في مداري الثور والميزان والمولودين في البرجين خصوصاً أيام الخميس والجمعة. . . والله تعالى أعلم.

٨ ـ الشيطان بعلزبوب:

انتهينا إلى وصف مملكة إبليس وملوكها السبعة، والأعمال المكلفين بها، ولكن يوجد شيطان آخر لا يعد من ملوك الشياطين بل أعلى مرتبة منهم وهو همزة الوصل بينهم وبين الشيطان العظيم الأكبر (إبليس) ويدعى هذا الشيطان (بعلزبوب) وقد اعتقد كثير من السحرة أنه إبليس نفسه... لظهوره في الحفلات السنوية[١].

وحقيقة الشيطان (بعلزبوب) أنه نائب زعيم أو رئيس ملوك الشياطين ويظهر شكله على شكل ذبابة جداً... وربما كانت كلمة «ذباب» مشتقة من اسمه لتشابه المقطع الأخير من اسمه (ذبوب) بلفظ ذباب... وهو الموكل بجميع الحشرات الظاهرة والخافية من ذباب وبراغيث وبق وصراصير وغيرها... فهي ضرر بالإنسان، تلحق الأذى منه...

وقد تكرر مراراً ذكر هذا الشيطان البلعزبوب وأخذ شهرة واسعة بين السحرة لما يسببه من أمراض ومضايقات للملوك شخصياً ومن هم في درجاتهم...

هذا... ولكل رئيس وزراء من المذكورين مجلس مكون من أربعة وزراء حسب فصول السنة وكل وزير يعاونه وكيل وزارة، واثنين بدرجة «مدير» وكلهم من عظماء ونبلاء الشياطين...

فمثلاً الشيطان (باعل) رئيس وزراء الملك ميمون يساعده كل من الوزراء (أبو ماليث) في فصل الشتاء و(عصايبي) في الخريف و(باهيديث) للصيف، و(فالى) للربيع...

ومن وكلاء الوزراء نجد اسم (مراثون) و(ساشيان) ومن المديرين (مديرين) و(باثيو) و(بليال)... الخ.

واليوم في مملكة الشياطين مقسم لأربع وعشرين ساعة كلها ليل، وكلها

---

(١) أنظر كتابنا (السحر) الباب الثالث، طـ مكتبة القرآن.

عمل شاق للجميع فلا نوم ولا راحة ولا أجازة طارئة ولا عادية ولا سنوية حتى في أعيادهم ومواسمهم محرومون من كل راحة، وكيف تتفق الراحة وهي مفيدة مع الشر وهو أذى. . .؟ ولكل ساعة شيطانها المخصوص، فالساعة الواحدة صباحاً الشيطان (بايان) والثانية (سانور) والسادسة (ثامور) وهكذا. . .

ويبقى أن نذكر. . . أن لكل ملك من ملوكهم أو وزير أو كبير أو صغير دائرته السحرية، ورموزه وتلاواته وشعائره، وألوانه وبخوره، الأمر الذي يجعل من مهنة الساحر أمراً شاقاً وفي منتهى الخطورة. . .

الباب الرابع

دولة إبليس في القرآن والسنة

عن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام يقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا فقال لها: على رسلكما: إنها صفية بنت حيي فقالا سبحان الله يا رسول الله، قال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً أو قال شراً»[1] أ. هـ.

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم قلنا، ومنك يا رسول الله؟ قال، ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلم»[2] أ. هـ.

قال الشافعي تعليقاً على الحديث الأول: خاف النبي ﷺ أن يقع في قلوبهما شيء حين أمره فيكفرا، وإنما قال ذلك شفقة عليهما لا على نفسه أ. هـ. وقيل فيه استحباب.

الاحتراز من كل مكروه مما يجري به الظن أو يخطر بالبال، قال علي رضى الله عنه «إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره» أ. هـ.

---

(١) أخرجه الشيخان وأحمد.

(٢) أخرجه أحمد.

هرب الشيطان من الآذان:

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان له صراط حتى لا يسمع الآذان، فإذا قضي الآذان أقبل، فإذا ثوب بها أدبر، فإذا قضى أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول له: أذكر كذا، أذكر كذا. لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى» أ. هـ[١].

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «إذا أذن المؤذن هرب الشيطان حتى يكون بالروحاء وهي من المدينة ثلاثون ميلًا» أ. هـ. رواه الامام أحمد، ورواه مسلم فقال: الروحاء من المدينة على ستة وثلاثين ميلاً، وفي هذا فضل عظيم للآذان فإن الشيطان يدبر منه ولا يدبر من القرآن» ذكره ابن عبد البر.

وقال ابن عباس: «وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً»[٢] :

المراد الشياطين وقال ابن زيد: المراد به المشركون.

وقيل المعنى «وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده» قول لا إله إلا هو وأنت تتلو القرآن وإنما يدبر الشيطان من الآذان لئلا يسمعه، فيضطر إلى أن يشهد له بذلك يوم القيامة لقوله ﷺ.

«لا يسمع صوت المؤذن جن ولا أنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة، وقيل ليأسه من وسوسة الانسان عند الإعلان بالتوحيد».

قال مالك: استعمل زيد بن أسلم على معدن بني سليم، وكان يصاب الناس فيه من قبل الجن، فشكوا إليه ذلك فأمرهم بالآذان فارتفع ذلك عنهم إلى اليوم... قال مالك: وأعجبني ذلك من رأى زيد.

وذكر وكيع أنه ذكر الغيلان[٣] عند عمر رضي الله عنه فقال: ليس شيء

---

(١) متفق عليه.
(٢) الأسرار: ٤٦.
(٣) الغيلان: الجن تأتي بالليل، وقيل: هم سحرة الجن... وأريد بها هنا المعنى الثاني.

من خلق الله يتحول عن خلقه الذي خلق عليه ولكن لهم سحرة كسحرتكم، فإذا أحسستم من ذلك شيئاً فأذنوا بالصلاة. . . هذا الفضل يدل على عظمة الصلاة، وأن الشيطان يجتهد في الوسوسة في الصلاة لأنها حالة قرب للمؤمن ومناجاة فيريد اللعين إفسادها أو تنقيصها عليه مهما أمكنه ولا شك أن عمل القلب لا يبطل الصلاة ولو كان أمراً محرماً[1].

مبيت الشيطان على خياشيم ابن آدم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فليتوضأ وليستنثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت على خياشيمه»[2].

قد يقال: إن الشيطان إنما بات على خياشيمه لبعده عن مواقع العبادة فإن العين باب النظر إلى خلق السموات والأرض، قال تعالى: ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾[3]. فهي باب العبرة والفهم باب الفكر ﴿ فاذكروني أذكركم[4] واذكروا الله لعلكم تفلحون ﴾[5]. والأذن سماع ذكر الله وآياته، قال تعالى: ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾[6]. وليس في الخياشيم شيء من هذه المعاني، ويجوز أن يدخل الشيطان في الإنسان من طريق الخياشيم، فالناس يقولون لمن ظهر فيه كبر: نفخ الشيطان في منخره، قال الحجاج في خطبته: يا أهل الشقاق والنفاق: نفخ الشيطان في مناخركم حين قلتم: مات الحجاج فمه وهل يرجو الحجاج الخير كله إلا بعد الموت».

ولهذا قال النبي ﷺ: «التثاؤب في الصلاة من الشيطان فإذا ما تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع» أ. هـ.

---

(١) مصائب الإنسان (٢، ١).
(٢) متفق عليه.
(٣) الذاريات: ٢١.
(٤) البقرة: ١٥٢.
(٥) الجمعة: ١٠.
(٦) الزمر: ١٨.

والخياشيم باب ظاهر ليس له طبق والعين والفم لها طبقات فلا يجد العدو إليه سبيلاً كما لا يجد إلى السقاء إذا أوكى، وذكر اسم الله عليه، وإلى الباب إذا أغلق سبيلاً.

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ.

«اغلقوا الباب واوكئوا السقاء واكفئوا الإناء واطفئوا المصباح، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً ولا يحل وكاء ولا يكشف آنية وإن الفويسقة تقوم على بيوتهم.

«وقد اختلف الناس في قوله ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً فإنه لا يدري أين باتت يده» أ. هـ.

لأي معنى أمر الشارع بغسل اليد ها هنا..؟

قال القاضي أبو يعلى وأصحابه: هذا تعبد محض لأنه ليس بنجاسة حقيقية، ا. هـ.

وقيل هو معلل يوهم النجاسة، وقال آخرون: إنه من مبيت يده ملابسه للشيطان لأنه ﷺ أمر بغسل الخيشوم معللاً بميت الشيطان عليه، فعلم أن ذلك سبب للغسل غير النجاسة والحدث المعروف.

وقوله: «فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده يمكن أن يراد به ذلك فتكون هذه العلة من العلل المؤيدة التي شهد لها النص بالاعتبار». ا. هـ[1].

نصب الشيطان عرشه على الماء:

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول: ما صنعت شيئاً ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله فيدنيه أو قال فيلتزمه، ويقول أنت»... رواه مسلم.

---

(١) مصائب الإنسان لابن مفلح المقدسي (١١١)

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «إن إبليس يبعث جنوده إلى المسلمين فيقول: ايكم أضل رجلاً ألبسته التاج، فإذا رجعوا قال لبعضهم: ما صنعت، قال: ألقيت بينه وبين أخيه عداوة، قال ما صنعت شيئاً سوف يصالحه، ثم يقول للآخر فأنت ما صنعت، قال ما زلت به حتى طلق امرأته، قال: ما صنعت شيئاً، سوف يتزوج أخرى، فقال للآخر فأنت ما صنعت؟ قال ما زلت به حتى شرب الخمر، قال: أنت أنت ثم يقول للآخر ما صنعت؟ قال: ما زلت به حتى قتل فيقول: أنت أنت» رواه الإمام أحمد في مسنده.

قال الشيخ محمد بن مفلح المقدسي:

«واعلم أن الطلاق قسمان: أحدهما أن يكون محرماً أو مكروهاً وذلك عند استقامة الحال من حسن العشرة والصحبة والمحبة والقيام بحقوق الله تعالى، وأداء الزوجة ما يجب عليها من طاعة الزوج ونحو ذلك، والطلاق في هذه الحالة إما حرام أو مكروه على اختلاف العلماء.

والثاني: أن يكون الطلاق واجباً أو مندوباً وذلك على الشقاق والعداوة والمضارة وسوء العشرة وترك حقوق الله من الصلاة وتعاطي المنكرات ونحو ذلك مع عجزه عن تغيير ذلك، فالطلاق في هذه الحالات إما واجب أو مستحب على اختلاف العلماء.

فيحمل الحديث الأول في فرح الشيطان بالطلاق والفراق بين الزوجين على الحالة الأولى، فإن فرقة المتحابين المجتمعين على الطاعة والحلال هلاك لكل واحد منهما في الزنا، وإرتكاب الفواحش الظاهرة والباطنة والسحر والعداوة، وتشتت القلب وربما يكون ذلك وسيلة إلى عودة إليها حراماً، ويحمل الحديث الثاني في قوله «ما زلت به حتى طلق امرأته قال ما صنعت شيئاً سوف يتزوج أخرى» على الحالة الثانية إذا كان الطلاق مندوباً أ. هـ[1].

---

(١) السابق: (١١٢)

نصب راية الشيطان:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ما من خارج يخرج إلا ببابه راية ملك، وراية شيطان، فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته» أ. هـ. أخرجه الإمام أحمد.

وعن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة غدت الشياطين برايتها إلى الأسواق فيرمون الناس بالترابيب، ويثبطونهم عن الجمعة، وتقوم الملائكة فتجلس على أبواب المسجد فيكتبون الرجل من ساعة، والرجل من ساعتين حتى يخرج الإمام» رواه أحمد، وأبو داود عن سلمان الفارسي.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنـه قال: قال رسول الله ﷺ. «من قال في سوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير، يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، كتب الله له بها ألف ألف حسنه ومحا عنه ألف ألف سيئة، وبنى له بيتاً في الجنة» أخرجه الإمام أحمد، والترمذي في جامعة، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول».

بكاء الشيطان:

قال ثابت الغباني: بلغني أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار» رواه مسلم.

---

(١) آل عمران: ١٣٥، ١٣٦.

وقد احتج به من أوجب سجود التلاوة فذكر عنه الأمر بالسجود ولم يعقبه بإنكار فدل على أنه صحيح، والأمر للوجوب، وهذا قول سفيان الثوري وأبي حنيفة وأصحابه، وأجيب عن هذا الاستدلال بأن تسمية هذا أمراً من كلام إبليس ولا حجة فيه.

فإن قالوا: حكاه النبي ﷺ ولم ينكره (قلنا) قد حكى عن غيره من أقوال الكفار ولم يبطله حال الحكاية ثم المراد به أمر ندب لا إيجاب فإن السنة قد دلت على عدم الايجاب وهو قول أكثر العلماء.

وجاء عن أربعة من الصحابة عمر، وسلمان، وابن عباس، وعمران بن حصين وقد احتج الإمام أحمد على هذا بحديث زيد بن ثابت: «قرأت على النبي ﷺ والنجم فلم يسجد فيها» متفق عليه... وعند الدارقطني «فلم يسجد منا أحد ولما لم يذكر زيد سبب ترك السجود على أن تركه لأجل أنه مخير.

وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر سورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال أيها الناس من سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه، ولم يسجد عمر» رواه البخاري، وله في رواية، قال عمر رضي الله عنه «إن الله لم يفرض السجود إلا أن دليلاً ظاهراً على إجماعهم واعتذرت الحنفية عن قول عمر رضي الله عنه بأنه نفي الفريضة لا الوجوب وهم قد فرقوا بين الفرض والواجب. قلنا: لو كان سجود التلاوة واجباً لما تركه لا سيما في المقام الذي يتأسى به الناس.

ولأحمد رواية ثالثة أن سجود التلاوة يجب في الصلاة خاصة وقال في رواية صالح لا يجب سجود التلاوة، واحتج بحديث زيد في النجم، وبحديث عمر على المنبر، ثم قال أحمد: إلا أنه إن قرأ بها في الصلاة، فيجب أن لا يدع السجود وهو في الصلاة فإنه أوكد منه في غير الصلاة وقال في رواية الأثرم وحنبل إن كان في الصلاة فأحب أن يسجد لأنه أوكد فجعل من جعل من الأصحاب هذه رواية ثالثة، ويحتمل أن يكون ذلك تأكيداً للاستحباب في الصلاة لأنه لو وجب في

الصلاة لبطلت بتركه لأنه بالتلاوة صار من أفعال ولا تبطل بتركه إجماعاً ذكر الشيخ مجد الدين(١).

نداء الشيطان ليلة العقبة ورناتة الأربع.

ذكر بقي بن مخلد في تفسيره أن إبليس رن أربع رنات حين لعن، ورنة حين هبط ورنة حين ولد رسول الله ﷺ، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب.

قال سعيد بن جبير لما لعن الله إبليس حول صورته عن صورة الملائكة ورن رنة فكل رنة منها في الدنيا إلى يوم القيامة» رواه أبو حاتم.

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة رن إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده: ايئسوا أن ترتد أمة محمد ﷺ على الشرك بعد يومكم هذا، ولكن افتنوهم في دينهم، وأفشوا فيهم النوح» رواه الطبراني، والحافظ الضياء المقدسي في «المختارة».

الرنين: الصوت وقد يرن رنيناً، ولم يتكلم عن ذلك الحافظ أبو موسى ولا ابن الأثير في كتاب «النهاية» وهو مما يلزمها، وقال سعيد بن جبير: لما رأى إبليس النبي ﷺ قائماً يصلي رن، ولما افتتح مكة رن رنة أخرى اجتمعت إليه ذريته فقال: إيئسوا أن ترتد أمة محمد ﷺ إلى الشرك بعد يومكم هذا، ولكن افتنوهم في دينهم، وأفشوا فيهم النوح والشعر» رواه ابن أبي الدنيا، وقال ابن أبي حاتم في تفسيره في قوله تعالى: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾(٢).

عن عكرمة قال: لما ولد رسول الله ﷺ أشرقت الأرض نوراً، وقال إبليس لقد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا فقال له جنوده فلو ذهبت إليه مخيلته فلما دنا من النبي ﷺ بعث الله جبريل عليه السلام فركضه ركضة وقع بعدها.

وأما صراخ الشيطان في بيعة الأنصار لرسول الله ﷺ ليلة العقبة ففي

---

(١) هو مجلد الدين بن تيمية ـ جد الشيخ الامام ابن تيمية ـ وهو صاحب كتاب المنتقى الذي شرحه الشوكاني في نيل الأوطار.

(٢) الزمز: ٦٩.

المغازي والسير لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس: يا معشر الخزرج، هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل، قالوا: نعم، قال أنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا اسلمتموه، فمن الآن فهو والله أن فعلتموه خزى الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون بما وعدتموه إليه على نهكه الأموال، وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة، قالوا فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ﷺ أن نحن وفينا قال: الجنة قالوا: أبسط يدك فبسط يده فبايعوه، فأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال والله ما قال في ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله ﷺ في أعناقهم، وأما عبد الله بن أبي بكر فقال: ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول فيكون أقوى لأمر القوم فالله أعلم أي ذلك كان ولما أراد الله عز وجل إظهار دينه واعزاز نبيه، وإنجاز موعده له خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً فقال لهم: من أنتم؟ فقالوا: نفر من الخزرج قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلا. فجلسوا معه ودعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: تعلموا والله أنه النبي الذي توعدكم به اليهود، فلا يسبقنكم إليه فصدقوا وقبلوا ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا قد تركنا قومنا بينهم من الشر والعداوة ما بينهم فعسى الله أن يجمعهم بك فسندعوهم إلى أمرك، فإن الله يجمعهم عليك فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا، فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار إثنا عشر رجلاً فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء أي لم يبايعوه على القتال فكان يأخذ عليهن العهد فإذا أقررن بألسنتهم قال: بايعتكن وما مست يده يد امرأة في مبايعته. قالته عائشة، وقيل: كان رسول الله ﷺ يغمس يده في إناء وتغمس المرأة يدها فيه عند المبايعة فيكون ذلك عقداً

للبيعة وهذه رواية عن ابن إسحاق، وقطع به النقاش، وفيه نظر.

وقال عبادة بن الصامت: كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا أثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نزنى ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نغتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فإن وفيتم فلكم الجنة، وأن أصبتم من ذلك شيئاً فأخذتم سجدة في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه في الدنيا إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله، إن شاء عذب وإن شاء عفا. فلما انصرف القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير وأمره أن يقربهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين فكان يسمى المقرىء بالمدينة مصعب ففتح المدينة بالقرآن وأسلم معه خلق كثير ثم إن مصعباً رجع إلى مكة وخرج من خرج من الأنصار إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة في أوسط أيام التشريق حتى إذا راد الله بهم ما أراد من كرامته ونصر نبيه وإعزاز دينه.

قال كعب؛ فلما كانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله ابن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، قلنا(إنا نرغب بك أن يكون حطباً للنار رغداً ثم دعونا إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلسل تسلسل القطا مستخفين حتى أجتمعنا في الشعب، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا إمرأتان فأتان رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بـن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق به فلما جلس، قال العباس: يا معشر الخزرج: إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا فهو في عز ومنعة في بلده وإنه قد أبى إلا الاجتياز إليكم واللحاق بكم فإن كنتم وافون له بما وعدتموه وماتعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون إنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه قال: فقلنا قد سمعنا ما قلت؟ فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، قال متكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم

وأبناءكم، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم فوالذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله ﷺ فنحن والله أهل «الحروب والحلقة ورثناها كابراً عن كابر، فقال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وأنا قاطعوها يعني اليهود، فإن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم.

قال كعب بن مالك: كان أول من ضرب على يد النبي ﷺ البراء بن معروف ثم بايع القوم فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأبعد صوت سمعته قط يا أهل الجباب والجباجب المنازل هل لكم في مذمم والصباة قد اجتمعوا على حربكم فقال: رسول الله ﷺ «هذا أزب العقبة أي عدو، أما والله لأفرغن لك قال ثم قال رسول الله ﷺ: امضوا إلى رواحلكم» ا. هـ.

وعن الحسن قال: لما بويع رسول الله ﷺ بمنى صرخ الشيطان فقال رسول الله ﷺ هذا أبو ليلى قد أنذر بكم فتفرقوا، فقال عباس بن عبادة والذي بعثك بالحق بشيراً ونذيراً، إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا، فقال رسول الله ﷺ لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم فرجعنا إلى رحالنا فنمنا عليها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا جاءتنا قريش فقالوا: يا معشر الخزرج بلغنا أنكم اتيتم صاحبنا تخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وأنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن ينشب الحرب بيننا وبينهم منكم، قال: فحلف مشركو قومنا بالله أنه ما كان من هذا الشيء، قال وصدقوا لم يعلموا أو بعضنا ينظر إلى بعض، قال: ثم قام القوم، وفيهم الحرث بن هشام وعليه نعلان جديدان فقلت له كلمة فخلعها من رجليه ثم رمى بها وقال: والله لتنتعلهـا، قال: فقيل لي أردد إليه نعليه فقلت: والله لا أردهما قال: والله لا أردهما، قال: والله لئن صدق الفال لأسلبن»[1].

---

(١) مصائب الانسان من مكايد الشيطان لابن مفلح المقدسي (٨٦).

أحقر أوقات الشيطان ودعائه على نفسه

عن العباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ لأمته عشية عزمه بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء فيه فأجابه: «أنـي قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضاً فأما ما بيني وبينهم فقد غفرته فقال: يا رب إنك قادر على أن نثبت هذا المظلوم خيراً من مظلمته وتغفر لهذا الظالم» فلم يجب تلك العشية بشيء فلما كانت غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه «أني قد غفرت» قال تبسم رسول الله ﷺ فقال له بعض أصحابه يا رسول الله إنك تبسمت في ساعة لم تكن تبتسم فيها، فقال تبسمت من عـدو الله إبليس إنه لما علم أن الله سبحانه، قال: استجاب لي أخذ يدعـو بالويل والثبور ويحثى التراب على رأسه» رواه عبد الله بن أحمد في المسند، وأبو داود وابن ماجه والطبراني والحافظ الضياء المختارة.

وفي الموطأ عن عبيد الله بن كريز، قال رسول الله ﷺ «ما رؤى الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما رأى من نزول رحمة الله وتجاوزه عن الذنوب العظام إلا ما رؤى يوم بدر، قيل وما رأى يوم بدر يا رسول الله قال: أما أنه رأى جبريل يزع الملائكة».

وروى أبو عثمان الصابوني عن رجل كان أميراً ببلاد الروم فهرب من بعض الخصوم، قال: فكنت أسير بالليل وأكمن بالنهار فبينما أنا ذات ليلة أمشي بين جبال وأشجار إذ أنا بحسس فراعني ذلك فنظرت فإذا راكب بعير فازددت رعباً وذلك أنه لا يكون ببلاد الروم بعير فقلت: سبحان الله في بلاد الروم بعير أن هذا العجب فلما انتهى إليَّ قلت: يا عبد الله من أنت؟ قال: لا تسأل قلت إني أرى عجباً فاخبرني قال: لا تسأل فأبيت عليه، قال: أنا إبليس، وهذا وجهي من عرفات وافقتهم عشية اليوم أطلع عليهم، فنزلت عليهم المغفرة ووهب بعضهم لبعض فدخلني الهم والحزن والكآبة، وهذا جبهتي إلى القسطنطينية، أتفرح بما أسمع من الشرك والدعاء أن له ولداً فقلت: أعوذ بالله منك، قال: فلما قلت هذه الكلمات لم أر شيئاً.

وقال علي بن الجارود: خرجت أنا وصاحبي في طلب الحديث فمررنا على

قرية لوط، فبينما نحن نمشي في تلك الطريق في يوم عرفة إذا برجل كوسج(١) فقال: من أنتم!؟ فأخبرناه فانصرف، فقلنا له من أنت؟ فتغافل عنا، فقلنا له من أنت؟ فتغافل عنا.. فقلنا: أنت الشيطان إبليس؟ قال نعم، قلنا: وما جاء بك إلى هنا، قال: إني كنت بالموقف فنزلت الرحمة فغفر الله لرجل يعمل المعاصي خمسين سنة فشق علي فخرجت إلى بلاد قوم لوط أخفف على نفسي ما أجد.

وعن ابن عباس قال: أيد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة مجتنبة وميكائيل في خمسمائة من الملائكة مجتنبه، وجاء إبليس في جند من الشياطين ومعه راتبه في صورة من بني مدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك، فقال الشيطان للمشركين، لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم فلما أصطفت القوم، قال أبو جهل: اللهم أولانا بالحق فانصره، ورفع رسول الله ﷺ يده فقال: يا رب أن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً فقال جبريل خذ قبضة من التراب، فأخذ قبضة تراب، فرمى بها وجوههم في أحد من المشركين إلا أصاب عينيه ومنخرية وفمه فولوا مدبرين، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس فلما رآه كانت يده في يد رجل من المشركين فانتزع إبليس يده ثم ولى مدبراً، وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة: ألم تزعم أنك جار لنا، قال: إني أرى ما لا ترون... ذكره البيهقي.

قال الشيخ ابن مفلح تعليقاً:

قوله: إني أخاف الله، قال قتادة صدق عدو الله في قوله: إني أرى ما لا ترون، وكذب في قوله: إني أخاف الله، والله ما به مخافة، ولكن علم أنه لا نجاة له فاسلمهم، وكذلك عادة عدو الله بمن أطاعه، وقالت طائفة: إنما خاف بطش الله بي في الدنيا كما يخاف الفاجر أن يقتل أويؤ خذ بجرمه لا أنه خاف عقابه في الآخرة وهذا أصح وهذا الخوف لا يستلزم إيماناً ولا نجاة(٢).

---

(١) كوسج: الرجل ليس له لحية.
(٢) مصائب الانسان (٩٣)

قصة برصيص العابد

قال تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾(١).

قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية:

«كان زاهد في الفترة يقال له برصيصاً تعبد في صومعته سبعين سنة لم يعصى الله فيها طرفة عين، وإن إبليس أعياه في أمر الحيل مجمع ذات يوم مردة الشياطين، فقال: ألا أحد منكم يكفيني أمر برصيصاً، فقال الأبيض لإبليس أنا أكفيك، فانطلق فتزين بزينة الرهبان، وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصاً فناداه فلم يجبه، وكان لا ينفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام ولا يفطر إلا في عشرة أيام مرة، فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على صلاته وعلى العبادة في أصل صومعته فلما انفتل برصيصاً أطلع من صومعته فرأى الأبيض قائماً يصلي في هيئته حسنه من الرهبان، فلما رأى ذلك من حاله، قال له: إنك ناديتني وكنت مشتغلاً عنك فما حاجتك؟ قال: حاجتي أني أحببت أن أكون معك، وأتأدب بك، وأقتبس من عملك، ونجتمع على الصلاة فتدعو لي، وأدعـو لك، قال برصيصاً: أنا في شغل عنك، فإن كنت مؤمناً فإن الله سيجعل لك فيما أدعـو للمؤمنين نصيباً ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض.

وأقبل الأبيض يصلي فلم يلتفت إليه برصيصاً أربعين يوماً، فلما انفتل رآه قائماً يصلي فلما رأى شدة اجتهاده قال له: ما حاجتك قال: حاجتي أن تأذن لي فارتفع إليك، قال: فأذن له، فارتفع إليه في صومعته، وأقام معه حولاً يتعبد لا يفطر إلا في كل أربعين يوماً، ولا ينفتل عن صلاته إلا في كل أربعين يوماً مرة، وربما يزيد إلى الثمانين، فلما رأى برصيصاً شده اجتهاده تقاصرت إليه نفسه، وأعجبه شأن الأبيض، فلما حال الحول قال الأبيض للبرصيصا . . . إني منطلق فإن لي صاحباً غيرك ظننت أنك أشد اجتهاداً مما أرى، وكأنه بلغنا عنك خير الذي

---

(١) الحشر: ١٦.

رأيت، فدخل من ذلك برصيصاً أمر شديد، وكره مفارقته لما رأى من شدة اجتهاده فلما ودعه قال له الأبيض، إن عندي دعوات أعلمها لك تدعو بهن فهن خير لك مما أنت فيه يشفي الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلي، والمجنون، قال برصيصاً: إني أكره هذه المنزلة لأن في نفسي شغلاً، وإني أخاف ان علم الناس به شغلوني عن العبادة، فلم يزل به الأبيض حتى علمه، ثم انطلق حتى أتى إبليس، فقال: والله أهلكت الرجل، قال: فانطلق الأبيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء في صورة رجل متطيب فقال لأهله إن بصاحبكم جنوناً أفأعالجه، قالوا نعم، فقال: إني لا أقوى على شفائه، ولكن سأرشدكم إلى من يدعو الله فيشفيه، انطلقوا إلى برصيصا، فإن عنده الاسم الذي إذا دعى الله به أجاب، فانطلقوا إليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الدعوات فذهب عنه الشيطان، وكان الأبيض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشدهم إلى برصيصا فيدعو فيعافون فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني إسرائيل بين ثلاثة أخوة كان أبوهم ملكهم فمات فاستخلف أخاه فكان عمها ملك بني إسرائيل فعذبها وخنقها ثم جاء إليهم في صورة متطيب فقال لهم: أعالجها، قالوا: نعم، قال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به وتدعونها عنده إذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت ترددونها صحيحة، فقالوا: ومن هذا؟ قال: برصيصا، قالوا فكيف لنا أن يجيبنا إلى هذا وهو أعظم شأناً، قال: أبنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه، ثم قولوا له: هي أمانة عندك فاحتسب فيها، قال: فانطلقوا إليه فسألوه فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ووضعوا الجارية في صومعته، وقالوا هذه أختنا ثم انصرفوا، فلما التفت برصيصاً من صلاته عاين الجارية وما بها من الجمال فاسقط في يده ودخل عليه أمر عظيم، فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصاً بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان، ثم أقبل على صلاته ثم جاء الشيطان فخنقها، وكانت تكشف عن نفسها فجاءه الشيطان وقال: واقعها فتتوب وتدرك ما تريد من الأمر، فلم يزل به حتى واقعها، فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصاً قد افتضحت فهل لك أن تقتلها فتتوب، فإذا سألوك فقل ذهب بها شيطانها، فلم أقو عليه، فدخل

برصيصاً فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل، فجاءه الشيطان وهو يدفنها ليلاً فأخذ بطرف إزارها فبقى طرف إزارها خارجاً من التراب ثم رجع برصيصاً إلى صومعته فأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يتعاهدون أختهم، وكانوا يسألونه عنها، فقالوا يا برصيصاً ما فعلت أختنا؟ فقال: جاء شيطانها فذهب بها فلم أطقه فصدقوه وانصرفوا. . فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان أكبرهم في منامه فقال: ويحك إن برصيصاً فعل بأختك كذا وكذا ودفنها في موضع كذا وكذا. . . فقال الأخ هذا حلم من الشيطان برصيصاً خير من ذلك قال: فتتابع عليه ثلاث ليال، فلم يكترث فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك فقال: ما قال الأول، فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك فقال أصغرهم لأخوته. والله لقد رأيت كذا وكذا، فقال الأوسط: قد رأيت مثله، فقال الأكبر، وأنا رأيت مثله، فانطلقوا إلى برصيصا فقالوا: ما فعلت بأختنا أليس قد علمتم فاستحيوا منه، وقالوا والله لانتهمك فانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال: ويحكم: إنها لمدفونة في موضع كذا وكذا وإن طرف إزارها خارج من التراب، فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا في النوم، فمشوا إلى مواليهم وغلمانهم معهم الفؤس والمساحي فهدموا صومعته، وأنزلوه ثم كتفوه، فانطلقوا به إلى الملك، فأقر على نفسه، وذلك أن الشيطان أتاه فقال: تقتلها ثم تنكر فلما أعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب آتاه الأبيض، فقال: أتعرفني، قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب لك، ويحك أما استحييت في أمانة خنت أهلها وانك زعمت أنك أعبد بني إسرائيل، أما استحييت فلم يزل يغويه ثم قال في آخر ذلك: ألم يكفيك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك وفضحت أشباهك من الناس فإن مت على هذه الحال لم يفلح أحد من نظرائك، قال: فكيف أصنع؟ قال: تعطيني خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه، فآخذ بها أعينهم وأخرجك من مكانك، قال: وما هي؟ قال: تسجد لي، قال: أفعل فسجد له ثم قال: يا برصيصاً هذا ما أردت منك صارت عاقبة أمرك إليَّ أن كفرت بربك: إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين» أ. هـ.

لذا دعا الإسلام إلى التعلم فالشيطان كثيراً ما يدخل على الناس من قلة العلم. . .

قال الشيخ: عبد القادر الجيلاني رحمه الله: أشتد عليَّ الحر في بعض الأسفار يوماً حتى كدت أموت عطشاً، فظللتني سحابة سوداء وهب علي منها هواء بارد حتى دار ريقي في فمي، وإذا بصوت يناديني فيها: يا عبد القادر: أنا ربك، فقلت له: أنت الله الذي لا إله إلا هو، فعدل الشيخ عن الاسم كما يقال رب الدار، ورب المال إلى الإسم المختص بالواحد الأحد سبحانه، قال: فناداني ثانياً فقال: يا عبد القادر: أنا ربك، وقد أحللت لك ما حرمت عليك، قال: فقلت له: كذبت بل أنت الشيطان، قال: فتمزقت تلك السحابة من ورائي قائلاً: يا عبد القادر: نجوت مني بفقهك في دينك لقد فتنت بهذه الحيلة قبلك سبعين رجلاً.

وقيل للشيخ: عبد القادر، كيف عرفت أنه الشيطان؟ قال: حين قال: أحللت لك: عرفته لأن بعد رسول الله ﷺ وسلم لا تحليل ولا تحريم فنفعه الله بالعلم النافع.

قال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية: ما عظمت عبد القادر إلا بكلامه في القدر وحكايته مع الشيطان.

بيان وتعقيب

علمنا فيما سبق أن لإبليس مملكة من الشياطين... وأنه قسمها تقسيماً سياسياً وإدارياً إلى جهات لكل جهة ملكها ورئيس وزارئها، ولها اختصاصاتها وأعمالها المكلفة للقيام بها...

ويشرف الإبليس الأكبر بنفسه على هؤلاء الملوك ورؤساء الوزراء فيتتبع أعمالهم واضلالهم...

واتباع إبليس من ابنائه ليسو من عالم الجن المعروف، وإن كانوا قد خلقوا من النار كإبليس...

فإبليس من الجن... ولكنه لما فسق عن أمر ربه، واهبط إلى الأرض، دعا الله أن يرزقه ذرية، وأن ينظره إلى يوم الدين. فانظره كما تقدم..

فخرج من سلالة إبليس أتباعه وقيل أنهم يخرجون من رجليه حال ولادتهم... ولا نستطيع أن نقطع بذلك... وللعلماء رأي سنبينه ونناقشه.

ولكننا نستطيع أن نؤكد أن اتباع إبليس من ذريته، وأن الله سبحانه وتعالى خلق الجان له خصائص وسمات تختلف عن أتباع إبليس...[1].

والجن فيه المؤمن وفيه الكافر، قال تعالى:

﴿ وإنا منا الصالحون، ومنادون دون ذلك كنا طرائق قدداً ﴾[2].

يقول الشيخ بدر الدين الشبلي:

«عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: ﴿ خلق الله تعالى بني الجان قبل آدم بألفي سنة» أ. هـ.

أخبرنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «وكان الجن سكان الأرض والملائكة سكان السماء وهم عمارها، لكل سماء ملائكة ولكل أهل سماء صلاة وتسبيح ودعاء فكل سماء فوق سمائهم أشد عبادة وأكثر دعاء وصلاة وتسبيحاً من الذين تحتهم فكانت الملائكة عمار السماء والجن عمار الأرض» أ. هـ.

وقال بعضهم: «عمروا الأرض ألفي سنة». وقال بعضهم: أربعين سنة وقال إسحاق: قال أبو روق عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خلق الله سوميا أبو الجن وهو الذي خلق من مارج من نار وقال تبارك وتعالى: تمن قال: أتمنى أن ترى ولا نرى وأن نغيب في الثرى وأن يصير كهلنا شاباً فاعطي ذلك فهم يرون ولا يرون وإذا ماتوا غيبوا في الثرى ولا يموت كهلهم حتى يعود شاباً يعني مثل الصبي يرد إلى أرذل العمر.

قال: وخلق الله تعالى آدم، فقيل له تمن: فتمنى الجبل فأعطى الجبل، وقيل: الجنة وقال إسحاق: حدثني جويبر وعثمان باسنادهما أن الله تعالى خلق

---

(١) انظر «غرائب وعجائب الجن» لبدر الدين الشبلي، تحقيق المؤلف، ستجد فيه بياناً شاملاً وتفصيلاً لحياة الجان وأعمالهم وصفاتهم وخلقتهم... ط «مكتبة القرآن».

(٢) الجن: ١١.

الجن وأمرهم بعمارة الأرض فكانوا يعبدون الله جل ثناؤه حتى طال بهم الأمد فعصوا الله عز وجل وسفكوا الدماء وكان فيهم ملك يقال له: يوسف فقتلوه فأرسل الله تعالى عليهم جنداً من الملائكة كانوا في السماء الدنيا كان يقال لذلك الجند فيهم إبليس وهو على أربعة آلاف فهبطوا فأفنوا بني الجان من الأرض وأجلوهم عنها وألحقوهم بجزائر البحر وسكن إبليس والجند الذين كانوا معه الأرض فهان عليهم العمل وأحبوا المكث فيها.

حدثنا محمد بن إسحاق عن حبيب بن أبي ثابت أو غيره أن إبليس وجنوده أقاموا في الأرض قبل خلق آدم أربعين سنة.

حدثنا إدريس الأودي عن مجاهد قال إبليس: كان على سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض وكان مكتوباً في الرفيع عند الله تعالى أنه قد سبق في ذكر الله عز وجل اللملائكة أما آدم عليه السلام فهو خير من ابليس أن هذا الخليفة الذي تسجد لـه الملائكة وأسر إبليس في نفسه أنه لن يسجد له أبداً، وأخبر الملائكة أن الله تعالى يخلف خليفة يسفك دماء وأنه سيأمر الملائكة فيسجدون لذلك الخليفة، قال: فلما قال الله عز وجل ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾[1] حفظوا ما كان قال لهم إبليس قبل ذلك فقالوا: «أتجعل فيها من يفسد» الآية[2] وأخبرني مقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم قال للملائكة: «إني جاعل في الأرض خليفة» قالت الملائكة «أتجعل فيها من يفسد فيها».

وذلك أنهم أحبوا المكث في الأرض واستخلفوا للعبادة فيها، قال ابن عباس: لم يعلموا الغيب لكنهم اعتبروا أعمال ولد آدم بأعمال الجن فقالوا: «أتجعل فيها من يفسد فيها» أ. هـ. كما فسدت الجن، ويسفك الدماء كما سفكت الجن، وذلك أنهم قتلوا نبياً لهم ـ أو كما جاء ملكاً يقول له يوسف.

وأخبرنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الله

---

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) السابقة.

تعالى بعث إليهم رسولاً فأمرهم بطاعته، وأن لا يشركوا به شيئاً، وأن لا يقتل بعضهم بعضاً، فلما تركوا طاعة الله تعالى وقتلوا قالت الملائكة «أتجعل فيها» الآية. فرد عليهم قولهم وأخبرهم أنهم لم يبلغوا عنصر علم الله تعالى في آدم عليه السلام فخافت الملائكة أن يكونوا قد عصوا الله تعالى فيما ردوا عليه فلاذوا بالعرش يطوفون به ويستغفرون من ذلك وبقول الله عز وجل «إني أعلم ما لا تعلمون».

وأعلم أن آدم خليفة الأرض وولده عمارها وسكانها وأنتم عمار السماء، وأخبرنا ابن جريج قال الله تعالى: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ فتكلموا يعني بما هو كائن من خلق آدم عليه السلام وقال الله تعالى لهم: ﴿ إني أعلم ما لاتعلمون ﴾ ﴿ أعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾، فأما الذين كتموا فلما قال الله تعالى: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ فرجعوا بما قد سمعت ليخلق الله ربنا ما شاء فواء لا يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أكرم عليه وأعلم منه، فلما اسجدهم لآدام قالوا: «هو أكرم على الله تعالى منا غير أنا أعلم منه فلما أنبأهم بأسمائهم علموا أن آدم عليه السلام أعلم منهم».

قال: الزمخشري في ربيع الأبزر أبو هريرة يرفعه: «أن الله خلق الخلق أربعة أصناف: الملائكة، والشياطين، والجن والإنس، ثم جعل هؤلاء عشرة أجزاء فتسعة منهم الملائكة وجزء واحد الشياطين والإنس والجن، ثم جعل هؤلاء الثلاثة عشرة أجزاء فتسعة منهم الشياطين وواحد الجن والإنس، ثم جعل الجن والإنس عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن وواحد منهم الإنس.

قال الشيخ بدر الدين الشبلي «فعلى هذا يكون نسبة الإنس من الخلق كنسبة الواحد من الألف ونسبة الجن من الخلق كنسبة التسعة من الألف ونسبة الشياطين من الخلق كنسبة التسعين من الألف، ونسبة الملائكة من الخلق كنسبة التسعمائة من الألف... والله أعلم» أ. هـ[1].

وبهذا يتضح الفارق بين الشياطين ـ اتباع إبليس ـ وبين الجن الذي منه المؤمن ومنه الكافر..

---

(١) «غرائب وعجائب الجن» تحقيق المؤلف (٢٨) ط مكتبة القرآن.

أما دولة الشياطين فهي دولة يدركها أولو البصائر بما لاح لنا من فساد في المجتمعات وانهيار في الأخلاقيات..

فالإنسان بطبيعته يحب عمل شيء ما، ويجتهد في إخراجه أو تنفيذه أو القيام به، ولكنه سرعان ما تتخاذل أحياناً لتصور ما، ولأمر خيل له.. فلولا هذا الابليس الملازم له لما استطاع أن ينفذ العمل...

فالإنسان له قوى... قوى الشر... وقوى الخير... قـوى الشر نفسه الأمارة بالسوء، وشهوته، وفتنة دنياه، وملذاتها وشيطانه، وقوى الخير، نفسه الطيبة الفطرية، وعقله الراجح...

وعليه إذن أن تقوى عند نفسه دواعي الخير دائماً، وأن يلزمها حدود ربها، ويبعدها عن المنكرات، أو أي طريق يوصل إليها فبذلك ينجو بنفسه من غضب الله ومن هذا الإبليس اللعين...

ولو وضع الإنسان إبليس أمامه، وعلم أنه يتربص به الدوائر لاستطاع قهره ونصبه... فإن الشيطان يقهر وينصب عند خذلانه من ابن آدم المؤمن...
ومما هو جدير بالذكر أن رئيس الوزراء الموكل بالوسوسة والإضلال ليس هو المسؤول وحده وإنما هو وأتباعه الذين يوجههم، فكلما ثبت... لكل إنسان شيطان... غير سيد البشر محمد ﷺ فلقد أعانه الله عليه فأسلم...

وإنما قلنا «باعل» مثلاً لأنه قائدهم ورئيسهم وموجههم...
فالشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم... أي معه في كل وقت... ويكيد له ويتربص به...

«قال الله تعالى إخباراً عن عدوه إبليس لما سأله عن امتناعه عن السجود لآدم واحتجاجه بأنه خير منه وإخراجه من الجنة أنه سأله أن ينظره فنظره، ثم قال عـدو الله: ﴿ فبما اغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾[1].

---

(١) الأعراف ١٦، ١٧.

قال جمهور المفسرين: حذف «على» فانتصب الفعل، والتقدير لأقعدن لهم على صراطك، والظاهر: أن الفعل مضمر، فإن القاعد على الشيء ملازم له، فكأنه قال: لألزمنه، ولأرصدنه، ولأعوجنه، ونحو ذلك.

قال ابن عباس: «دينك الواضح» وقال ابن مسعود: «هو كتاب الله» وقال جابر: «هو الإسلام» وقال مجاهد: «هو الحق».

والجميع عبارات عن معنى واحد، وهو الطريق الموصل إلى الله تعالى.

وفي حديث سيرة بن الفاكة:

«إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه كلها... (الحديث).

فما من طريق خير إلا والشيطان قاعد عليه يقطعه على السالك.

وقوله: «ثم لآتينهم من بين أيديهم».

قال ابن عباس في رواية عطيه عنه: «من قبل الدنيا».

وفي رواية علي عنه «أشككهم في آخرتهم»

وكذلك قال الحسن: «من قبل الآخرة، تكذيباً بالبعث والجنة والنار».

قال ابن عباس: «أرغبهم في دنياهم».

وقال الحسن: «من قبل دنياهم أزينها لهم واشهيها لهم».

وعن ابن عباس رواية أخرى: «من قبل الآخرة».

وعن إيمانهم قال ابن عباس: «أشبه عليهم أمر دينهم».

وقال أبو صالح: «الحق أشككهم فيه..

وقال أيضاً: «من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم» أنفقه عليهم وأرغبهم فيه».

قال الواحدي: وقول من قال: الايمان كناية عن الحسنات، والشمائل كناية

عن السيئات، حسن، لأن العرب تقول: اجعلني في عينك، ولا تجعلني في شمالك، تريد: اجعلني من المقدمين عندك، ولا تجعلني من المؤخرين، وأنشد لابن الدمنية:

ألبنى، في يمنى يـديك جعلتني فأفرح، أم صيرتني في شمالك؟

وروى أبو عبيد عن الأصبعي: هو عندنا باليمين: أي بمنزلة حسنة، ويضد ذلك هو عنانا بالشمال، وأنشد:

رأيت بني العلات لما تـظافروا يحوزون سهمي بينهم في الشمائل

وبنو العلات: أولاد الرجل من أمهات مختلفة، سهمى: نصيبي. والمعنى: أي ينزلوني بالمنزلة السيئة.

وحكى الأزهري عن بعضهم في هذه الآية لأغوينهم حتى يكذبوا بما تقدم من أمور الأمم السالفة، ومن خلفهم بأمر البعث، وعن إيمانهم، وعن شمائلهم: أي لأضللنهم فيما يعملون، لأن الكسب يقال فيه: ذلك بما كسبت يداك، وإن كانت اليدان لم يجنياً شيئاً، لأنهما الأصل في التصرف، فجعلتا مثلاً لجميع ما يعمل بغيرها.

وقوله: «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً»(١).

قيل يعدكم الفقر: يخوفكم به، يقول، إن أفقتم أموالكم افتقرتكم، ويأمركم بالفحشاء قالوا: هي البخل في هذا الموضع خاصة، ويذكر عن مقاتل والكلبي كل فحشاء في القرآن فهي الزنا إلا في هذا الموضع فإنها البخل.

والصواب «كما قال ابن القيم»: أن الفحشاء على بابها، وهي كل فاحشة، فهي صفة لموصوف محذوف، فحذف موصوفها إرادة للعموم، أي بالفعلة الفحشاء والخلة الفحشاء، ومن جملتها البخل، فذكر سبحانه وعد الشيطان وأمره يأمرهم

---

(١) البقرة: ٢٦٨.

البشر ونخوفهم من فعل الخير، وهذان الأمران هما جماع ما يطلبه الشيطان من الإنسان فإنه إذا خوفه من فعل الخير تركه، وإذا أمره بالفحشاء وزينها له ارتكبها، وسمى سبحانه تخويفه وعده على طاعته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وهي المغفرة والفضل، بقلب ابن آدم لمة[1]، وللشيطان لمة، فلمة الملك: إيعاد بالخير، وتصديق بالوعد، ولمة الشيطان: إيعاد بالشر، وتكذيب بالوعد ثم قرأ:

﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ (الآية)

فالملك والشيطان يتعاقبان على القلب تعاقب الليل والنهار، فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره، وآخر بضده، ومنهم من يكون زمنه نهاراً كله، وآخر بضده، نستعيذ بالله تعالى من شر الشيطان.

ومن كيده للإنسان: أنه يورده الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعته، ثم يصدره المصادر التي فيها عطبه، ويتخلى عنه ويسلمه ويقف يشمت به، ويضحك منه، فيأمره بالسرقة والزنا والقتل، ويفضحه، قال تعالى:

﴿ وإذا زين لهم الشيطان أعمالهم، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم أرى ما لا ترون إني أخاف الله، والله شديد العقاب ﴾[2].

فإنه تراءى للمشركين عند خروجهم إلى بدر في صورة سراقة بن مالك، قال: أنا جار لكم من بني كنانة أن تقصدوا أهلكم وذراريكم بسوء، فلما رأى عدو الله جنود الله تعالى من الملائكة نزلت لنصر رسوله فرعنهم؟ وأسلمهم، كما قال حسان:

دلاهم بغرور، ثم أسلمهم إن الخبيث لمن والاه غرار

وكذلك فعل بالراهب الذي قتل المرأة وولدها، وأمره بالزنا ثم بقتلها، ثم دل أهلها عليه، وكشف أمره لهم، ثم أمره بالسجود له، فلما فعل مر عنه وتركه،

---

(١) اللمة: الخطوة.

(٢) التوبة: ٤٨.

كما تقدم في سرد القصة ونزل فيه:

«كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾[1].

وهذاالشيطان لا يختص بالذي ذكرت عنه هذه القصة، بل هو عام في كل من أطاع الشيطان في أمره له بالكفر؟ لينصره ويقضي خاجة، ويتبرأ منه ويسلمه كما يتبرأ من أوليائه جملة في النار، ويقول لهم:

﴿ إني كفرت بما أشركتمون من قبل ﴾.

فأدروهم شر المؤرد وتبرأ منهم كل البراءة ا. هـ.[2].

وبذلك تبين لك وصف مملكة إبليس من خلال الكتاب والسنة، وأنها يعضدان ما وقع على السنة السحرة من اعترافات حول هذه المملكة ورؤسائها وملوكها... ويؤيد أقوالهم... وتبين لك أيضاً قوة هذه المملكة على النفس الضعيفة، ووهنها أمام النفوس القوية... والمسلم يستطيع بذاته أن يقهر هذه المملكة ويشتت شملها ويخيب تخطيطها إذا أخلص وألزم نفسه حدوده... وليعلم المسلمون قوله تعالى: ﴿ وإن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾.

أسأل الله رب العالمين أن يشملنا برحمته، ونستعيذ بالله من شر الشيطان الوسواس الخناس... والله أكبر، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

---

(١) الحشر: ١٦.

(٢) إغاثة اللهفان (١٢٨) بتصرف ط الحلبي.

الفهرس

القسم الثالث

إبليس

التنظيم الاداري للدولة الإبليسيَّة من خلال القرآن والسنة